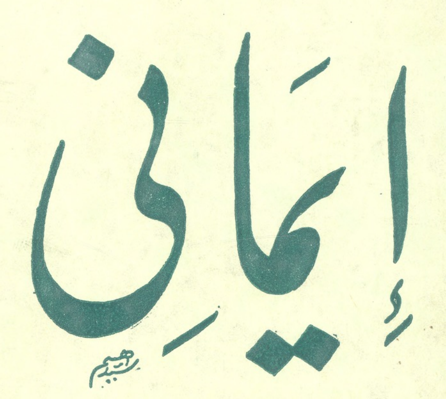
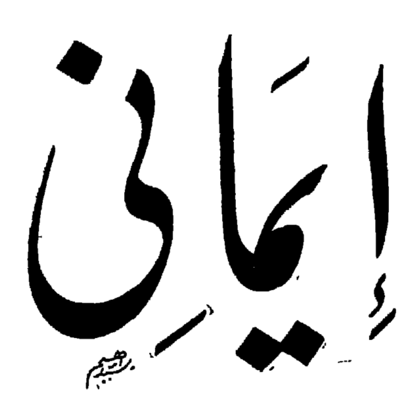


۱۹۳۶

المجد لمصر



إلهي هذا هو القلب الذي أنبضته

إلهي هذا هو اللسان الذي أنطقته

إلهي هذا هو الجنان الذي ثبته

فاللهم تقبل واللهم اغفر وارحم

وامدد لي بنصر من لدنك وشد أزري

إنك أنت السميع المجيب المعين

احمد حسين

الاهداء

الى رمز الجيل الجديد وطليعة المجد

الى الجالس على عرش الفراعنة والعرب بحق

الى من ستخفق أعلامه وبنوده ويدوى اسمه منتصراً فى

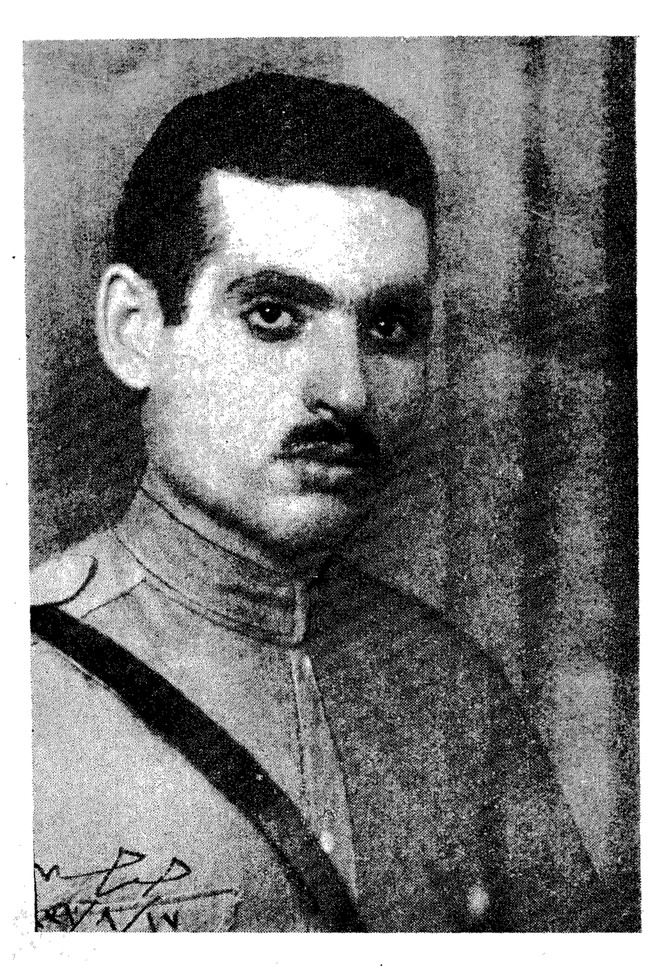
أرجاء العالمين

الى الملك المحبوب الموفق فاروق الأول

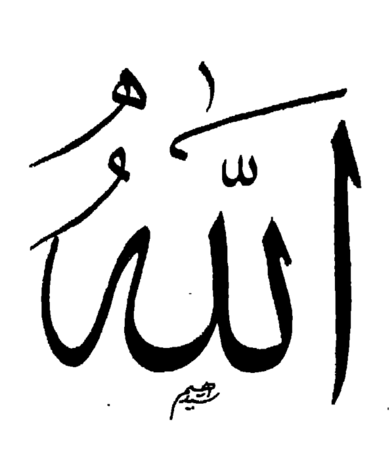
أهدى هذه السطور لتكون رمزاً لولائى واخلاصى

حتى نهاية العمر

أحمد حسين



احمد حسین



الوَطَنُ


المُلك

كلمة الناشر

عجيبة قصة هذا الكتاب فقد كان الأصل فيه أن لا يتجاوز ثلاث مرافعات جمعتها من بين مرافعات الأستاذ احمد حسين فى القضايا المختلفة ، ، ثم عن لى أن اضم اليها الخطب المختلفة التى القاها الاستاذ فى مناسبات شتى فلما مضيت على هذا الأسلوب شوطا بعيدا تداخل معى الاستاذ وكتب بعض فصول ربطت حلقات الكتاب بعضها الى بعض ، وانتظمت الخطب كلها فى سلسلة واحدة حتى اذا انتهينا من هذه العملية اثر ان يقدم الكتاب بمقدمة مستفيضة يبسط فيها تاريخ ايمانه وكيف نشأ ، ، وتاريخ حياته وكيف تطور ، ، وتاريخ مصر وكيف اوحى اليه عناصر جهاده . وهكذا تطور الكتاب من رسالة محدودة الى رسالة مصر الفتاة الكاملة ففى صحائف هذا الكتاب سيقرأ الناس كل شىء عن مصر الفتاة بل عن احمد حسين ونفسيته ومبادئه وبرنامجه ، ، وانى لفخور كل الفخر أن تكون لى يد فى ابراز هذا الكتاب الذى سيكون خير نبراس للوطنية المصرية ليس فقط فى الجيل الحديث بل فى الاجيال المقبلة بأسرها ... وحسبك ان تعلم انها وطنية قد جعلت غايتها ان تصبح مصر فوق الجميع امبراطورية شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام ، ، وهو مجال للعمل لو يعلمون عظيم .

احمد الشيمى

فهـــرس

المقدمة

صحيفة

المرافعات

صحيفة

الخطب

صحيفة

« انتهى »

مقدمة

ايمانى

— ١ —

رحلة فى الصعيد

كنا فى رحلة كشافية فى صعيد مصر على رأسها حامد افندي نبيه المدرس بالمدرسة الخديوية — وكان يرافقنا أستاذ الكشافة الكبير عبد الله افندى سلامة .. وكان معسكرنا على ضفة النيل الغربية فى مدينة الأقصر .. هبطنا الى أرض المعسكر فى وقت الظهيرة وكانت الشمس تسطع وترسل أشعتها الملتهبة وكان علينا أن نبادر بتشييد الخيام حتي نجد ما نستظل به فأخذنا نعمل ونعمل حتى انتهينا من هذه المهمة الشاقة بعد مجهود دام ساعتين وكان العرق يتفصد من جباهنا خلالها وقد أخذ منا التعب كل مأخذ فاستلقينا فى الخيام أشبه بالمغمى عليهم ناسين أننا لم نتناول طعاماً منذ الأمس وان الساعة قد قاربت الثالثة بعد الظهر . . وكنت أحس فى أعماق نفسى بخيبة أمل فقد كنت أمنى نفسى برحلة سعيدة ممتعة فاذا بنا نبدأ وسط الهجير والتعب . . وها نحن ملقون داخل الخيام ، أنفاسنا مبهورة . . وصدورنا ضيقة فنحن فى حالة أقرب الى الاغماء منها الى النوم كما قدمت لك . . . ولكن الشمس سرعان ما آذنت بالمغيب . . وعند الأصيل تظهر الصحراء كل فتنتها .. واذا بنا وقد استيقظنا من نومنا وغسلنا رؤوسنا بالماء البارد

وبدأ نسيم الشمال ينعش نفوسنا ويداعب ملابسنا وشعورنا . . دوى البوق مؤذنا بميعاد انزال العلم الذى كان يرفرف فوق ساريته الشامخة مظللاً المعسكر بأسره . . دوى النفير فاسرعنا جميعاً حول سارى العلم ووقفنا فى مثلث متساوي الاضلاع وارتفعت رؤوسنا الى هذا العلم الأخضر الجميل . . ولست أرى أن فى الدنيا بأسرها ما يخفق له الفؤاد كرؤية علم الوطن العزيز بعيداً عن العمران والمساكن . . فهو فى المدن وفوق نواصى الابنية العامة أشبه شيء بالزينة والزخارف . . ولكن العلم فى الصحراء . . أو فى الجبال أو البحار أو بعيداً عن أرض الوطن يصبح شيئاً آخر . . يصبح مصدرا للحياة والقوة والسعادة . . فهو يؤنسك فى وحدتك وهو يشجعك ويشد ازرك . . علم الوطن العزيز فى الغربة هو أعذب الأناشيد وأكثرها سحراً فى نفس المواطن المغترب . . ولا يشعر بجمال ماأحدثك عنه الا هؤلاء الذين سافروا تاركين وطنهم العزيز كما تتلقفهم بلاد جديدة كل ما فيها متنكر لهم ومتجهم . . كل ما فيها يشعرهم لذعة فراق الاوطان سل هؤلاء عندما يرون علم بلادهم ماذا يكون أثره فى نفوسهم . انهم ليرتعشون وتطفر الدموع من أعينهم .. ذلك أن علم بلادهم يذكرهم باعزائهم وأحبابهم . . يذكرهم بحياتهم السعيدة فوق الأرض التى درجوا عليها والسماء التى استظلوا بها . . وفى كلمة يذكرهم العلم بأغلى ما تنطوى عليه الحياة وأعنى بها العزة والوطنية والكرامة . . أمافى الصحراء وفى القفار فان العلم يؤثر فى النفس بما هو أبلغ . . ذلك أنه يطرد وحشة المكان ويملؤه أنساً وحياة . . ومن هنا كان هؤلاء الذين يضربون فى مجاهل الدنيا

شرقاً وغرباً وشمالا وجنوبا مستكشفين ومستطلعين ومستعمرين ينصبون أعلام بلادهم أول ما يفعلون كيما تربطهم بأوطانهم ويستمدون منها الحياة والحيوية والنشاط .. ولست أحسب أن موسيقات الدنيا بأسرها لو أنها عزفت تكون أشجى على النفس والروح من حفيف العلم وهو يرفرف فوق الرؤوس ولذلك فقد وقفت لأول مرة فى حياتى أمام العلم وكأننى في صلاة . . وعندما هتف بنا الرئيس « تحية العلم .. تعظيم سلام » ارتفعت يدى الى جبهتى فى حركة لاشعورية بينما اشرأبت رأسى الى قمة الصارى تتابع العلم وقد أخذ يهبط مع غروب الشمس . . وحانت منى التفاتة الى زملائى فاذا بهم منتصبو القوام مرفوعو الأيدى . . تسطع أعينهم بهذا اللهب المقدس والذي تعكسه العيون عندما يكون الانسان فى نشوة روحية . . كان العلم يهبط من ثانية لأخري ولكن هذه الثوانى كانت تعدل عندى الدهور ذلك أن روحى حلقت لأول مرة كيما تشرف علي هذا الوطن العزيز وتفكر فى أمره ولست أستطيع أن أصور لك أحساسى ساعتئذ فلست أشك فى أنه كان احساساً غامضا لم يتضح بعد .. فقد كنت قريب عهد بحياة من نوع آخر لم تكن مما يساعد على توضيح المشاعر الوطنية . . واذن فقد كانت المشاعر تتلاطم فى نفسي وتتجاذب .. وعندما وصل العلم الى مستقره وتلقاه الرئيس وصاح بنا « جماعة — اعتدال » أحسست بمولود جديد قد نما فى روحى وأفكارى ولم يكن من الوضوح بحيث أعرف ما هو وما هي حدوده ولكنه كان من القوة بحيث أشعر بوجوده فى نفسى . . ولقد كان ذلك يملأنى رضا واغتباطا بالحياة . .

وعندما أعطانا الرئيس الأمر بالانصراف أخذت أنظر الى ما حولى من الفضاء والرمال والنيل الذى ينساب فى ليونة وعذوبة . . وهذه الجبال التى تقع الى يسارنا والتى سنرتقيها فى الصباح كيما نهبط بعدها الى وادى الملوك والملكات . . أما على الضفة الأخرى للنيل فقد بدأت أنوار الأقصر تطالعنا وهذا الفندق الشهير « ونتر بالاس » قد انكفأت أضواؤه فى المياه فأخذت تتلاعب بها . . وشرع الظلام يرخى سدوله وأخذت العوامل والكائنات تزداد فتنة . . نظرت حولى وفوق رأسى واستنشقت عبير الهواء المحيط بى فاذا بى استنشق طويلا وأفتح صدرى ورئتى للنسيم كأنما أريد أن أطوى هذه الكائنات وهذا الجمال فى أعماق نفسى . . لقد كان يوماً خالدا من أيام حياتى وبالرغم من أنه قد مر عليه حتى كتابة هذه السطور ثمانية أعوام لأنا كنا فى ديسمبر سنة ١٩٢٨ فلا يزال منقوشاً بكل حوادثه حتى التافه منها فى ذاكرتى . . ذلك أنه كان بدأ التطور فى نفسى ودخولى الى عالم جديد . . ولقد كنت أحس هذا التطور وهو يتم بشدة وأنا جد مبتهج . . حتى اذا جلسنا هذا المساء حول النار تتجاذب أطراف الحديث طلب منى أن أتكلم فساءلت اخوانى أيشعرون جميعاً بالسعادة التى أشعر بها . . أم أنها وقف على . . لقد كان يخيل الى انى أسعد الناس طرا فى هذه الساعة . . ولعمرى فقد عشقت مصر وأمتلأت غراماً بها وهياما وأى شيء فى الدنيا يملأ الحياة سعادة وهناء أكثر . . من الحب .

***

فى وادى الملوك

كان علينا أن نبكر فى اليوم التالى لزيارة وادى الملوك وقد أخذنا نتسلق هذه الجبال الشامخة حتى أشرفنا على وادى الملوك .. فشرعنا فى زيارة المقابر المختلفة .. هذه لسيتى وتلك لرمسيس . . وثالثة لتوتعنخ وقد كنت فى كل مرة كلما انتهيت من زيارة احدى المقابر أشعر بالوجوم وبالرغبة فى البكاء فهذه الدهاليز داخل الجبل كانت تملأنى اكباراً لهذا الجهد الجبار الذى نحتها .. حتى اذا توسطنا حجرات الدفن وأبهاءها راعتنا كل هذه الألوان وكل هذه النقوش والتى خيل الى ساعة أن وقع بصرى عليها للمرة الأولى أن مصلحة الآثار قد فرغت من اعادة طلائها أخيراً .. فسألت من حولى متى دهنوا هذه الألوان للمرة الأخيرة .. فأجابونى بضحكة فيها كل معاني السخرية والاشفاق من هذا الجهل .. ذلك أن الألوان قد نقشت منذ نيف وأربعة آلاف سنة .. وعلى الرغم من سخريتهم فانى لم أصدق هذا القول ساعة أن قالوه لأنه كان يبدو مستحيلا ولم أكن من هؤلاء الذين يصدقون كل ما يقال لهم .. أجل .. مستحيل .. مستحيل أن تكون هذه الألوان الزاهيــة .. هذه النقوش البراقــة مستحيل أن تكون هى بذاتها من صنع الفراعنــة وهى التى يبدو بجلاء أن النقاش قد فرغ منها بالأمس . . ومع ذلك فقد أكدوا لى هذه الحقيقة مرة ثانية وثالثة فامتلأت بهذا الوجوم الذى أشرت اليه ذلك انى أخذت أفكر فى هؤلاء الاقوام ومدنيتهم . . هذه المدنيــة التى بدأت تبدو لى بكل إعجازها . . فهذه القصور المشيدة فى باطن الجبل ومن صميم الصخر . . ترى ماذا يمكن أن تكون هذه

الأيدى التى نحتتها .. وما هى هذه الآلات التى استعانت بها .. ماذا يمكن أن تكون هذه الآلات التى تذيب الصخر وتحيله كأنه العجينة اللينة حتى تنحت فيه هذه الدهاليز وهذه الحجرات وهذه الأعمـدة . . أنمدنية القرن الحديث بكل ما تملك من نظريات ومخترعات وأدوات لتملن اكبارها لهذا العمل المعجز فما قيمة ما وصلت اليه البشرية من علوم وفنون وطيارات وبرق اذا كان ماقام به أجدادنا منذ ألوف السنين يبدو بالنسبـة لنا معجزاً ومحيراً للألباب .. وفى مقابر الملوك لا يسعك الا أن تسائل نفسك سؤالا لاجواب له .. فعلى أى ضوء نقشت كل هذه الرسوم الدقيقة والتى تزين الجدران بل تزين الأرض تحت قدميـك وتزين سماء الحجرات مادام أنه من الواضح أن نور الشمس لايمكن أن ينفذ الى داخل الجبل .. تحت أى ضوء استطاع الفنان الماهر أن يجيد هذه النقوش وأن يبرزها هكذا فى كل هذه الفتنة وهذا الرواء والذى يحتاج فى إتمامه لنور ساطع كضوء النهار .. يقولون ان نوراً واحدا هو الذى لايرسل دخانا ولا يترك آثاراً وهو نور الكهرباء .. فهل عمل الصانع المصرى فى ضوء الكهرباء .. هذا هو السؤال الذى لايجيبك عليه فطاحل العلماء .. وأنت مضطر أن تسلم بعجزك وأن تعترف أن هؤلاء الجدود قد عرفوا من أسرار الطبيعة وفنونها مالم نعرفه حتى الآن .. وعلام نذهب بعيـداً ونتساءل عن الضوء فهذه الألوان فى ذاتها .. هذه الألوان الباهرة بأحمرها وأزرقها وأصفرها كيف استطاعت أن تقاوم كل هـذه الالوف من السنين وأن تبقى حتى اليوم لامعة ساطعة كأنما فرغ منها الفنان منذ لحظات . . يقولون ان ألمانيا الحديثة هى أمة

الـكيمياء . . يقولون انهم يستطيعون أن يخرجوا من الهواء سمادا وأن يحولوا كل شيء الى غذاء . . يقولون إنهم يحولون العناصر وإنهم يصطنعون كل شيء .. فما بال ألمانيا بعلومها وجامعاتها وعلمائها عاجزة عن أن تدرك السر فى ألوان مصر القـديمة وأن تخرج من الألوان مايقاوم البلى بضـع عشرات من السنين لامئات من القرون كما هو الحال مع قدماء المصريين مابال علماء الألمان بل الدنيا بأسرها يقفون حيارى أمام هـذه الألوان الساحرة والتى هزأت بالزمن وهزأت بالشمس والمطر والحرارة والبرودة وكل الظواهر الجوية . . هزأت بكل عناصر الفنـاء وبقيت حتى اليوم تسطع فيخيـل اليك أنها قد صنعت بالأمس أليس هذا اعجازا أى اعجاز وأليست علوم القرون الحـديثة لايزال أمامها أشواط وأشواط كيما تدرك أسرار علوم مصرنا القديمة وفنونها .؟ على أن معجزة الألوان ليست هى المعجزة الوحيدة التى تنطوى عليها مقابر الملوك وتثيرها فى نفسك . . بل أنها لتحمل معجزة أكثر عمقا وتأثيراً وأعنى بها تحنيط الموتى .. فهـذه القدرة العجيبة على حفظ الجسم من الفناء عشرات الألوف من السـنين تبـدو بالنسبة لعلوم القرن العشرين عملا مستحيلا . . وكل ما استطاعوا الوصول اليه هو أن يحنطوا الجسد سليما لعـدة سنوات كما فعلوا فى الروسيا بجسد لينين . . على شريطة أن يعيدوا تحنيطه من عام لآخر . . ولم ينقض على هذه العملية عشرين سنة حتى بدأ الانحلال يدب الى الجسد . . وقد لاتمضى سنوات أخرى حتى يستسلم جسد زعيم الشيوعية الي الفناء وهذه هى كل مقـدرة الحضارة فى القرن العشرين . . أما علوم أجدادنا فقـد

استطاعت أن تحافظ على أجساد الفراعنة هـذه الألوف من السنين . . ولست أقول تحافظ على هيا كلها . . بـل تحافظ على أدق خواصها فقـد استطاع الأطباء أن يشخصوا كثيرا من أمراض مصر القـديمة عن طريق هذه الأجساد المحنطة فقد وجـدوا فيها آثار العمليات الجراحية المختلفة ووجدوا فيها كثيرا من الظواهر التى تخلفها بعض الأمراض . . ولا زالت هذه الأجساد قادرة على أن تقطع عشرات الألوف من السنين لو أنهم لم يزعجوها من مراقدها ويخرجونها من هذه القبور التى أعدت لحفظها ولصيانتها والتى تتناسب وعظمتهم ومجـدهم . . كما يحشرونها حشرا داخل دواليب زجاجية فينظر اليهم الناس كما ينظرون الى قطعة الاثار أو دمية من الدمى . . فيتطرق اليهم الفساد ويتعلم الناس واحسرتاه كيف ينسون جـلائل أعمالهم وهم يرونهم كالرمم تعافهم الـكلاب . . ياله من اجرام مابعده اجرام . . ويالها من شناعة وقذارة . . ان المهانة التى تعيش فيها مصر اليوم والذل الذى تعانيه وظلمات الجهل التى تـكتنفها والتى يرمز لها سوء معامـلة الأجداد والعبث باجسادهم وعرضهم فى المتاحف لايمكن مقابلتها الا بشىء واحد وهو هذه العظمة وهذا الخلود الذى سطره هؤلاء الأجداد . . حاضر مصر وماضيها هما كطرفى نقيض كالعدم والحياة والنور والظلام واليأس والرجاء .

كنت أفكر فى ذلك كله فامتلأت بالوجوم والحسرة وأنا أقوم بهذه المقارنة بين الأمس واليوم . . وأنا أستعرض مظاهر الجحود والنـكران لاجدادنا . . بل أستعرض الشقة البعيدة التى تفصلنا عنهم . . ذلك أن المصريين قد قطعوا كل الصـلات التى تربطهم بهؤلاء الجـدود فأخذوا

يتحدثون عنهم ويشاهدون أعمالهم تماما كما يفعل السواح والأجانب . . استغفر الله بل أقل تقديسا واحتراما مما يفعل السواح . . فالمصرى يخيل له اذ يسمع حديث قدماء المصريين أن هؤلاء قوم كانو من العفاريت لايكاد يتمثل صورتهم فى ذهنه وفى خياله الا كما يتصور الغيلان ومردة الجان .

كنت أفكر فى هذا وأشباهه ونحن نتحسس طريقنا نحو المعسكر وسرعان ماشعرت بالدم يغلى فى عروقي . . وأحسست بدقات قلبى وقد تزايدت . . ولم أكن أميز الطريق تحت قدمى فكنت أصطدم وأتعثر وانى لأذكر أننى سقطت الى الأرض أكثر من ثلاث مرات فى ذلك اليوم وعندما عدنا الى المعسكر وجلسنا لنتناول العشاء اذكر أننى لم أتذوق طعاما . . كنت أرى اخوانى وزملائى يملأون الدنيا صراخا وتهليلا ويضحكون ويلعبون فامتلأت دهشة واعجابا اذ اقارن ذلك عما فى نفسى وما فيها من ثورة وغضب وضيق .. وبينما كانوا يتجاذبون أطراف الحديث حول النار كما هى عادتهم هذا يقص نادرة وذاك يمثل دورا من الأدوار وثالث يغنى احدى المقطوعات الحديثة .. تمددت بعيدا عنهم فوق الرمال وكان القمر يرسل أشعته فيغمر الكون بالهدوء والسلام . . بينا كانت مياه النيل تتكسر على الشاطيء الرملى فى خرير ودوى خافت فأخذت أسائل نفسى ترى ماذا كانت عليه هذه البقاع وأى أناس كانوا يجلسون جلستى هذه وأى أفكار كانت تدور فى رؤوسهم . . وسرعان ماأحسست أن الحاضر لايفترق عن الماضى وأن النفس البشرية هى هى فى كل عصر وزمان وأن المادة لاتفنى والجواهر لاتتغير وكل ماتتناوله الأيام بالتغيير

هى الأعراض التافهة . . فمما لاشك فيه أن النيل كان يجري كما يجرى اليوم . . وأن هذه النجوم كانت تلمع كما تلمع اليوم . . وليس شك فى أن كثيرا من الناس قد جلسوا مجلسى هذا على مر السنين يستدفئون بضوء القمر ويرسلون لخيالهم العنان . . ولو أن هذه الجبال التى تحيط بنا أنطقها الله لحدثتنا عن هؤلاء الذين اعتادوا أن يسيروا فوقها منذ ألوف وألوف من السنين . . ولأدهشنا أن نسمع منها أننا جميعا نتشابه وأننا نضحك كما كانوا يضحكون وأن تقاسيم وجوهنا كتقاسيم هذه الوجوه . . وأن كل شىء كما هو وليس يميزنا الا شىء واحد وهو هو الذى يؤخرنا ويشقينا وهو هو الذى يعذبنا ويذلنا . . وذلك الشيء هو أننا جهلاء . . جهلاء ببلادنا . . جهلاء بتاريخنا . . جهلاء بأنفسنا . . جهلاء بقدرتنا .

* * *

بين صخور الكرنك

وجاء دور الكرنك فاقترحوا علينا أن نزوره فى ضوء القمر أى فى المساء المتأخر . . وقد فعلنا . . ولكن زيارة المعبد فى المساء لا بد لها من تصريح خاص فالخفراء يغلقون الأبواب ويتهيأون للنوم واذن فقد كان لا مناص من الانتظار . . والانتظار الطويل حتى يرد لنا التصريح بالزيارة . . فجلسنا أمام هذه البوابة الشامخة والتى تزرى بأقواس النصر التى رأيتها فيما بعد فى باريس وروما ولندن ولكنى ساعتئذ لم أكن أقارن ولم أكن أعرف ولذلك فقد كنت مبهوراً إزاء هذا الجلال وهذا الشموخ الذى يملأ

النفس احساساً بالعظمة والقوة . . قوة هؤلاء الذين رفعوا هذه الاحجار فأصاروا هذه الجدران المتسامية نحو السحاب وأقاموا هذه البوابة الضخمة الرائعة

قلت لك إنهم ذهبوا لاستحضار التصريح فجلسنا فيما يسمونه طريق الكباش واحتطنا بهذه الحيوانات التى أودعوها العقل القوة .. وكان كل ما يحيط بنا يبعث السحر فى النفوس .. فالقمر والسكون وهذه الجدران .. بل هذا المكان الذى وقفت فى ظله يوماً من الايام عشرات الألوف من الناس تلتمس البركة وتدعو الله .

هذا المكان الذى شاهد جيوش مصر الظافرة تروح وهى ممتلئة بالقوة والحماسة وتعود وهي تهزج أهازيج النصر .. والذى شاهد ملوكا تجىء من آخر الدنيا مصفدة بالاغلال لتقدم خضوعها للامبراطور المصرى .. وأى كنوز تلك التى اجتازت عتبة هذه الأبواب يشيع منها بريق الذهب فيملأ هذه الارجاء ثروة وغنى . . هذه هى البقعة التى وقفنا فيها حتى يجىء التصريح بالدخول فاذا باحساسات قوية تغمر نفسى واذا بى أنطلق فى ترتيل أناشيد رواية (مجد رمسيس) تلك التى ألفها الاستاذ محمود مراد سنة ١٩٢٣ فصور بها مجد مصر الغابر وأودعها كل أمل المصريين فى مستقبل زاهر فأخذت أهتف من الاعماق يصاحبنى بعض الرفاق الذين يحفظون هذه الأناشيد .

« سودى على رغم الزمن يا مصر يانعم الوطن »
« دوسوا العدا يوم الردا لبوا الندا كونوا فدا »

وتملكتنى الحماسة فأخذت انتقل من نشيد الى نشيد . . ثم رأينا أن

نعيد تمثيل الروايه لحناً لحنا وكلمة كلمة .. ثلاث ساعات قضيناها أمام أبواب الكرنك نرتل اناشيد المجد والفخار . . ولعل هذه الأناشيد وهذه الهتافات قد اعادت الحياة الى هذه التماثيل الجاثمة طوال طريق الكباش ولا شك أن هؤلاء الاطفال الذين وقفوا يرتلون اهازيجهم قد اعادوا اليها بعض ذكريات الماضي السعيد عند ما كانت اصوات الألوف ترتفع بالغناء تمجيدا لله ولفرعون وتنتظر التصريح لها بالدخول . . وكما كانوا يصرحون لهم بالدخول كذلك جاءنا التصريح ففتحوا لنا الأبواب . . واجتزنا عتباتها .. وقد كان دمى يجرى حارا فى عروق اثر هذه الأناشيد . . وكان قلبي يخفق لاجتيازى هذا الأثر المتيد والذى طالما حدثوني عنه . . وكنت أريد أن التهم كل مايحيط بى . . وأن أحمله معى وأن اخبئه فى طيات نفسى . . اجتزنا هذه الدهاليز التى تصادف الانسان أول ماتصادفه فوقفت وزملائى نعجب لهذه القدرة الخارقة التى رفعت هذه الجدران وسوت هذه الأعمدة التى تناطح السحاب .. وقفنا بجانب هذه الأعمدة فاذ بالمكان يبلعنا ولا نكاد نشعر بوجودنا . . وساءلت نفسي هل يوجد في الدنيا بأسرها أضخم من هذه الأعمدة .. وهل وجد على سطح الأرض صناع حاكوا قدماء المصريين؟ ولم نكد نتمالك روعنا حتى فاجأنا ماهو أضخم .. فاجأنا دهليز الاثنى عشر عمودا والذي يزرى بكل مارأينا وبكل ما يمكن أن نراه فى المستقبل الله اكبر .. تجلت قدرته وتقدست اسماؤه .. هل يمكن أن أصف لك ماذا رأيت . . هل يستطيع الفنان مهما أوتى من حذق ان ينقل لك الجمال والعظمة فما بالك ولست فنانا . . ولست أديبا . . ولست من حاذق الكتابة . .

ماذا أقول عن هذه الأعمدة التي تخيل للانسان ان لا نهاية لها . . ولا حد لجمالها وعظمتها .. ولكني احدثك عما كان يدور في نفسي.. وإني لأتصور نفسي كما كنت ليلتئذ . . لقد كنت معقود اللسان جاحظ العينين . . بينما كان زملائي يعلقون ويظهرون اكبارهم ودهشتهم كنت لااستطيع أن أن أحير جوابا أو أنبس ببنت شفة .. ولقد احسست بقلبي يدق دقا عنيفا وبرأسي تتصاعد اليها أبخرة غريبة . . وكان ذلك كله يتزايد ويتضاعف كلما انتقلنا من مكان الى آخر ومن حجرة الى حجرة . . وفجأة اذا بي أرى نفسي فوق صخرة من هذه الصخور المبعثرة هنا وهناك ووقفت خطيبا أخطب الزملاء فيما يجب ان نقول وما يجب أن نعمل . . هذه العظمة التي تحيط بكم ليست غريبة عنكم . . هؤلاء الذين شادوا كل ذلك قد أورثوكم عزمهم وقوتهم . . ومصر التي حملت لواء الانسانية في يوم من الأيام يجب أن تبعث من جديد كيما تعيد سيرتها الأولى . . وأخيرا يجب أن ننفض عنا غبار الخمول والكسل . . يجب أن نملأ أنفسنا ايمانا وعزما . . يجب أن نتذرع بالشجاعة والقوة . . يجب أن نعمل وأن نعمل حتى نبعث مصر بكل قوتها بكل جلالها وبكل عظمتها .

ولقد صفقوا . . أما أنا فقد كنت مذهولا لانني لأول مرة في حياتي كنت أخطب وارتجل . . لأول مرة في حياتي . أستطيع أن أقول بضعة عبارات دون أن أتلعثم أو أتوقف . . لأول مرة في حياتي عرفت أن اتكلم كنت مندهشا لهذا الانقلاب .. فان حياتي السابقة على هذه الزيارة كانت تحول بيني وبين الارتجال أو الخطابة فقد كنت من غواة التمثيل وكنت

رئيسا لفرقة التمثيل فى المدرسة الخديويه وكنت شغوفا بالتمثيل مفتونا به .. والممثل لا يستطيع الا أن يردد الكلمات التى حفظها من قبل فتتعطل فيه ملكة الارتجال وتقوى فيه ملكة الحفظ .. وكذلك كنت .. ولذلك فقد كانت لى مواقف .. كثيرا ما اخجلتنى .. فقد دعيت مرة من المرات أن اشكر بعض الناس فلم اقل سوى بضع عبارات فى تعثر وخفوت .. وفى مرة أخرى حاولت أن اتكلم فعجزت . . أما هذه الليلة فقد خطبت . . خطبت بقوة خفية . . خطبت بكل قلبى بكل دمى بكل صوتي .. الا فهتافه لنفسى وتهليلا فقد بعثت من جديد مخلوقا جديدا . . وعندما كنا نجتاز عتبات المعبد فى سبيلنا الى الخروج ارتفع صوتى فى حماسة وقوة .

« سودى على رغم الزمن   يامصر يانعم الوطن »

« دوسوا العدا يوم الردا   لبوا الندا كونوا فدا »

ولكن شتان بين انشادى هذه المرة وبين انشادى لها منذ ساعة قبل أن ندخل المكان .. لقد كان انشادى لها من قبل تمثيلا وغناء .. وتسلية ..أما الآن فقد كنت أقولها وهي تخرج من اعماق قلبي.. كنت أغنيها وانا أومن بكل حرف من حروفها .. وانا ارفع ذراعى ورأسى مقسما ومعاهدا .. لقد بعثت .. لقد بعثت .. وهكذا يجب ان يبعث كل شاب فى مصر , . لقد خلقت من جديد وهكذا يجب أن يخلق كل شاب فى مصر لقد كنت انظر الى أعمدة الكرنك وآثاره لا على اعتبار انها آثار بل كانها شيء حي يتكلم لقد وقفت امام المسلة المرتفعة هناك ووقفت امام البركة وأمام مئات التماثيل المبعثرة هنا وهناك .. وقفت كأنما أتلقى الأوامر والتعليمات .. وقد كان كل

متر من الأرض . . بل كل شبر يحدثني عن القوة والمجد . . وكنت أرى الجيوش المحتشدة التي سارت خلف تحتمس ورمسيس والتي فتحت دنيا ذلك الزمان . . وكنت اسمع اهازيج الانتصار واتمثل النور الذي كان يسطع من هذا المكان . . وفي كلمة لقد بعثت . . لقد بعثت ولقد صرت مخلوقا جديداً . .

وعند ما رقد الكل في خيامهم ظللت ساهرا متوليا الحراسة . . وجلست حول النار أشاهد السنتها وهي تتقاتل وتتشاحن ويحرق بعضها بعضا . . وكانت في يدي عصاة أخذت أعبث بها في التراب بينما كان عقلي مشغولا وروحي هائمة .. وكل شيء في يبحث خلف العلاج والحل لهذا اللغز .. ماذا .. ماذا يجب أن نعمل كيما نستعيد كل ماضينا الذهبي . . ماذا يجب ان نعمل كيما نعيد الحياة الى هذه الاطلال . . كيما نعيد الأمل الى هذه النفوس . . كيما نبرز كل فضائلنا التي غطت عليها الرذائل . . ماذا نفعل وما هو الطريق . . نظرت الى السماء استمد منها الجواب . . ولكني لم اتلق جوابا وكانت يدي تعبث بالرمال وتخط عليها خطوطا وقد أحسست أنني شرعت في كتابة شيء . . فكملت الكتابة وطالعت ما كتبت فاذا بها كلمة واحدة ولم تكن سوى . . . الايمـــــان

* * *

خزان اسوان

انتقلنا وفقا لبرنامج الرحلة لزيارة مدينة اسوان . . واسوان مدينة جميلة كالعروس .. فاجأتنا بجوها الساحر ورشاقتها وقد علمونا ان الذاهب الى اسوان كالذاهب الى الجحيم سواء بسواء . . عودونا أن يكون نقل الموظف الى اسوان نوع من العقوبة والنفى . . فلا يرسل اليها الا موظف مغضوب عليه .. حتى لقد تمثلت اسوان فى رؤوسنا قطعة من الجحيم ان لم تكن الجحيم بذاته . . ولذلك فقد كان مفاجئا وكان مسعداً أن نرى كل هذا الجمال وكل هذه الفتنه . . فمياه النيل الزرقاء ينبثق على جانبها الغربى تلال صفراء ويتوج ذلك كله سماء صافية وشمس ساطعة فى غضون الشتاء انها لنعمة وأية نعمة . ويتصل باسوان ولا يبعد عنها باكثر من بضعة كيلومترات الخزان والشلال الذى اسرعنا اليه غداة وصولنا الى اسوان واذا كنت لاتزال تذكر هذه الانفعالات التى طافت بنفسى واذا كان الكرنك قد نال من نفسى الذى نال .. فقد كان تأثير خزان اسوان هو الحلقة الأخيرة التى طغت على كل حواسى وتفكيرى وقررت مستقبل حياتى نهائيا واذا كان الكرنك قد اشعرنى الحاجة الى الايمان بعظمتنا كما يبعث مجد مصر القديم . . فقد منحنى خزان أسوان هذا الايمان وأشعرنى بأننا عظماء فعلا . . وكل ما هنالك أننا لا ندرى ذلك فان قليلا من المصريين هم الذين جاءوا الى هذا المكان ووقفوا موقفى هذا وشاهدوا ماذا فعل احفاد الفراعنة .. وماذا فعل بناة الأهرام والكرنك ومن حولوا مجرى النيل . . فان خزان

أسوان يذكرك بهذه الأمجاد البعيدة ويقربها الى قلبك وعقلك لأنك تراها من جديد .. ياإلهى ما أعظم هذا العمل الجليل .. أن ترى مياه النيل محجوزة خلف سد شامخ لابد لك من نصف ساعة كيما تقطعه سيرا على الأقدام .. أن ترى هذا الحائط الذى يناطح السحاب من صنع الانسان والمياه تتدفق من بعض عيونه فيصم زئيرها الآذان . . ويملأ هديرها الأجسام ارتعاشاً ورعبا خفيا .. وهذا الزبد أشبه شيء بالقطن يغلى فيتناثر منه رذاذ يملأ أجواء الفضاء وتتسلط عليه الشمس فتتحلل أشعتها وتستحيل الى بنفسجية وحمراء وزرقاء . . يا له من مشهد خالد لا ينساه الانسان مدى الحياة .. لقد ظل هذا المشهد يساور أحلامى ويملأ على ذكرياتى حتى وقفته ثانية بعد سبع سنوات عندما شرعت فى القيام برحلتى خلال الوجه القبلى تلك الرحلة التى ستبقى الى الابد حدثاً هاما فى تاريخ مصر الفتاه . . سبع سنوات كاملة هى التى فصلت بين زيارتى الأولى لخزان أسوان وزيارتى الثانية . . ولست أدرى كم سيمر على من الزمن أيضا حتى أعود من جديد لزيارة خزان اسوان .

ولقد وقفت أمام الخزان فى هذه الأيام الأولى وأنا أشاهد المياه المنحدرة من بعض عيونه فى عنف وقوة وقد توارد الى رأسى كل ماقرأته عن امكان توليد الكهرباء من هذا الخزان . . وكنت أستعيد مايقولون فامتلىء غيظاً وكمدا لهذا الاهمال وهذا التهاون فيما يحقق الثروة والمجد لمصر . . يقولون انه يمكن توليد الكهرباء من خزان اسوان فيستطيعون تسيير جميع السكك الحديدية فى أنحاء مصر ويوفرون بهذا خمسة عشر مليونا ندفعها

سنويا ثمنا للفحم اذا ما ارتفع ثمنه قليلا . . ويقولون بل ويستطيع أن يمد القرى كلها حتى الاسكندرية بالضوء والحرارة اللازمة للأعمال الصناعية ويقولون إن هـذا الخزان كفيل بأن يجعـل مصر قطرا صناعيا . . اذن ما الذى يؤخرهم . . ما الذى يقعدهم . . لماذا لايولدون الكهرباء من خزان اسوان . . لماذا يتركون كل هذه الثروة تتطاير فى الهواء . . لماذا يدعون القوة والحياة تنساب الى البحر . . ثم ينعون علينا أننا شعب فقير . . أننا شعب حقير . . أننا أمة زراعية لا تصلح للصناعة لأن الفحم لايوجـد فى بلادنا . . وهذه الكهرباء . . هذه الكهرباء التى تزدرى بالفحم مابالها وعلام لانستغلها ؟ أوليس خداعا اذن كل مايقصوه علينا من عجز مصر .. أوليس تمويها وتغفيـلا هذا الذى دسوه علينا فى كتبنا وصحفنا وعلمونا اياه فى المدارس والمعاهد وفى كل مكان وأعنى به أن مصر لاتصلح للصناعة ؟ ! لأول مرة أحسست بجريمة الانجليز على هذا الشعب بمقدار ما أفقدوه كل معنويته ودسوا عليه الشك فى قدرته وقدرة بلاده .. لأول مرة أحسست بجناية الاحتلال على هـذا البلد وبمقدار ماتمثل انجلترا على عرقلة هـذه الأمة وتطورها الى الامام . . لو أنهم تركونا وشأننا لاستخرجنا الكهرباء منذ سنوات وسنوات . . وملأنا الدنيا مصانع ومعاهد ألم تكن مصر منذ نيف ومائة سنة تزخر بالمصانع التى لاتنتج الطرابيش والمنسوجات والزجاج فحسب ، بل والمدافع والذخائر والأساطيل .. ومع ذلك فها نحن بعـد مائة عام من هذه النهضـة يعلموننا أن مصر لاتصلح للصناعة لأن القوى المحركة لاتوجد بها . . لقد عدت من زيارة الشلال

ونفسى مليئة بالسخط على الاحتلال والحكومات الضعيفة وعقلى مشغول بالتفكير فيما يمكن أن تكون عليه مصر . غدا عندما تستطيع تحقيق هذا المشروع .

عدت من الخزان . . بل عدنا من الخزان وكيفية عودتنا تحتاج الى تسجيل . . لأننا عدنا سيرا على الأقدام . . من الشلال حتى اسوان ولم اكن أعرف مقدر المسافة وقتذاك ولكني عرفتها فيما بعد عندما عاودت السير فى هذا الطريق مصحوبا برفقائى من مجاهدى مصر الفتاة . . عدنا وكان الطريق وعرا فى أحشاء الصحراء . . وكانت الشمس محرقة والرفقاء صغار لاعهد لهم بالسير فطلب منى رئيس الرحلة أن أنشد لهم أناشيد رمسيس ومجد رمسيس . . وأن أرتل قبل كل شيء نشيد السلامة . . والذى حفظوه من كثرة التكرار . . ولذا فقد صحت بهم هلموا يارفاق . . واحد . . اثنين

اسلمي يامصر اننى الفدا ذى يدى ان مدت الدنيا يدا

أبدا لن تستكينى أبدا اننى أرجو مع اليوم غدا

ولما انتهى النشيد هتفت بغيره . . حتى اذا اقتربنا من المدينة دبت الحماسة الى عروقنا ونفضنا عن أنفسنا مظاهر التعب والكلال . . ونظمنا صفوفنا على أبواب المدينة . . وسرنا أربعة أربعة وأخذنا نقرع الأرض بأقدامنا وقد رفعنا رؤوسنا الى السماء وارتفعت أصواتنا من جديد

اسلمى يامصر اننى الفدا ذى يدى ان مدت الدنيا يدا

وعلى هذه الصورة الجيدة دخلنا اسوان منذ سبع سنوات واجتزنا

شوارعها الرئيسية فوقفت الناس على جانبي الطريق تصفق .. وفتحت النوافذ وانطلقت منها الزغاريد . . وخيل الينا أننا عائدون من الحرب فاتحين منتصرين . . ياللذكرى ويا لجلالها ماأروعها وما أكثر تأثيرها فى نفسى فلقد كانت هذه هى العناصر التى تألفت منها فيما بعد مصر الفتاة .

* * *

كوم امبو

لم نكد نفرغ من زيارة اسوان والشلال ونستعد للعودة الى القاهرة حتى تلقينا دعوة من أحد رفاقنا فى الرحلة لنقبل ضيافتهم فى كوم امبو ولنشاهد مزارع القصب ونزور مصانع السكر وطلمبات الرى . . ولقد قبل رئيسنا الدعوة شاكرا ونزلنا فى كوم امبو فرأينا فيها عجبا وسمعنا ماهو أعجب .. رأينا فيها مصانع السكر الضخمة والتى لا يكاد يتصور الانسان ضخامتها أو أن يتصور أن فى مصر صناعات بهذه الدقة وهذا الاحكام .. وعلى الرغم من مضى زمن طويل على هذه الزيارة فلا زلت أتمثل هذه الكتلة الضخمة من الآلات والتى ترتفع فوق بعضها فى طبقات مختلفة ليصعد اليها الانسان بدرجات فوق درجات .. والعمال المصريون وسط ذلك كلـه يشرفون على اعمالهم فى حذق ومهارة ومثابرة .. ولأول مرة أرى عملية صناعية فيأخذ بلبى تحويل المواد من حالة الى حالة فالقصب وهو ينظف ثم يقطع ثم يعصر .. ثم يرشح ثم يركز .. وهكذا . . وهكذا عـدة عمليات يتتبعها الانسان فى شوق وشغف حتى تصل إلى نهايتها فيرى السكر وهو يعبأ فى الأكياس ثم يحمـل الى الخارج كيما يشحن الى القاهرة ليكرر فى مصانع الحوامديه

والتى حدثونا عن ضخامتها التى لا حد لها . . ولقـد حدثونا عن الارباح الطائلة التى تغنمها شركة السكر .. وعن رأس المال الضخم الذى اصبحت تمتلكه والذى بدأت به صغيراً . . وهنا ولأول مرة اصطدم باستغلال الأجانب للمصريين وافكر طويلا فى دلالات ذلك وما ينطوى عليه . . ولكن المشكلة لم تأخذ شكلها الصريح الا عند ما زرنا طلمبات الرى وعرفنا أسرارها .. فقد رأينا أربع أنابيب ضخمة قد ركبت على النيل ولا زلت اذكر أن المهندس الذى كان يحاضرنا أخبرنا أن هـذه الأنابيب هى أضخم أنابيب من نوعها فى العالم وأنها تأخـذ ١/٢ من مياه النيل فى أيام التحاريق ولست أعرف مدى دقة هـذه المعلومات وصحتها ولكنها كانت كافية لازعاجى وخصوصاً عند ما علمت أن هذه الشركة الأجنبية قدوضعت أيديها على ألوف من الأطيان فى هـذه الناحية بثمن تافه لا يزيد عن بضعة قروش للفدان وأنها الآن قد تحولت الى أرض كأجود الأرض أى أن شركة كومبو قدأصبحت مستعمرةأجنبيةعلى أرض الدولة وحكومةداخل الحكومة وان ألوفا من الفلاحين المصريين يعيشون فى حالة رق لهذه الشركة الأجنبية التى تستنزف كل مجهوداتهم فى نظير ثلاثة او اربعة قروش لكل عامل . . لقد كانت هذه المعلومات كافية لاشعال نار الثورة فى صدرى . لماذا . . لماذا نعيش فى بلادنا فقراء وخدما وعبيداً للأجانب.. لماذا يجىء هؤلاء الناس الى مصر بقروش قليلة فيصبحون من أغنى الأغنياء .. لماذا يسخرونناولماذا يتحكمون فينا ويملكون علينا كل شيء . حتى الأرض .. الأرض التى هى ملك لنا والتى نزرعها منذ الوف السنين يغتصبونها منا..وفى ظل الاحتلال

وفى ظل الامتيازات يعرفون كيف يكبلون اعناقنا فى خدمتهم . . لماذا لا تكون هذه الأراضي ملك للدولة . . لماذا لا توزع على هؤلاء الفلاحين الفقراء . . فى أى قانون وبأى نظام وبأية شريعة يشقى احفاد الفراعنه والعرب والذين سادوا العالم وعلموا الدنيا . . لماذا يارب يشقون من أجل الأجانب . . ويكدحون من أجل الاجانب . . وهم فى نهاية الأمر شعب منحط صغير لا يصلح الا للعبودية .. لا .. لا .. ان نفسي تثور وان روحى تتمرد على هذا الوضع المقلوب .. ولذلك فلم أكد أدع للكلام فى حفلة أقامها لنا احمد بك مصطفى مدير الشركة حتى اندفعت أخطب .. أخطب كما خطبت على صخور الكرنك .. واندفعت اهاجم الأجانب .. واندفعت ادعو من حولى الى معرفة حقوقهم والكفاح فى سبيل تحرير بلادنا .. وكان علينا أن نسافر بعد خمس دقائق ولذلك فقد شرع اخوانى يشيرون لى أن أنهي كلامى . . ولكنى نسيت كل شيء . . نسيت القطار ونسيت ميعاد السفر .. بل ولم أكن اعرف معني هذه الاشارات حتى اضطروا الى أن يحملونى حملا وأن يسرعوا بنا الى القطار والذى نجحنا فى ادراكه فى نهاية الأمر .. ولم يكد يتحرك القطار حتى عدت الى نفسي وشعرت كأنما استيقظ من حلم . . ذلك أن الحالة التى كنت فيها كانت اشبه شيء بنوبة المحموم ولم يكن يعنينى فى ذلك كله الا اننى قد خطبت للمرة الثانية دون أن أتلعثم . . دون ان اتردد . . خطبت للمرة الثانية مرتجلا . . وإذن فقد أصبحت أعرف التحدث الى الناس .. وان اتحدث اليهم من أعماق قلبى وان انقل لهم كل افكارى .. لقد كانت هذه بدء صفحة جديدة من صفحات حياتى

— ٢ —

من تاريخ حياتى

عدت من الرحلة بأفكار جديدة وآمال جديدة ومشاريع جديدة كذلك . . ولقد تطورت حياتي منذ هذه الساعة فى ناحية الكفاح السياسى تطورا سريعا . . ولعل هذا أصدق برهان على فوائد هذه الرحلات وضرورة تعميمها وجعلها جزءاً لايتجزأ من برنامج التعليم بل والتوسع فيها الى أقصى حد . . فيجب على كل طالب فى المدارس الثانوية أن لايتم تعليمه حتى يكون قد زار مصر من الاسكندرية حتى أقصى الحدود الجنوبية فى السودان . . وأن يزور أعلامها وآثارها ومصانعها وبلدانها . . وبهذا وبهذا فقط ينشأ جيل جديد يعرف بلاده حق المعرفة ومتى عرفنا بلادنا فقد أحببناها . . ومتى أحببناها فقد امتلأت قلوبنا بالحافز الذى يدفعنا للتضحية واحتمال الحرمان والعذاب من أجل حرية من نحب وسعادة من نحب . . ينشأ الطالب فى مصر ويكبر وهو لايكاد يعرف من امر وطنه الا الجدران الأربعة التى تحيط بمدرسته وبيته وبعض الشوارع التى يجتازها الى مدرسته وملاهيه فيخيل له أن وطنه كل الأوطان . . وأن الحياة هى أكل وشرب ومنام . . وربما أزعجته كلمة الوطن والدفاع عن الوطن لأنه يرى الأمر كله ليس الا خيالا فى خيال . . اوكما اعتاد كثير من الصبية الذين يحاولون ان يظهروا بمظهر العظمة والفلسفة أن يقولوا عنه (مواضيع انشائية) فشباب مصر يرى الكلام عن الوطن موضوعا انشائيا وليس ذلك الا اغراقا فى الجهل لاأكثر

ولا أقل . . ولكن عندما يركب الطالب ويذرع أرض وطنه من الشمال الى الجنوب . . وتمر به الساعات وهو فى القطار والمناظر تتوالى تحت انظاره مابين سهل وجبل ووديان ومياه وهذه كلها ليست الا بلاده التى ينسب اليها .. عندما يسافر الساعات الطويلة ثم يدخل مدينة او قرية فاذا بهم يتحدثون اليه بلغته واذا بهم يرحبون به ويتبادلون واياه اطراف الحديث فاذا مايشغل باله يشغل بالهم واذا بالذى يفرحه قد افرحهم .. واذا بالجميع وكأنهم عائلة واحدة واخوان متحابون .. هنا .. وهنا فقط سيدرك الشاب معنى الوطن الواحد والشعب الواحد ومعنى تضامن الأفراد .. وعند ما يشاهد الشاب آثار بلاده التى تحدثه عن مجد اسلافه وعظمتهم سوف يشعر بالفخار والعزة . . وعنـد ما يدرك موارد الثروة فى وطنه ويزور مصانعها الكبيرة فى كل مديرية وفى كل بلد فسيقف على مقدار الحيوية التى تسرى فى شرايين بلاده وسيمتلىء ثقة واعتزازا بنفسه .. ووالله ان هذه هى الدراسة الحقيقية لمن يريدون الدراسة وهذه هى وسيلة ازكاء الوطنية والروح المعنوية لمن يريدون ازكاءها . . فاذا كانت هذه الرحلات فى مجاميع تعيش فى نظام شبه عسكرى فان اثرها سيكون مزدوجا من حيث التأثير على الأخلاق وتكميلها . . فالحياة وسط الجماعة تعلم التعاون والاخاء والصراحة . . والعيش فى الخلاء وفى الخيام والسير على الأقدام والاستيقاظ فى وقت مبكر والنوم فى وقت مبكر كذلك . . وتحيـة العلم فى الصباح وفى المساء ومزاولة الألعاب الرياضية كل هذه من شأنها ان تنضج الرجولة فى نفوس الشباب وتفجر القوة الـكامنة فى اعطافهم وهى أخيرا توحد بين المشتركين

فيها وتجعلهم أسرة واحدة . . هذه هى الرحلات وهذا أثرها فى تكوين الجيل الجديد وبحسبك أن تعلم ان مصر الفتاة بأسرها مدينة لهذه الرحلة التى قمت بها فى عام ١٩٢٨ .. فقد علمتنى كيف أحب وطنى وكيف أمتلئ ايمانا بعظمته . . علمتنى أسرار القوة الكامنة فى هذا الشعب والسبيل الى ابتعاثها . . وأخيراً علمتنى أثر الأناشيد وحياة الجماعة والعسكرية فى نفوس الشباب . فكان ذلك كله هو أسلحتى التى استخدمتها فيما بعد كيما أقوم بهذا العمل الذي أخذت على نفسى تحقيقه .

ولقد طال حديثى عن أثر هذه الرحلة فى نفسي وما أحدثته من انقلاب فى أفكارى ولعل القراء بعد ذلك يتساءلون وماذا عكن أن تكون أفكارى قبل الرحلة وما هى العناصر التى كانت تجيش فى نفسى قبل ذلك التاريخ . . ولذا فانى أبادر بسرد طرف من تاريخ حياتى السابق على هذه المرحلة كيما تكمل الحلقات وتتسلسل الوقائع . . فلقد عرفت نفسى أول ماعرفت طفلا من مواليد القاهرة فى مارس سنة ١٩١١ أعيش فى أحضان أمى وأبى وأذهب الى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فى السنة التحضيرية لصغر سنى ولقد كان ذلك فى السنة الأخيرة من الحرب العظمى من غير شك فاني مازلت أذكر حتى الآن مناقشاتى مع بعض الرفاق فى أخبار الحرب وماذا فعل الألمان اليوم وماذا فعلوا بالأمس . . وما هى أعمالهم العظيمة ومخترعاتهم الجهنمية وأثرها الذريع فى جيوش الانجليز والحلفاء ولا شك أن هذه المعلومات كانت تصلنى بطريق النقل عن أخ لى كان مشغوفا بأخبار الحرب وتتبع حوادثها . . وكان يملأ البيت بأحاديثه عن

أعاجيبها . . ولقد أخذت نصيبي كطفل من مخاوف الحرب وأهوالها فكثيرا ما كنت استيقظ فى الفجر فاسمع صوت (الماجنات) وهن يعجن الخبز فيخيل الى أن هذا الصوت ليس الا صوت القنابل وهى تهدم البيوت وأنه لن تمضى بضع لحظات حتي ينهار السقف فوق رأسى وادفن فى الانقاض والأتربة فأسرع باحكام الغطاء على رأسى وتلاوة الشهادتين ولكن النهار كان يشرق دائما والقنابل المزعومة لما تدك منزلنا بعد .

واشتركت فى فجر الثورة فسرت فى بضع مظاهرات وسمعت الرصاص المنطلق هنا وهناك وهتفت مع الهاتفين واضربت مع المضربين وما زال فى بعض رأسى صور لاجتماعات مسجد طيلون ومقتل ابن بائع (القباقيب) الساكن هناك

وقد انتقلت من مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية الى مدسة محمد على الأميرية بسبب سقوطى فى السنة الثانية الابتدائية ورغبة والدى فى أن أتمكن من دخول المدرسة الجديدة فى السنة الثالثة ولكنى لم انجح كذلك وعلى هذا فقد دخلت مدرسة محمد على فى السنة الثانية . . ولقد كان سقوطى ثلاث مرات فى هذه السنة الدراسية هو التعويذة التي وقتنى شر السقوط بعدها الى الأبد فلم يحدث بعد ذلك أنى أعدت الامتحان فى سنة من السنين .

وفى مدرسة محمد على وفى هذه السنة التقيت بأخى الأستاذ فتحى . . فشغلتنا صداقتنا الجديدة والتى سرعان ما استحكمت حلقاتها عن كل شىء آخر . وكان فتحى دائم المرض وكنت دائم الزيارة لبيته . . وتضغط على الآن

ذكريات الطفولة فانى لو استرسل فى سرد تفاصيلها .. وكيف تحزب طلاب (الفصل) ضدنا وكيف قاومناهم وكيف انتصرنا عليهم .. ولكنى مضطر الى كبح جماح الذكريات التى لا حد لها .

وفى السنة الثالثة بدأ نشاطنا الاجتماعى انا و فتحى فألفنا جمعية أسميناها جمعية نصر الدين الاسلامى وترأست أعمالها وكان الغرض من تأليفها نشر تعليم الدين والحض على الفضيله ولقد قمنا بطبع منشورات ووزعناها وارتدنا المساجد واحدا بعد واحد وكان يشجعنا فى ذلك مدرس الديانة[1] بالمدرسة وضابطها[2] ولقد كنا نصلى عشرات الركعات ونتنافس فى ذلك . وانى لأذكر انى صليت فى احدى المرات مائة ركعة حتى تورمت قدماى وأصبحت عاجزا عن المشى ولعله من الطريف ومما هو جدير بالتسجيل ان ناظر المدرسة وقتذاك أدهشه هذا العمل وساءه فى الوقت نفسه .. ولم يتخيل أن يقوم أطفال من مدرسته يتصدون للوعظ والارشاد ويتخذون لأنفسهم من الصفات ما ليس لهم ولهذا فقد دعانا الى مكتبه وطلب منا ان نبادر بحل الجمعية وان لا نعود لمثل الذى فعلناه وأن نترك هذا العمل للعلماء والمشايخ والفقهاء ..

وفى السنة التالية كنا فى السنة الرابعة وفى منتصفها ارتقى الحكم سعد باشا زغلول ولقد شغلت فى هذا العام بالمسائل السياسية وعوقبت مرة بسبب الاضراب احتجاجا على تصريح ٢٨ فبراير .

(١) مدرس الديانة هو الشيخ مصطفى عجاج ولا أعرف الآن ابن مقره

(٢) حضرة الضابط هو أمين افندى موسى الموظف بوزارة المعارف حالا

وفى هذه الاثناء وقع حادث ثان ولكنه كان ذا أثر كبير فى مجرى حياتى لمدة سنوات مقبلة وذلك ان والدي تعرف الى أحد الموظفين فى شركة ترقية التمثيل العربى فكان يدعو والدى من حين الي آخر لحضور التمثيل وكنت أذهب معه فتبهرنى أنوار المسرح ويهز فؤادى الجو السحرى الذى كان يحيط بالتمثيل .. فأخذت أتردد على المسرح والجأ الى الصديق المذكور كيما يمكننى من مشاهدة الروايات المختلفة فزاد تأثري بالتمثيل وكنت فى كل مرة اشاهد رواية جديدة، أهوى المسرح اكثر وأكثر حتى شاهدت فى أحد الايام رواية هملت فكان لها اثر عميق فى نفسى ومن هذه اللحظة بدأت أصبح غاويا للتمثيل فأخذت احفظ بعض مقطوعات وحصلت على رواية هملت بالذات وأخذت أمثل منها فى حجرتى الخاصه وبين أصدقائى ما أستطيع تمثيله . . وكأن القدر كان يريد لى أن أندفع فى هذا التيار فاذا بى التحق بمدرسة اشتهرت بالتمثيل وبنهضتها الفنية .. ذلك أن الله قيض لها زعيما من زعماء المسرح الحديث فى مصر وهو المرحوم محمود مراد . . ولقد كان المرحوم محمود مراد نفس كبيرة فوضع روايات مزج فيها التمثيل بالغناء وملأها بالأناشيد القومية واستعرض فيها صفحات رائعة من تاريخ مصر فقد ألف رواية اسماها مجد رمسيس وهي التي حدثتك انني كنت أتلو أناشيدها فوق صخور الكرنك . . وليس فى هذه الرواية الا كل ما يبعث الحيوية فى النفوس ويملأها حماسة وقوة . . وانى اليوم اذ أستعيد اناشيد هذه الرواية واطالع ما فى سطورها وثناياها من قوة اشعر بهزة حزن على هذا الفقيد الراحل والذي كان يؤمن بعصر الفتاة وبرنامجها

فى هذا الوقت البعيد .. وقد نجحت رواية مجد رمسيس نجاحا منقطع النظير وأقامت المدرسة حفلة خاصة حضرها المرحوم سعد باشا زغلول والذى كان رئيساً للوزارة وقتذاك وحضرها النواب والشيوخ . وقد أعقبها برواية أخرى عن توت عنخ آمون والذى كان قد كشف عنه أخيراً . . ولقد أحدث اخراج هذه الروايات ضجة فى أوساط التعليم حتى لقد قرروا ادخال التمثيل فى المدارس وقد اشتهرت المدرسة الخديوية فى جميع أنحاء مصر بهذه النهضة الفنية ولذلك فعندما ساقنى القدر الى المدرسة الخديوية وأنا متأثر بالتمثيل قبل دخولى اليها كان كأنه يلقينى فى أحضان التمثيل نهائياً . التحقت بفرقة المدرسة واندمجت فى صفوف ممثليها وسرعان ما برزت فاسند الىّ دوراً رئيسياً فى رواية مجد رمسيس والتى أعادوا تمثيلها بمناسبة موت الأستاذ محمود مراد . . ولقد كان من الصادفات العجيبة أن مثلنا الرواية المذكورة على مسرح حديقه الأزبكية هذا المسرح الذى طالما دخلته متفرجا وقلبى يهتز شوقاً لرفع الستار وطالما خرجت منه متأثر النفس والفؤاد.. وفجأة وجدت نفسى أمثل على خشبته وتجتمع النظارة لمشاهدتى والتصفيق يدوى لقد كانت سعادتى فى هذا اليوم أعظم من أن يحيط بها وصف ولست أريد أن أسترسل مع الذكريات فأعود الى القول أن تمثيل هذه الرواية كان هو الخطوة الأخيرة لتسليمى للتمثيل نهائياً واندفعت نفسى بكلياتها الى الاغتراف من هذا الفن وسحره فلم ينته هذا العام حتى كنت منضما الى مسرح رمسيس كهاو وعندما حل العام الجديد فى المدرسة وكنت قد انتقلت الى السنة الثالثة لم يكن لى عمل إلا التمثيل فوضعت رواية من تأليفي اسمها (أبو

مسلم الخراسانى) وعرضتها على فرقة المدرسة فاختارتها للتمثيل وقمت فيها بتمثيل الدور الأكبر وكان نجاحى فيه عظيما .. وفى كلمة ملك التمثيل على كل حياتى حتى لقد هممت بمغادرة المدرسة فى منتصفها ولو أنى وجدت عملاً فى مسرح رمسيس فى ذلك الوقت بجنيه أو جنيهين لتغير مجرى حياتى نهائياً . وقد أفادنى فى ذلك الوقت وهدأ من نفسى قليلاً أننى حصلت على الكفاءة فى ختام هذا العام فربطنى ذلك بالمدرسة من جديد وجعلنى أكثر حرصاً على اتمام دراستى . . ولذلك فقد بعدت قليلاً عن المسرح العام ولكنى ضاعفت من نشاطى الفني فى المدرسة كيما يسد كل حاجتى الى التمثيل وقد أصبحت رئيساً لفرقة التمثيل فى المدرسة وألفت روايات جديدة وقمنا بتمثيلها فلاقت نجاحا عظيما من حيث التأليف والتمثيل والاخراج والتى توليتها كلها بنفسى . . وقد تجمع لدى جمعية التمثيل مبلغاً كبيرا من دخل الحفلات فصممت على بناء مسرح بالمدرسة وبعد جهود كبيرة نجحت فى إقامة مسرح فى المدرسة زودته بكل ما يحتاجه أي مسرح عام من الأنوار والمناظر والمعدات . . ولا يزال هذا المسرح بالمدرسة حتى اليوم ذكرى لهذه الجهود التى قدمتها يوما من الأيام على (مذبح الفن) كما كنت أقول وقتذاك .

وسرعان ما طبقت شهرة المدرسة الخديوية فى التمثيل أنحاء مصر فأخذت وزارة المعارف تهتم بها وتحضر الزوار الأجانب لمشاهدة تمثيل فرقتنا وهكذا لم يكن يمض على المدرسة الخديوية أسبوع واحد لم نكن نمثل فيه إحدي رواياتنا على ملأ من كبار موظفي وزارة المعارف والدولة على العموم وفى مرة من المرات كان التمثيل أمام وزير المعارف وقد كان

فى ذلك الوقت معالى الشمسى باشا .. والذى أعان رغبته فى إيفادى الى بعثة حكومية لتعليم التمثيل وقد قابلته فى الوزارة لهذا الغرض وكاد يتحقق مشروع ارسالى سريعاً لولا ان الوزارة سقطت وهكذا تعطل المشروع مؤقتاً لحكمة يريدها الله .. ولم تنته هذه السنه حتى اقيمت مباراة عامة للتمثيل بين جميع طلبة المدارس خرجت منها متفوقاً على الجميع ولا زلت أحتفظ بهذه الدبلومات التى تذكرنى بهذه الأيام .

ولعل هذا يعطى القارىء صورة عن نوع الحياة التى كنت أحياها وقتذاك . . لقد كان التمثيل فى حياتى هو كل شىء . . كنت أؤلف وكنت أمثل . .وكنت اطالع كل ما يكتب عن التمثيل واصطبغت افكارى بالصبغة الفنيـة . . والفن فى ذروته العليا لاوطن له ولذلك فقد بدأت افكارى تنحو نحو الانسانية والفلسفة فى ما هية الحياة وأصبحت عاجزاً عن عمل شىء الا التمثيل والكتابة للمسرح فلم أعد استطع أن اكتب فى أى موضوع خلاف الروايات وأصبح ذهنى بعيدا الا عن هذه الناحية . . ولما كان التمثيل ليس الا تقمص شخصيات مختلفة يحفظ الانسان مقدما كلماتها فقد ضعفت فى نفسى ملكة الارتجال والتحدث الى الجمهور فى شأن من الشئون العامة أو الكتابة فيه . .

على أن هذه السنة كانت هى قمة عواطفى نحو التمثيل . . فقد أصيبت ببعض الفشل بعد ذلك جعل كرامتى تثور وتتمرد على هذا الوضع الذى زججت بنفسى فيه وكنت فى العام التالى قد وصلت الى السنة النهائية فبدأت اشعر بضرورة الحصول على البكالوريا وبدأت تطوف فى رأسى صور

الجامعة وكلية الحقوق .. ومع ذلك فلا تظن أن صلتي بالتمثيل قد انقطعت فقد ظللت رئيسا للجمعية ولكن عناصر جديدة بدأت تحتل مكانها بجواره فلان ثقة ناظر المدرسة (١) بي وقتذاك كانت قد بلغت القمة فكان يشجعني ويأخذ بيدي فيما اريد تنفيذه من مشاريع وعلى هذا فقد عهد الى في هذا العام بتحرير مجلة المدرسة وادارة جمعية المحاضرات والمناظرات فبدأ هذا يجعلني اكثر احتكاكا بالحياة العامة بعيدا عن التمثيل ولذلك فقد بدأت أشترك في بعض حركات سياسية تناسب أحداث ذلك الزمان . . ولكن سرعان ما اصطدمت مع ناظر المدرسة في حادثة من الحوادث تتصل بجهادي الذى أحمل لواءه اليوم فقد تعسف احد المدرسين الانجليز معنا واراد توقيع عقوبة لم ار موجباً لها وأصر الناظر على توقيعها وأصررت على الاحتجاج ولم يأخذ الناظر بوجهة نظرى فلم يسعني إلا أن استقيل من فرقة التمثيل وان اعتزل كل الجمعيات التي كنت رئيساً لها في المدرسة .. وهكذا لأول مرة يجد من الحوادث ما يجعلني اضحى بالتمثيل من أجله . . وفى هذه الأثناء نظمت الكشافة في المدرسة هذه الرحلة لزيارة الأقصر واسوان فأسرعت بالاشتراك فيها وكان ما كان من هذا الانقلاب النفسى والفكرى الذي طرأ على . . فقد سافرت فيها ولا زلت معروفاً كرجل من رجال الفن وقد استقبلني اخواني على هذه الصفة .. وعدت منها وليس يشغلني الا شيء واحد ولا يملك على مشاعري إلا شيء واحد وهو كيف نبعث هذا المجد وكيف نعيد الحياة الى هذه الاطلال .. وكيف نحول الضعف الى قوة .. واليأس الى أمل .. وفى كلمة كيف نحول مصر المسودة الى مصر السيدة .

---

(١) ناظر المدرسة هو صاحب العزة المربي الكبير لبيب بك الكرداني

من تاريخ مصر

لعلك رأيت كيف تم التحول فى نفسى وكيف كانت هذه الرحلة سببا فى نقلى نهائيا من ميدان .. الى ميدان .. ولست استطيع أن أنكر أن رغبتى فى الاشتغال بالتمثيل قد بقى منها أثر فى نفسى حتى حدثت حادثة قاطعة ابعدتنى عنه نهائيا .. ولقد نظرت الى هذه الحادثة عندئذ كصوت هابط من السماء أو بالأحرى كمشيئة لله سبحانه وتعالى فقابلتها بحماسة وفرح .. أما هذه الحادثة فهى انشاء الحكومة لمعهد التمثيل الرسمى وقد رغبت فى الالتحاق به بعد حصولى على البكالوريا .. وقد أشتركت فى المسابقة التى أعدت بالفعل لانتخاب من يليقون للانضمام فى سلك طلبته .. ولقد كان أمرا مفاجئا أن تصدر نتيجة هذه المسابقة بدون أن يكون اسمى مدرجا بين الناجحين ومن عجب أنهم انتخبوا أشخاصا كانوا يعتبرون فى هذه اللحظة تلامذتى فى هذا الفن .. وأعجب من ذلك انهم اختاروا اشخاصاً من عرض الطريق لا صلة لهم بسابقة بالتمثيل .. وأما انا الذى كنت رئيسا لفرقة التمثيل ثلاث سنوات متوالية فى اكبر معهد اشتهر بالتمثيل .. انا الذى كانت سترسلني الحكومة فى بعثة خاصة للتمثيل . . ومن فزت على جميع الهواة فى مباراة عامة وحصلت على أكبر شهادات التفوق . . والحاصل على البكالوريا فى نفس الوقت . . فقد آثروا أن لا ينتخبونى ولست أرى داعيا لتعليل ذلك فى هذه المقدمة ولكن المهم أن هذا الحادث كان من الحوادث الحاسمة فى

تاريخ حياتى .. وقد أسدل الستار نهائيا على الحياة الفنية المشوبة بالرغبة فى التمثيل ورفع الستار بصفة قاطعة عن احمد حسين طالب الحقوق والذى لا علك عليه مشاعره الا العمل من أجل الوطن وتحرير الوطن ..

واعود الآن ثانية الى استئناف الحديث عن أثر الرحلة وماترتب عليها بمجرد عودتي فقد عدت وأنا دائم التفكير فى هذا الذى رأيته وسمعته وهذه المشاعر الجديدة التى ملأت نفسى وهزتها هزا .. ولقد أحسست برغبة ملحة ساعتئذ فى أن أطالع تاريخ مصر من جديد على ضوء هذا التحول الجديد فعدت الى كتبى الدراسية ثانيه والتى فيها حديث عن مصر وأخذت أربط الحوادث المختلفه .. وأستعرض الصفحات المتفرقة فى عديد من الكتب .. فاذا بى أرى ظواهر عجيبه لم تلفت نظرى قبل ذلك وهى مع هذا ذات دلالات كبيرة .. فقد كنت أعتقد كما يعتقد كل طالب وكل مصرى على العموم .. أن الحضارة فى مصر أو بمعنى آخر العصر الذهبى فى مصر كان قاصرا على عهد الفراعنه وأنه منذ ذلك التاريخ قضى على استقلال مصر نهائيا ودخلت فى دور المستعمرات .. وأن هذا العهد الذهبي لم يمد الى الوجود بين ضفاف النيل ثانية .. وسرعان ماوقفت على خطئى وخطأ كل مصرى في هذا التصور .. فقد عاد العصر الذهبى مرتين وثلاثة وأربعة .. بل ان مصر فى أغلب عصورها كانت هى دائما كما كانت فى عهد الفراعنة موطن العلوم والمعارف والأديان .. فان عصر الفراعنة لم يكد ينتهى على الصورة التى نعرفها ولم تكد تمضى بضع سنوات على فتح الاسكندر المقدونى لمصر حتى أخذت مصر تعود من جديد لتحتل

الصف الاول بين دول العالم . وليس ينقص من عظمة هـذا التطور أن كان على رأس مصر فى ذلك الوقت دولة البطالسة والذين هم من أتباع الاسكندر أى من عنصر الفاتحين •• فالتاريخ يحدثنا أن هؤلاء البطالسة قد اندمجوا فى الجنسيه المصرية اندماجا عجيبا •• ودانوا بدين المصريين وارتدوا أزياءهم وتسموا بأسمائهم •• وحكموا فى عـدل وقوة لخير المصريين ومجـد المصريين •• ولم يترددوا فى جعل كلمة مصر هى العليا وما عداها فى الدرجه الثانيه من الأهمية حتى بلادهم الأصلية •• واذن فقد اصبحوا ملوكا مصريين بالدم واللحم والتفكير •• يحكمون بالمصريين ولاجل المصريين •• وسرعان ـ كما قدمت ـ ماتبوأت مصر المركز الأول بين دول العالم فاذا بأسطولها يتسيطر على البحر الأبيض وامبراطوريتها تعود من جديد فتمتد شرقا وغربا وجنوبا •• واذا بجامعة عين شمس القديمة فى هليو بوليس فى ابان مجـد الفراعنة والتى جاء اليها ارسطو وافلاطون وصولون وغيرهم من فلاسفة اليونان كيما يتعلمون فيها الحـكمة والفنون •• اذا بجامعة عين شمس هذه تفتح ابوابها من جديد فى جامعة الاسكندرية والتى طبقت شهرتها الخافقين وجاء اليها العلماء والفلاسفة من جديد يتلقون العلم والحـكمة والفنون •• ومضت عشرات الأجيال ومصر تتبوأ هذه المـكانة العليا بين دول الأرض •• وعندما جاء المسيح بعـد ذلك وأصبح النزاع الروحى هو مايشغل العالم وسكان العالم رفعت مصر لواء المسيحية على الرغم من اضطهاد الرومان وتعذيبهم •• ولا زالت مصر حتى اليـوم تحتفل بذكرى الشهداء الذين سقطوا تحت سيوف الرومان تمسكا بالمسيحية

ولولا كلمة جاءت فى الانجيل على لسان المسيح وهي أعطوا مالقيصر لقيصر وما لله . . لله . . لولا أن المسيح عليه السلام لم يشأ أن يقود الأمم والجماعات التى تدين بمبادئه الى العصيان والثورة ضد الرومان بل على العكس دعا للتسامح واحتمال العذاب وترك المادة والتعلق بالروح لولا أن هذه كانت فلسفة المسيح والمسيحية لما صبرت مصر علي حكم الرومان هذا العهد الطويل ولثارت عليه وقهرته واسترجعت استقلالها ولكنها تأثرت بالديانة المسيحية التى حالت بينها وبين هذا النوع من الكفاح كما قدمت لك وهذا هو السر فى تبعية مصر للرومان طوال هذه العصور التى يذكرها التاريخ . . ولما كان الصراع روحيا فقد انتصرت فيه مصر على طول الخط وقاومت اضطهاد الرومان حتى انتصرت المسيحيه واضطرت روما في نهاية الأمر الى الاعتراف بها . . واذن فمصر حتى فى هذه اللحظات التي حكمتها فيها الرومان كانت تلعب دورا خطيرا فى تاريخ البشرية وأن ماجعلها ترضى بالمساس بسيادتها ليس الا شدة امعانها فى التمسك بدينها والزهد فى مادياتها . . ولذلك لم تكد مصر تنفض عنها الدين المسيحى بدخول الاسلام اليها عن طريق العرب . . والاسلام فيه من تعاليم القوة مافيه حتى قامت مصر تلعب الدور الأول فى تاريخ الاسلام وتتصرف فى أقداره وتذيع رسالته ولما يمض على وفاة سيدنا محمد بضع سنوات وعشر .

والتاريخ يحدثنا أن الفتنة التى ثارت على سيدنا عثمان كان قوامها مصر . . وأن المتظاهرين الذين أحاطوا بمسكن عثمان رضى الله عنه وانتهوا

بقتله كانوا قادمين من مصر .. وبغض النظر عن قيمة هذا العمل استنكارنا له . . فان الذى يهمنى هو أنه يدل على الدور الخطير الذى بدأت مصر تلعبه فى تاريخ الاسلام وأنها لم تكن الكم المهمل الذى لا رأى له أو فكرة .. بل كانت الدولة القوية صاحبة الكلمة العليا فى سياسة الاسـلام .. وارجو أن تعلم اذا كنت ممن لا يعلمون أن سيدنا على رضى الله عنه قد بويع فى مصر وأن المصريين هم الذين ارتضوه اماما للمسلمين. ولم تكد الخلافة القرشية يذهب ريحها ويتنكر المسلمون للخلفاء ويغيرون من نظرتهم التى اعتادوا أن ينظروا اليهم بها حتى رأينا مصر فى طليعة الدول التى استقلت من جديد بشئونها ودولتها فاذا بمصر منذ أحمد بن طولون وهى دولة مستقلة لها سيادتها وشخصيتها وسرعان ما بقيت مصر المجيدة فى عهد الفاطميين .. بل اذا بها على رأس دول العالم طرا فى العصور الوسطى واذا بالأمبراطورية المصرية تمود الى الامتداد شرقا وغربا وجنوبا وتبسط نفوذها على الأمبراطوريه الاسلامية بأسرها واذا بالعلوم والفنون والحضارة تصبغ كل شىء فى مصر وتؤثر على العـالم بأسره واذا بجامعة عين شمس التى تقمصت يوما ما جامعة الاسـكندرية تظهر من جديد للمرة الثالثة فى ثوب جامعة الأزهر .. مشعل النور والهدى فى العصور الوسطى .. وبينما كانت أوربا تعيش فى دياجير الظلمات .. وبينما كان العالم الاسلامى تأكله الفتن والمحن والويلات .. كانت الجامعة الازهرية موئل الوافدين من أطراف العالم الاسلامى لتلقى رسالة الاسلام .. ولم يكن الازهر جامعة الدين فحسب .. بل كان الجامعة التى حفظت علوم العرب

بأسرها فدرسوا بين جدرانه الطب والـكيماء وعلوم الهيئة والفلك ..
ورأيت بعد ذلك مصر وهى تقف فى وجه أوربا بأسرها فى الحروب الصليبية وكيف تهزمها .. وتكسرها شر كسرة سواء فى ميادين الشـام أو فى الميـادين المصرية بالذات عندما فـكروا فى الاغارة على مصر .. واذا كانت أوربا قد نهضت من ظلمات العصور الوسطى فقد كان الفضل فى ذلك راجعا الى هذه الأيام التى احتـكت فيها بمصر والحضارة العربيـة فاقتبست منا العـلوم والفنون والمعارف .. وهـكذا بدا لى تاريخ مصر سلسلة متصـلة من الفتوحات والانتصارات الانسـانية بصفة خاصة واعنى فى عالم المدنية والحضارة .. ورأيت كيف استطاعت مصر أن تفنى جميع غزاتها وأن تنتصر عليهم فى نهاية الأمر بعد أن تحولهم الى مصريين فى الدم واللحم والتفـكير .. وكيف دالت دول العالم وتألفت أمبراطوريات وسقطت امبراطوريات وبقيت مصر .. هي .. هي دائما قلب العالم النابض ومصدر علومه وثقافته فى أكثر الأحيان .. ولا عبرة بتغلب بعض المغيرين من حين لآخر عليها .. اذ لا يرجع ذلك الا لأن مصر قد استيقظت فى فجر التاريخ قبل تـكوين هذه الدول بأسرها ولم يكن معقولا ولا طبعيا فى شيء أن تبقى طوال أربعة الاف سنة سيدة العالم وزعيمته .. فالشعوب كالانسان عرضة لتقلبات الصحة والمرض .. وكما يصاب الجسم بضعف من حين لآخر بتعطيل فى بعض أجهزته فـكذلك الامم . . وهكذا كانت مصر عرضة بين حين لآخر لهذه النوبات التى يضعف فيها جسـدها فتـكون محلا عندئذ لسطوة مغير .. ولـكنها كانت تبادر سريعا باسترداد عافيتها وتقوم بدورها الذى

عرضته عليك .. ومن عجب ان هذه الأمم التى اغارت على مصر لم تكن مصر هى أولى ضحاياها بل كانت تجىء دائما فى النهاية . . فعندما فتح الاسكندر مصر لم تكن مصر أول ما فتح ولكنه جاء اليها بعد أن فرغ من أوربا..واذا كانت الرومان قد دخلت مصر فقد دخلت اليها بعد أن حكمت البحر الأبيض بأسره واحتلت انجلترا ذاتها .. واذا كان العرب قد دخلوا مصر غزاة من قبل ذلك ومن بعده فقد فتحوا الدنيا بأسرها .. وهكذا .. أى أن مصر لم تكن كما يحاول المستعمرون أن يصوروها لنا ذليلة حقيرة.. بل على العكس تغلبت مصر على بعض هذه الدول الجديدة التى مدت ظلها على العالم . . ولقد جاء دور مصر أكثر من أربع أو خمس مرات فمدت ظلها على امبراطورية واسعة الارجاء .. مع أن هذا الأمر لم يتكرر فى حياة غيرها من الأمم .

على أن الذى أثر فى نفسى أكثر من غيره من تاريخ مصر هو تاريخها أيام محمد على والذى كان مقررا علينا دراسته فى هذا العام الدراسى . . فقد عدت من رحلتى وكان على أن أستذكر تاريخ مصر فى هذه الايام . . ولقد دفعنى شغفى الي حد أن لا أقنع بهذا المختصر الذى كان يقدم لنا عن تاريخ مصر فى عهد محمد على .. فرجعت الى كثير من المطولات . . ورأيت فى ذلك كله العجب العجاب . . رأيت كيف وثبت مصر وثبة سريعة فى مستهل القرن التاسع عشر . . ولم تزد عدد سكانها عن ثلاثة ملايين . . ومع ذلك فقد أصبحت امبراطورية ضخمة ذات جيش يهزم الأتراك (اسياد الحروب فى أوروبا) وذات اسطول يحول البحر الأحمر الى بحيرة

مصرية ويسود شرق البحر الأبيض المتوسط . . فاستطاعت مصر أن تخيف أوربا مجتمعة فتتحالف عليها كيما تحطم الأسطول المصرى بخدعة دنيئة فى موقعة (نفارين) وكيف تستطيع مصر بعد ذلك أن تجدد بناء هذا الأسطول بأيد مصريه وفى موانى مصرية . لقدكانت اياما عجيبة بهرت فيها مصر العالم . . ولقد بدأت مصر نهضتها فى وقت لم تكن اليابان قد نزلت الى ميدان الجهاد بعد . . ولم تكن الولايات المتحدة وحدت صفوفها بعد . . ولم تكن المانيا الحديثه وايطاليا الحديثة قد خرجتا الى الوجود كامم مستقلة موحدة . . وفى هذه الايام لعبت مصر هذا الدور الخطير ولولا انجلترا . . لولا انجلترا عدوة مصر اللدودة لكنا اليوم نعيش فى اضخم امبراطورية . . ولكن انجلترا نجحت فى تأليف كتلة من الدول الاوربية ضد مصر فاذا بنا فى معاهدة سنة ١٨٤٠ نجرد من ثمار انتصارنا الذى حصلنا عليه بدمائنا وأموالنا وإيماننا . . واذا بمصر المنتصره فى نصيبين . . مصر ذات الجيوش والاساطيل والمصانع والمعاهد . . تقف غداة انتصارها كيما تجرد من كل شىء حتى الشرف . . شرف الاستقلال التام وليس ذلك الا بعمل انجلترا والتى أرادت أن تثأر لنفسها من مصر التي طردت جيوشها فى سنة ١٨٠٧ وقذفت بها الى البحر . . كما أرادت أن تمهد لابتلاع مصر فى المستقبل ولم يكن ممكنا ان تتغلب مصر على اوربا مجتمعة .

لقد كانت هـذه الحوادث بعيدة الغـور فى نفسى . . ولقـد ملأتنى بالمرارة والغضب وجعلتنى اشعر بعقدار الظلم الذى نعانيه . . فنحن أسياد العالم قديما . . نحن الذين علمنا الانسانية العلوم والنور . . نحن الذين حملنا

مشعل الحضارة نقف فى مؤخرة الأمم بفعل انجلترا تحطم امبراطوريتنا التى شيدناها وتسلب استقلالنا الذى ظفرنا به بجهادنا ثم نلقن بعـد ذلك فى المدارس والمعاهد وفى كل مـكان اننا امة صغيرة ضعيفة ذليلة فقيرة . . لا . . لا . . اننى اثور على ذلك وأتمرد عليه . . ويجب ان تزول هذه الغشاوة عن أعين المصريين . . يجب أن يعرفوا أنفسهم على حقيقتها . يجب أن نقضى على الجهل بتاريخنا ويجب أن يعـاد كتابة تاريخ مصر وان نطهر الأذهان من هذه المفتريات المجرمة التى حشرها الاستعمار فى رؤوسنا حشراً .

ولذلك فقد جعلت أول خطوة فى برنامجى أن أذيع الحقائق من تاريخ مصر وأن اظهر صفحات مصر المجيدة وعلى هذا فلم أكد انتـه من الالمام بتاريخ مصر فى أطواره المتعددة حتى اعددت محاضرة فى هـذا الموضوع وطلبت من لبيب بك الكردانى ناظر المدرسـة ان يسمح لى بالقائها فى مسرح المدرسـة فسمح بذلك ودعوت لحضورها المدرسين والطلاب . . ولأول مرة وقفت أحاضر فى تاريخ مصر كما أفهمه فامتـلأ المستمعون بالحماسة والنشوة ونجحت المحاضرة نجاحاً عظيماً . . وسرعان ما بدأت أعرف مقدار ما تفعله هـذه الحقائق عن تاريخ مصر من الأثر فى نفوس الشباب فزاد ايماني بهذا العلاج ودأبت علي استعماله بعد ذلك فى كل خطبى وفى كل احاديثي . . وسوف ترون فى مجموعة الخطب والمقالات التى ستأتى فى هذا الكتاب والتى ألقيتها فى ابان ثلاث سنوات سوف ترون أن واحدة من هذه الخطب لم تخل من الاشارة الى هذا التاريخ المجيد . . ذلك لأنني مؤمن أن نصف قضيتنا يحل متى عرف كل مصرى قدر نفسه وآمن بقدرته

على العمل .. ولست استطيع أن أترك ذكرى هذه المحاضرة تمر دون أن اسجل حادثا صغيراً ولكنه كان كبير الأثر فى نفسي . . فقد كان أخي فتحى وقتذاك طالبا فى بنى سويف وكان تفاعلنا الروحى مستمرا على الرغم من انفصالنا المادى ولذلك فقد كانت مفاجأة مبهجة وسارة أن استلم فى هذا المساء الذى سألقى فيه المحاضرة وقبل وقوفى لالقائها ببضع دقائق برقية من أخي فتحى يقف فيها بجانبى ابان القاء المحاضرة ويتمنى لى نجاحاً ولمصرنا العزيزة كل مجد وسؤدد .. وكأنما كانت هذه البرقية أول بيعة تلقيتها فى سبيل تحقيق برنامجى ولذلك فقد ملأتنى سعادة وسروراً .



التمهيد لمصر الفتاة

لم أكد أفرغ من تحليل عناصر القوة فى تاريخ مصر حتى اتجهت الى تحليل عناصر الضعف فى مصرنا الحاضرة .. ولقد راعنى أول ما راعني ما سبقت اشارتى اليه وأعنى به الجهل فقد كان الجهـل يجابهنى دائماً أبداً كلما حاولت أن اتبين السر فى مسألة من المسائل .. فهنـاك تدهور دينى مصدره الجهل بتعاليم الاسلام الصحيحة .. وهناك تدهور وطنى مصدره الجهـل بتاريخ الوطن وقيمتـه .. وهناك جهـل بحقوق النـاس بعضهم لبعض .. فالجهل فى جميع مظاهره هو أول ما يروع الانسان الذى يحاول أن يدرس مصر الحاضرة ولست أعنى بالجهل قلة انتشار التعليم والمدارس .. فليس هنـاك ما هو جدير بالزراية والاحتقار من هـذه المدارس الثانوية والابتدائية التى تفتحها الحكومة . . وان أردت ان تعرف من هم اجهل الطبقات فى مصر فصدقنى انهم الذين ينعتون أنفسهم بالمتعلمين . . ممن دخلوا المدرسة فى مصروهم اجهل الجهال وخرجوا منها با لقشور . . وفقدوا فى المدرسـة غريزتهم السليمة فى فهم الحقائق واستعاضوا عنها بذاكرة مشوهة محشوة ببعض معلومات متناثره لا يربطها منطق ولا توحى بها منفعة . . خذ مثلاً هـذا العـامى البسيط أو الفلاح الساذج واسأله عن مصر ومكانتها فانه سرعان ما يجيبك بأن (مصر هى أم الدنيا) ولقدرأيت كيف أنهذا الجواب صحيح وأنه ثمرةالاحساس بعظمة مصر وجغرافيتها .. ثم سل المتعلم بعد ذلك عن مصر فسيقول لك انها بلاد

لا تصلح لشيء فرض الله عليها العبودية والذل الى الأبد واننا شعب (زلط) وأننا لا نفلح فى شيء وهكذا .

تعال الى العامى أو الفلاح وناقشه فى احساسه بشخصيته بالقياس الى الأجنبي فتشعر منه اعتزازاً بنفسه بالرغم من كل شيء . . وتدرك منه حاسة النفور من كل ما هو أجنبي ومن كل ما هو انجليزى بصفة خاصة غريزة متأصلة فى نفسه . . أما هذا الذى تلقى التعليم فى المدارس فسوف ترى منه عبودية لكل ما هو أجنبي وسوف ترى منه احتقاراً لنفسه وجنسه واكبارا للأجنبي وأرومته . . فالأمة المصرية فى مجموعها سليمة من هذه الناحية فاذا حدثتك عن الجهل فلست أعنى به قلة المدارس والتعليم الالزامي فان إيمانى بهذا التعليم قليل وانما أعنى بالجهل .. الجهل الذى تشترك فيه الجماعة .. فلقد ساد العرب الدنيا بإيمان وأخلاق وكذلك الرومان وكذلك الانجليز .. وعندما انتشر التعليم فى جميع هذه البلاد مصطحباً معه الترف والاسراف اضمحلت هذه البلاد وانحدرت نحو الهاوية . . فالعلم الذى أعنيه هو العلم الجماعى لا العلم الفردى . . بمعنى أن يكون الشعب فى مجموعه يعرف لنفسه حقوقاً مقررة لا يمكن المساس بها . . وبمعني أن يكون للشعب مثل أعلا يسعي للحصول عليه . . وبمعنى أن يكون الشعب بأسره على بينة من بعض الحقائق فى تاريخ بلاده . . وفى طبيعة بلاده . . وبمعنى أن يكون الشعب على بينة من روح دينه وقواعده .. فالدين الاسلامى والذى بني علي العزة والقوة والجهاد يعرف فى مصر على أنه استسلام وركود وجهل وهكذا .. فأعدى أعدائنا فى مصر الجهل ..

جهل بديننا .. جهل بوطننا .. جهل بأنفسنا .. جهل بحقوقنا .. واذن فلا مناص من تعليم الشعب هذه التعاليم ولم أشك لحظة فى مقدار الخطوة التى نخطوها الى الأمام باحلال العلم محل الجهل السابق الذكر . . ويروعنا بعد ذلك أكثر ما يروعنا فقر الأغلبية الساحقة من المصريين فأكثر من ثلاثة عشر مليونا يعيشون عيشة الضنك وهم جمهرة الفلاحين مع أنهم يفلحون الأرض وينتجون الذهب .. ومع أن النيل كان دائما سخيا وفيا بابنائه وأحفـاده . ولقد أمعنت النظر طويلا فى ذلك فعرفت السر فى كل هذا الفقر فهو ناجم عن سوء توزيع الثروة فبينما يحتكر الأجانب جميع رؤوس الأموال وكل تجارة مصر الخـارجية ويداينون مصر هذا الدين المشئوم الذى هو أقرب الى الديون غير المشروعة والتى يجب على الدولة أن تلغيها بمجرد استيقاظها . . والأراضى المصرية مرهونة للأجانب . . وفى ظل الامتيازات يضمن الأجانب لأنفسهم التفوق المالى والاجتماعى .. وهذا ما جعل المصريين فى هذا الفقر المدقع اذا ما قيسوا الى الأجانب . . وبجانب ذلك تضع الحكومة يدها على جانب كبير جدا من الأراضى الزراعيـة قد يزيد على المليون فدانا وهى تستغله أسوأ استغلال بينما لو وزعت هذه الأراضى على صغـار المزارعين لعادت على الدولة بفوائد جزيلة ولأغنت الكثيرين وأنقذتهم من هذا الفقر المدقع .

وهناك طائفة الموظفين هذه الطائفة التى تستولى على مايقارب نصف الميزانيـة وهناك عشرات الألوف من صغار الموظفين يتضورون جوعا . . وهناك مئات من كبارهم يأكلون الذهب .. فالثروة فى مصر موزعة توزيعاً

سيئاً والأجانب يستولون على كل غنائمها والفلاحون فقراء . . فحياتنا الاقتصادية إذن مهشمة كل التهشيم ولا مناص من بذل جهد كبير لاصلاحها . . بل ولا مناص من البدء باصلاحها .

وفوق ذلك كله افلاس روحي وخلقي فاحكام الدين قد نبذت ظهريا في جميع أنحاء مصر على الأقل في المدن والعواصم وفي صفوف المتعلمين والحكام . . فانتشرت دور الخمر واللهو الحرام وجميع صنوف الموبقات وضعف الوازع الديني وكثر التظاهر بالالحاد والكتابة في الهجوم على الدين حتي لقد أصبح ذلك طريقا للشهرة والتظاهر بالعلم . . وأصبح التقاطع والتنابذ والحقد والحسد من مظاهر الحياة المصرية . وقد استتبع التدهور الديني تدهور خلقي بطبيعة الحال فاذا بالفوضى الخلقية تعم كل مكان . فالمحسوبية وملء الوظائف بالاشياع السياسيين والمناصرين واغداق المرتبات الضخمه عليهم واهمال الاكفاء وانتشار الرشوة والاتجار بالاعراض والتملق للرؤساء والعبث بالقوانين والاندفاع مع الشهوات أصبح طابع الاداة الحكومية وموظفي الحكومة وحكامها ثم انتقل منها حتى عم جميع الطبقات المؤثرة في حياة مصر السياسية .

وهناك في نهاية الأمر الاحتلال الانجليزي واصبع الانجليزي في السياسة المصرية أضعفت كل مقاومة وحطمت وحدة الأمة وخلقت العديد من الأحزاب ولوحت بالمناصب والرتب لكل من يكون في خدمتها . .

وهكذا حيثما قلبت الطرف في أي مكان لانرى الا آثار التدمير الخلقي والسياسي والاقتصادي والثقافي وهـذا هو ما جعل القلوب تمتلىء يأسا

وشكافى امكان النجاح والوقوف على قدمين بين دول العالم . . ولقد نسي كل مصرى حوادث الأمس القريب وأعنى بهاحوادث ثورة ١٩١٩ وحسبوها فلتة من فلتات الطبيعة لا أمل فى العودة لمثلها . . والواقع أن حاضر مصر يبدو غريبا بالنسبة لماضيها . . بل ويبدو منقطع الصلة لأول وهلة ولكن ايمانى بدأ يتغلب على كل هذه المظاهر وبدأت تظهر امام عينى أنها ليست بعيدة الغور وأن الحيـوية المصرية لاتزال سليمة فى انتظار من يحركها ويبعثها وأن شيئا من الصبر والثبات والارادة كفيل بتحقيق كل مانصبو اليه .

ولقد كان مقررا علينا فى هذا العام لامتحان البكالوريا أن نعيد دراسة تاريخ القرن التاسع عشر مضـافا الى تاريخ محمـد على .. وتاريخ القرن التاسع عشر طافح باخبار النهضات الحديثة واحاديث الثورات والكفاح فى ايطاليا مثل مافى المانيا مثل مافى بولندا مثل مافى ايرلندا استمر الكفاح عنيفا حتى كلل بالنجاح . . ولم تكن دولة من هذه الدول التى ظفرت باستقلالها ووحدتها باسعد حالا من مصر فقد كانت فريسة قوات ضخمة وظروف سيئة ومع ذلك فان الكفاح المتواصل والايمان العميق قد أدى دائما الى النجاح ولقد أثر فى نفسى بصفة خاصة كفاح ايطاليا . . ويظهر أن هذا الشعب يقترب الى حد ما من الشعب المصرى ولقد اعجبتنى هذه العبارات التى تنبض ايمانا وحماسة والتى ملأ بها مازينى صدور الشباب الايطالى وهزت نفسى هزا حملات جهاده من اجل ايطاليا الفتاة والذى كان من مميزاته تأليف الوحدة الايطالية .

وليست مصر بأقل من هذه الدول . . وليس الشعب المصرى بأقل

من هذه الشعوب واذن فالى العمل . . والى العمل فى صبر وثبات وإيمان والنجاح مضمون من غير شك .

هكذا بدأ العزم يملأ نفسى وبدأت خطوط الكفاح الأساسية ترتسم امام عينى وبقيت الخطوة الأخيرة خطوة التقدم للعمل ولكن هذه الخطوة لم تتخذ الا بعد اربع سنوات بعد أن ختمت دراستى العالية وخرجت من مدرسة الحقوق أى فى عام ١٩٣٣ وان كانت جهودى منذ سنة ١٩٢٨ حتى هذا التاريخ الأخير كانت كلها سلسلة اعداد وترتيب وتمهيد كيما اخطو هذه الخطوة الاخيرة . . فقبل ان اغادر الخديوية وفى اشهرى الأخيرة بها شرعت اكتب سلسلة من المقالات تحت عنوان رسالتي وضعت فيها بذرة مصر الفتاة الاولى ولو انك رجعت الى هذه المقالات الآن لعلمت انى فيما كتبته بعد ذلك طوال ثمان سنوات لم اخرج عن ما كتبته فى هذه المقالات[1] على أن تطورا سريعا قد حدث عقب هذه الايام فى نشوة الحماسه التى ملأتنى

(١) رسالتى : من مقالة نشرت فى مجلة المدرسة الخديويه .. العدد الأول .. العام الثامن فى أول ديسمبر سنة ١٩٢٨

نظرية واحدة تسود العالم من أقصاه الى أقصاه عبر عنها الفيلسوف الألمانى « نيتشه » بصراحة إذ قال « الأرض إرث القوى والمستقبل للشعب الظافر وللصالح وحده حق الحياة » فى هذا الصراع المخيف حول الموت والحياة . . . فى هذا السباق الذى تشترك فيه كافة المخلوقات تتقدم مصر العتيدة كأمة قوية خالدة ما خلدت الأيام . فمن بين أمم الأرض طرا لا توجد واحدة تضارع الأمة المصرية . هاجمتها عاديات الدهور فما استطاعت أن تنال منها ، وحاربتها الأقدار فارتدت عنها مخذولة واحتملت مصر التجربة بثبات وخرجت من الأعاصير ملؤها الحياة والفتاء تعلن الناس أنها معيدة مجدها القديم . ما واجبنا نحن الطلبه . . . تلك هى رسالتى وذلك هو ندائى الا أننا

فجأة وقتذاك فلم أكد أحصل على البكالوريا حتى كانت وزارة محمدباشامحمود في الحكم وكان محمدباشا محمود قدعادالى مصر بمعاهدة تفضل جميع المعاهدات السابقةعليها وكنت أصبوالى أن تتمتع مصر بشيء من الاستقرار الحزبي والحرية السياسية حتي نتمكن في ظلها من الاندفاع فى تنظيم شئوننا الاجماعية والاقتصاديه والخلقيه تمهيدا للقيام بالثورة الكبرى والتى أعنى بهـا تحقيق مجد مصر وبعث امبراطوريتها العتيدة . . ولذلك فلم أتردد عند ما عرض على بعض المتصلين بمحمد باشـا محمود أن أعمل لمناصرة المعاهدة والدعوة لقبولها على أن يشرع محمد باشا محمود اذا ما قدر للمعاهدة النجاح فى تنفيذ برنامج مصر الفتاة .. ولقد كانت طلائع الحال لا تجعل هذا الأمر مستحيلا

شباب حر مهمتنا العمل للمستقبل القريب تعالوا نبني بناء جديداً ... تعالوا نشيد عظمتنا المستقبلة على أساس من الفولاذ مما نبنى عليه الأمم . الصناعة والتجارة مدنية القرن العشرين وروح الأمم الحديثة . ان اليوم الذى لا نلبس ولا نشرب ولا نأكل فيه من الخارج يجب أن يكون جد قريب وفى هذا يجب أن نعمل إن أردنا حقا مجد الوطن . الأخلاق هى التى تجعل الانجليزى محترما في كل مكان . وهى التى تجعل الألمانى بمثلين من الرجال . فى المقال التالى ترون صورة لأخلاقنا...ترون الغرور والجهل والسفسطة. فى اصلاح هذه الأخلاق يجب أن نعمل إن أردنا حقا مجد الوطن . فلنحارب الخزعبلات والعقائد الفاسدة . فلنبشر بعظمة مصر ومجد مصر وتاريخ مصر فلنذك « بنك مصر » فى مشروعاته وشركاته فى هذا رفاهية لأهل الوطن . . . فلنناصر التجديد الاجتماعى والخلقى والأدبى والاقتصادى . . . ولنبذر بذور الاصلاح فى كل مكان حللنا به

قالوا قديما وما زالوا يقولون حسب الأمة التى تريد الرفعة والسؤدد أن يقوم أفرادها بواجباتهم كل فى دائرة عمله ... التاجر فى متجره والصانع فى مصنعه والموظف فى مكتبه والطالب فى معهده . تلك هى رسالتى وذلك هو ندائى وإن أردتم فاسمعوها لا من فى ولكن من فم النسر ؟

فلقد كان لوزارة محمد باشا برنامج اصلاحي بالذات واذن فمن الممكن اكماله بحيث يشمل نواحى الاصلاح الاجتماعى والخلق والاقتصادى فى ظل المعاهدة .

وقد ألفنا لهذا الغرض جمعية صغيرة اطلقنا عليها اسم جماعة الشباب الحر انصار المعاهدة .. ولقد كان من حظى أن خطبت فى حضرة محمد باشا محمود بمجرد عودته فى نادى شباب الاحرار الدستوريين ولم أتردد فى ان يكون خطابى محتويا على عناصر ايمانى ووجهة نظرى وانى أثبت هنا للذكرى والتاريخ بعض فقرات من الخطاب المذكور كما نشر فى جريدة السياسة فى عددها الصادر فى اول سبتمبر سنة ١٩٢٩ . جاء فى الخطاب

ياصاحب الدولة

اليك رسالتنا فاسمعها . بينما كان العالم يعيش فى دياجير الظلام وكان الانسان يساكن اخاه الحيوان كانت على ضفاف النيل مدنية هى ام المدنيات وحضارة معجزة فمنذ ستة آلاف سنه كان المصريون يبنون الاهرام ويحنطون الاجسام ويبرعون فى سائر العلوم .

هذه هى مصرنا يادولة الرئيس وهى الجامعة التى تلقن فيها الاغريق والرومان علومهم فالى عين شمس جاء افلاطون وصولون وليكرغ وغيرهم ليتلقوا الحكمة عن المصريين .

وهى مصرنا يادولة الرئيس التى انقذت العالم بأن وقفت امام سيل التتار الذى اكتسح طريقه من اقاصى الهند الى مصر .

وهى مصر يادولة الرئيس التى قامت فى أيام محمد على من الظلام الى النور ومن العدم الى الحياة فوقفت اوربا فى طريقها وطريق آمالها .. مصر هذه تريد أن تنهض وأن تسترد مركزها القديم بين دول الأرض ولن تصل الى ذلك بهتاف الرعاع فى الشوارع ولا بالخطب تلقى من فوق المنابر ولكن بالعمل والعمل وحده فهى فى حاجة الى الزعيم العامل وهذا الزعيم العامل لن يكون من دم تركى أو شركسى بل من دم فرعوني تنساب فيه كريات رمسيس ومينا . . . » الخ

هذه هى بعض الفقرات التى ألقيتها أمام محمد محمود باشا وأنت واجد فيها نفس العبارات والأفكار التى لم أحرج عليها حتى الآن . . وقدحاول بعض خصومي السياسيين أن يخلقوا من موقفى فى هذه الأيام مطعنا على كفاحى الحاضر اذ كيف أناصر المعاهدة فى ذلك الوقت ثم أصبح اليوم متطرفا كما يخيل لهم . . ولو كان الأمر كذلك لما كان فى ذلك أى اخلال بالمنطق فمن الجائز أن أكون مع الزمن قد ضاعت ثقتي فى التفاهم مع الانجليز ولكن الواقع أن لاتناقض بين موقفى فى تلك الأيام وموقفى اليوم وغدا وبعد غد . . فهى فكرة واحدة تلك التى تملأ حياتى وتملك على مشاعرى وأعنى بها بعث مجد مصر وتحقيق عظمة مصرنا بأسرها . . وليست حياتى الا سلسلة متصلة الحلقات من العمل فى هذا السبيل .

فقد سقط محمد باشا محمود وسقطت معه معاهدته ولكننى ظللت ماضيا فى طريق . . فلم تكن علاقتى به علاقة التابع بالمتبوع ولذلك فلم أكد أدخل الى الجامعة ويلحق بى أخى فتحى رضوان حتي فكرنا فيما يجمع

الشباب ويوحد أفكارهم ويدفع بجهادهم الى ميدان جديد هو ميدان مصر الفتاة فدعونا الى الاحتفال بـ ١٣ نوفمبر على أسلوب جديد وهو أن نجتمع فى سفح الأهرام ونقيم به معسكرا نبيت به ليلة العيد المذكور وفى الصباح نحيي العلم وننزل الى المدينـة . . ولقد نفذنا المشروع فحصلنا على الخيام وأقمنا المعسكر ولكن لم يوافينا فى المعسكر الا نفر لم يتجاوز عدد الأصابع وهكذا لم تكن البيئة مستعدة وقتئذ لقبول هذه الروح الجديدة . . ولقـد انقضى على هـذا التاريخ سبع سنوات قبل أن أري تحقق هذا المشروع عندما اجتمع مندوبو شعب مصر الفتاة فى عامها الثالث فى سفح الاهرام واحتفلنا بالعيد كما سترى ذلك فى متن الكتاب.

لم ينقض العام المـذكور قبل أن نقوم بمحاولة جديدة لنشر مبادئنا فاتفقنا مع أحـد أصدقائنا للحصول على رخصة جريدة واخترت لها اسم البعث فاذا بالاسم لجريدة أخري فاختار أخى فتحى اسم الصرخة فكانت الصرخة التى ستبقي الى الأبد علما على مصر الفتاة وسجلا لوقائعها واذا كان الناس لم يسمعوا عن الصرخة مقترنة بمصر الفتاة الا فى اكتوبر سنة ١٩٣٣ فان الصرخة فى الواقع قد صدرت أعدادها الأولى فى مارس سنة ١٩٣٠ وكانت تحمل فى صـدرها وفى ثنايا سطورها هذه المبادىء والأنظمة التى أخـذت شكلها النهائى وأعلنت رسميا بعد ذلك باربع سنوات تقريبا . . وأن هؤلاء الذين لايفهمون حقيقة جهادى وايمانى جـدير بهم أن يقفوا طويلا أمام اصدار الصرخة فى هذ التاريخ البعيد . . جدير بهم أن يقفوا طويلا أمام هذه المقالات التى سطرتها وقتذاك . . وليقولوا بعد ذلك أن

مصر الفتاة ليست الا إيمانى الذى اختلط بعظمى ودمى ولحمى . . وأننى لم أوقف حياتى على تنفيذ مايتصوره الناس خيالا أو حلما من الاحلام .

منذ ست سنوات كنت احلم بمصر الفتـــاة ومع ذلك فهاهي اليوم فى الميـــدان تكافح لها خصومها ولها انصارها ولها سجل أعمالها وكتابها ان خيرا وان شرا .

واليوم احلم بمجد مصر واكاد ألمسه فى احلامى بيدى .. ومن يدرى فقد يتيح لى الله ان اعيش حتى ارى هــذا المجد المصرى حقيقة واقعة . .

نشرت الصرخة فى عددها الصادر فى ٧ مارس سنة ١٩٣٠ مقالة عن مصر الفتاة باسلوب خيالى تحت عنوان طريقنا الى العظمة . . وقد جاء فى هذه المقالة بعد مقدمة تخيلت فيها أن جموع شباب مصر الفتاة قداجتمعت حول الأهرام لتدرس الوسائل التى يجب عليها انتهاجها لبعث الحياة فى مصر ولا عدة مجدها القديم — مايلى .

[illegible] تفع فوق الاهرام وسطهذه [illegible] حتى اذ وصلت القمة دوى [illegible] وهزت الصخور

المجد لمصر

[illegible] شباب مصر الناهضة جاءوا من اقصى [illegible] الاسكندرية . جاءوا من [illegible] ليجتمعوا فى حقل المجد تحت [illegible] الاهرام [illegible] ليقوموا بالمعجزات فى سبيل [illegible] الذى [illegible]

[illegible] العبقرية . هذه الاهرام

تظلنا وهذا ابو الهول يرمقنا ، وهذه الراية ترف فوقنا ،وها هى الشمس تلهب ،فوسا كلها تسألكم لماذا تخليتم عن الزعامة بين الامم . هل كللتم أو أصابكم الملال . . أم استسغتم طعم الذلة والهوان . . . فدوى صوت الجموع لاجبا صارخا . . . كلا والنيل والاهرام سنعيد المجد وندرك اسباب السماء .

فصاح الشاب ثانيه . وماذا أنتم فاعلون .

فاندفع الجميع ينشدون .

سنكرس حياتنا لاجل مصر

سنبذل ارواحنا فداءا لمصر

سنعلم الطفل والفتى والكهل ان يحب مصر

فى كل صباح وظهر ومساء سنتغنى بمجد مصر

خفتت اصوات الجموع فعم السكون وعاد الشاب يتكلم « اذن هلموا الى المدينة نسير فيها بموسيقانا وأناشيدنا ، هلموا نكهرب جو القاهرة بأنفاسنا وعزماتنا وليعد كل منا بعد ذلك الى عمله وجهاده في سبيل مصر » فاصطف الشباب جماعات وكتائب وانحدروا من الاهرام وساروا فى الطريق تتقدمهم الموسيقى وترتفع عقائرهم بالغناء يحمل كل منهم مشعلا موقدا رمز النور الذى سينبعث من مصر .

وعند ما وصل الجيش الى القاهرة ودوت أناشيده فى سمائها رجعتها النوافذ والابواب ووقفت المركبات والسيارات وكلها تصيح

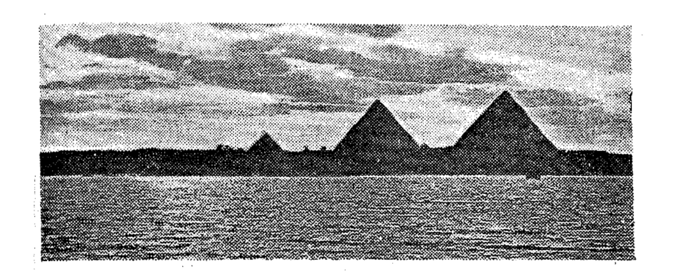
المجد لمصر

* * *

أسمعت ذلك كله ورأيته ايها الرفيق . تلك هى مصر الفتاة وهذه هى المليشيا الفرعونيه بهذه الطريقه استقلت الممالك وارتقت فمن قبل كانت ايطاليا الفتاة وكانت بولندا الفتاة والمانيا الفتاة وايرلندا الفتاة وتركيا الفتاة . . كل أمة أرادت استقلالا أو نهوضا أو مجداً اتبعت هذا الطريق طريق الشباب الملتهب بحماسة الايمان

فما أحرانا بتكوين مصر الفتاة لنعيد لمصر بهجتها ومجدها . والى الاسبوع القادم فأحدثك عن الطريق والوسائل

هذا هو الصوت الأول من اصوات مصر الفتاة في صورتها الاخيرة ولكن الحوادث اخرت ابراز هذه الصورة بهذا الشكل طوال ثلاث سنوات وان كانت مصر الفتاة قد خرجت الى الوجود في ثوب آخر كما سترى ذلك في الفصل القادم



مصر الفتاة

لم نستمر فى مواصلة إصدار الصرخة لسبب واحد هو أننا لم نجد موزعا يوزع الجريدة من ناحية ومن ناحية أخري فقد رأى صاحبهـا أن يستقل باصدارها بعيدا عن مبادئنا وبرنامجنا واقترب ميعاد انتهاء السنة الدراسية وشغلتنا الامتحانات . وفى الصيف نفذت مشروعاً كان يخالجنى منذ ثلاث سنوات وهو زيارة باريس ومشاهدة أعلامها ودراسـة الحضارة والنهوض الأوربى فجمعت من الأموال ما اقتصدته طوال هذه السنوات وما أعاننى به أخي فتحى رضوان وسافرت الى باريس على ظهر أحد المراكب .. ولقد كان عالما جديدا ذلك الذى فتح أمام باصرى فقد رأيت مظاهر النهوض والقوة .. رأيت حيوية الشعوب كيف تتجلى وكيف تستثمر .. رأيت ماذا يمكن أن تفعله يد الاصلاح والنظام فى تجميل الحياة وجعلها أكثر منطقاً . . على أن الذى هزنى أكثر ما هزنى هو قوة الشعب واحساس كل فرد بشخصيته وحريته وقوة رأيه وعقيدته .. وأعنى كيف تقف الحكومة نفسها فى خدمة المجموع فعلا .. وكيف تعتمد وتستثمر قوتها من العمل لخير المجموع وسعادة الفرد .. على أن إيمانى بمصر قد زاد اكتمالا ذلك أنى أحسست بقوة أننا لا يمكن أن نقل عن هؤلاء الأقوام وأن شعبنا لا تنقصه المواهب والكفاءة التى تؤهله لمنافسة هذه الشعوب والارتقاء عليها . . بل كل مشكلته أنه بقى محروما

من الحاكم الصالح والزعيم الصالح فلم يتطور التطور الطبيعى ووقف حيث سار الناس .. لم يستطع الفرنسيون مطلقاً أن يقنعونى أن لهم جوهرا يخالف جوهر المصريين وأننا أعجز من أن نحقق ما استطاع الفرنسيون أن يحققوه .. بل بالعكس زدت إيماناً بقوة شعبنا إذا ما شرع فى التطور تحت قيادة زعيم مصلح . وثمة أثر آخر تركته فى نفسي زيارة باريس فى ذلك العهد وهو تزعزع ثقتى بالمدنية الغربيـة فى مظهرها المادى وشعورى بأن هذه القواعد المادية الالحادية التى لا تعترف بحق أو فضيلة أو بدين أو بعرف أو تقاليد لن تنتهى إلا بنتيجـة واحدة وهي تدمير أوربا شر تدمير . ولقد كان هذا فيما بعد مبدأ أساسيا من مبـادىء مصر الفتاة والتى قامت على التمسك بكل ما هو مصرى وشرقى واحتقار كل ما هو أجنبى والتعصب للمصرية والاسلاميـة حتى آخر حدود التعصب فقد امتلأت إيماناً بأن هذا هو الاسلوب السليم لانهاض مصر وانقاذها من التردى فى الهوة التى تتردى فيها أوربا . . أجل أن فى أوربا وفى شعوب أوربا بعض الفضـائل وبعض المظاهر الطيبـة ولكن من العجب أن كل هذه الفضائل وهذه المظاهر الطيبة ليست ثمرة من ثمار المدنية الغربيـة ولكنها ثمرة من ثمار الانسانيـة الناضجة على العموم ولقد كان الشرق بصفة عامة والاسلام بصفة خاصة هو مصدر هذه الفضائل والقوى . . فلقد أعجبنى فى باريس من أخلاق القوم الصدق والصراحة فى المعاملة والأمانة والنظافة والنظام والتعاون والتضامن . . ولعمرى أليست هذه كلها فضائل الاسلام

ومبادؤه اليس هو الذى يدعونا الي كل هذه الخصال الحميـدة وكل هذه الأسس العمرانية .. فاذا كنا قد جهلنا هذه القواعد واستفاد منها الغرب فعندما نهيب بأنفسنا من جديد لاعتناقها والتمسك بها فلسنا فى هذا نقلد أو نسير خلف الغرب ولـكنا فى الحق إنما نستوحى ديننا وماضينا وتاريخنا . . وان كانت أوربا تتميز بشىء فهى تتميز بهـذا الذى حدثتك عنه من الالحاد والرغبة فى التحرر من الأخـلاق والقوانين واشباع الشهوات المادية بل والتطور بها تطورا مخيفـاً . . وأخيرا تتميز بروح الاستبداد بالشعوب الضعيفة ونزعة الخصـومة والعداء والتحاسـد فيما بينهم . . وسريان الشيوعيـة المخربة المدمرة لكل ماهو جميل وروحى وكذلك الاشتراكية المتطرفة . . هذا القسم الذي تتميز به أوربا هو ناحية الضعف فيها وهو بدأ النهاية لحضارتها ومدنيتها .

وهكذا عدت من فرنسا بعد شهر ونصف وفى عطفى ألف رغبـة ورغبة للعمـل والعمل فى ميادين مختلفـة . . وأفكارى تتبـلور وتتكون نهائياً وإيمانى بمصر وضرورة العمل لبعثها بعثاً جديدا داخل إطار الصبغة المصرية الاسلامية بعيـداً عن زيف المدنية الغربية قد أخذ صـورته النهائية التى لم يطرأ عليها تغير بعد ذلك في أى تفصيل من تفاصيلها .

ولذلك فلم نـكد نستهل العام الدراسى الجديد وقد انتقلت الى كلية الحقوق حتى القيت محاضرة عن باريس فى الجمعية الجغرافية ضمنتها ارائى

السابقة الذكر.. وتلا هذه المحاضرة عدة مناظرات جرت بيني وبين بعض النظراء في الجامعة وفي جمعية الشبان المسلمين وقد جعلت اختار في هذه المناظرات دائما الطرف الذي يكون مبدأ من مبادىء مصر الفتاة . . ففي مناظرة بين المدنية الشرقية والغربية وايهما أولى بالتفضيل منها اخترت الشرقية وشرحت وجهة نظري وأن ما يعجبنا في الغربيه هو في الأصل شرقي ويبقى بعد ذلك امتيازنا بعقائدنا الروحية وتقديسنا للاخلاق والفضيلة وفي مناظرة بين الفرعونيه والعربية أي هل نتمسك بفرعونيتنا داخل حدود مصر ونهمل الأقطار العربية والمسحة العربية في حياتنا وحضارتنا أم العكس فاخذت العربية وشرحت وجهة نظري في الرابطة التي تربط مصر بالدول العربية والتي تخول لها زعامة الاسلام وأن مصر يجب ان تكون حريصة على هذا التراث وهذا المجد فلا تتخلى عنه جريا خلف بعض الذين يريدون أن يفصلوا مصر عن هذا المجتمع الدولي العظيم والذي تربطنا به اللغة والدين والعادات والماضي المشترك..والذي تربطنا به أخيرا رابطة المصلحة الشخصية لمصر..وليس يعني هذا أن لانستغل التراث الفرعوني في الوقت ذاته فنفخر به ونزكي به إيماننا وثقتنا بأنفسنا ونتخذه مظهرا من مظاهر العزة والقوة .

وهكذا توالت عدة مناظرات في أمكنة مختلفة وكنت اخرج في ختام هذه المناظرات منتصرا وحاصلا على أغلبية الرأي العام ولقد حددت بهذه الانتصارات كما قلت وجهة نظري في مختلف الشئون العامة تحديدا نهائيا . .

وانتهي هذا العـام الدراسي ٣٠ — ٣١ على هذه الصـورة فلما كان الصيف كانت فكرة مشروع القرش . .

* * *

مشروع القرش

كان مفهوما اننا نبدأ كفاحنا السياسي حالما أنتهى من الدراسه وأصبح طليقا من الدرس والامتحانات حتى يكون الانسان متفرغا للكفاح أولا وأخيرا . . وكنا فى ذلك الوقت نعيش فى ظل عهد لا يسمح للطلاب بالاشتغال بالمسائل السياسية وأعنى به عهد وزارة صدقى باشا ومع ذلك فقد بدأت أشعر برغبة قوية فى العمل وفى عمل ضخم يهز كيان الأمة هزا ويمهد السبيل لخطواتنا النهائية فاذا بفكرة مشروع القرش تخطر لى وسرعان ماشرعت فى تنفيذها . .

كانت مصر فى هذه الأيام تعانى ازمة اقتصادية مخيفـة فقد هبطت اسعار القطن وأصبح لا يجد مشتريا وفى وسط ذلك اختل الميزان التجارى ضد مصلحة مصر اختلالا لاعهد لها به من قبل وأصبحت الأزمة والشئون الاقتصـادية هى ما يشغل بال كل مصرى . . وزاد هذا التدهور السريع فى مالية مصر واقتصادياتها وأصبح لامناص من مراجعة الموقف الاقتصادى برمته . . وقد تجلى خطر اعتماد مصر على الزراعة فقط وزراعة القطن بصفة خاصة . . وتجلى خطر اعتماد مصر اعتمادا كليا على أوروبا فى كل ماتحتاجه من مصنوعات ومن هنا فقد فكرت أن أكثر ماتحتاجه مصر فى هذه الأيام وسط الظروف المختلفة التي تحيط هو العمل على ايجاد الصناعات بها

ونشر روح الصناعة الوطنية فى كل مكان . . ولما كانت الصناعة تحتاج الى رؤوس أموال فلم أشأ أن تجمع رؤوس الأموال من بضعة أفراد .. بل رأيت أنه مما يحقق غايتنا بكمالها أن يساهم الشعب مجتمعا فى انشاء هذه الصناعات القومية فيجعله ذلك حريصا على تشجيعها فيما بعد ويسمح لنا اثناء جمع هذه الاكتتابات الصغيرة بأن نلقن أبناء الشعب دروسا فى التعاون والاعتماد على النفس ونشر الدعوة للصناعات المصرية . . وأخيرا سوف يكون لنجاح المشروع وقيام مصنع من المصانع بأموال الشعب أكبر الأثر فى احساسه بقوته اذا ماتعاون وتضامن . . وهذه كلها هي المعاني التى صغتها فى شعار مشروع القرش وقتذاك والذى كان يجرى هكذا

« تعاون وتضامن فى سبيل الاستقلال الاقتصادى »

وكان اختيار وحدة الاكتتاب بعد ذلك أمرا سهلا فقد جعلته قرشا صاغا حتى يسهل على كل فرد دفعه .

ولست أريد الآن أن أذكر تاريخ الجهود التى بذلت فى سبيل تحقيق هذا المشروع ولكن يجب أن يكون مفهوما اننى قوبلت بالسخرية وان المشروع ليس الا حلما من الأحلام أو خيالا من الخيالات .. حتى أن المحرر فى جريدة الأهرام الذى حملت له فكرة المشروع مسطورة على ورقة وقدمتها له كيما تنشر رمى الورقة فى وجهى وقال لى ان هذا (لعب عيال) .. وبعد أيام قلائل قيل لى من محرر آخر ان كرامة الجريدة لا تحتمل نشر هذه السخافات ولقد كانت هناك الف عقبة وعقبه فى طريق المشروع وأقل هذه العقبات قيام الحرب الحزبية فى مصر على أشدها وقتذاك وتربص كل جانب

بالآخر .. وكانت هناك رقابة وزارة المعارف الشديدة والتى لاتكاد تسمح لطالب بكتابة كلمة فى احدى الجرائد ..

وكان المشروع يبدو بعد ذلك مستحيلا .. وأحيانا مضحكا ..

وقال فيه بعض القانونيين كلاما طويلا عريضا عند مابدأنا نشاطناوبدأ المشروع يطرق الآذان .. فما كنت تسمع الا اعتراضا وسخرية وفى كل مكان في الجامعة وسط صفوف الطلاب وفى الشارع وفى النادى .. ولكن الله سبحانه وتعالى وفقني توفيقا عجيبا أن هدانى الى سعادة على باشا ابراهيم ليكون رئيسا للجنة التى تدرس الموضوع وتبحثه .. وكان هذا الاختيار بدء تطور جديد فى حياة المشروع ..

نجح المشروع واهتزت له مصر من أقصاها لأقصاها .. ورأيت بعينى رأسى صوراً ومشاهد جعلت الدموع تطفر من عينى .. رأيت شباباً ينتسبون الى الوزراء والى المستشارين والى كبار الاعيان يسهرون الليل وسط الصقيع كيا يستلمون اعداد الجرائد وطوابع المشروع ليقوموا بتوزيعها فى الصباح كباعة الجرائد .. رأيت شباباً يعملون مواصلين الليل بالنهار لا يكلون ولا يملون . . يسافرون من الاسكندرية حتى اسوان ليحملوا الطوابع والشارات وليتصلوا باللجان .. رأيت حولى عشرات الأوانس والوف الشباب تلمع عيونهم ويهتفون بمجد مصر ويستعذبون العمل فى سبيل استقلالها وتحريرها .. هذا هو نجاح مشروع القرش كما كنت أريد هذه هي المعنوية التى رغبت فى اثارتها . . هذا هو الكسب العظيم الذى افادته

مصر من جراء هذا المشروع .. وعند ما أقمنا مهرجان المشروع فى حديقة الازبكيـة وا كتظت الحديقة بمـا يزيد على عشرين الف من خيار الناس كلهم جاءوا ليحتفلوا برسالة التحرر الاقتصادى . . وليعلنوا رغبتهم فى أن يستقلوا بصناعاتهم وان لا يلبسوا الا من صنع بلادهم وان لا يأكلـوا الا ثمرات بلادهم .. وقفت فى ركن من الحديقة وكان قد مضى على عـدة ايام لم أنم فيها وبضع عشرات من الساعات لم اتذوق فيهـا طعام .. وقفت فى ركن من الحديقة مختبئاً عن الناس وقلبي ينبض بشدة والدموع تذرف من عينى وأنا أقول بصوت مرتفع . . هذه هى . . هذه هي روح مصر الفتاة التى انشدها .

* * *

كان النجاح المادى فى مشروع القرش أقل بكثـير من نجاحه المعنوى فلم يزد المجموع عن سبعة عشر الفا ولكنى مع ذلك شرعت فى العمل حتى احقق ما وعدت الناس به وكانت الصناعة الوحيدة التى استهوتنى منذ أمد بعيد هى صناعة الطرابيش . . فالطربوش هو شعار مصر القومى ولقد كنت أشعر دائماً بالمهانة ان يكون شعارنا الوطني اجنبياً تنـجه لنا بلاد أخرى لا تلبس الطرابيش فتقوم بحياكته كما تقوم مصانعها الأخرى بعمل الزجاج الملون والعقود البراقة لتباع فى أواسط افريقيا وأسيا .. وكانت لمصر صناعة عريقة فى الطرابيش ابان محمد على واسماعيل بل وكانت لمصر صناعة الطرابيش فى مدينة قها فتداخل الاجانب وحطموها بمنافسة غير مشروعة

هـذه الصناعة المصرية .. فرغبت فى أن أبعث هذه الصناعة بالذات وان أثأر لمصنع قها .. وان ألبس كل مصرى طربوشاً من صنع بلاده .. وقـد كانت النقود المجموعة فى نهاية الأمر من القلة بحيث لا يمكن عمل شيء بها اللهم الا أن تكون الطرابيش . .

ولا تقاس العقبات التى قامت فى سبيل تحقيق المشروع بالعقبات التى قامت فى سبيل تنفيذ مصنع الطرابيش .. فلقد قالوا كثيراً عن استحالة ذلك لقلة المال المجموع وخطر المنافسة القاتلة وعدم امكان الحصول على الآلات اللازمة لأنها محتكرة فى تشيكوسلوفاكيا منذ مئات من السنين .

ومع ذلك فقد نفذت المشروع وزرفت دموع الفرح من جديد عند ما رأيت الآلات تدور للمرة الأولى وتوجت رأسى بالطربوش المصرى طرابيش مشروع القرش ثمرة العزة والكفاح فى سبيل تحرير مصر الاقتصادى الأول .

الى هنا كان مشروع القرش قد نجح وحقق كل أغراضه فقد اثمرت دعاية الشباب الاقتصادية فاندفع المصريون يشجعون كل ما هـو مصرى ويقبلون عليه .. وتعددت المصانع فى مصر والتى قام بانشائها الأفراد . .

وحققنا للناس ان العمل فى تعاون وصبر وثبات يؤدى الى النجاح فقد وجدوا قرشهم الصغير يشيد مصنعاً ويلبسهم طرابيش وطنيـة . . على أن النجاح المنقطع النظير هو هذه اليقظة التى شملت صفوف الشباب فتعددت الجمعيات وكلها قد استمدت من مشروع القرش ومن مثاله قدوة وطريقا للعمل فتألفت جمعية القري لمحاربة الأمية وأنشىء عيد الوطن الاقتصادى

وغيرها وغيرها عشرات الجمعيات والمشاريع اقـدم عليها الشباب فى ثقة وعزم ونجاح بعد تحقيق مشروع القرش . .

واستيقظت فى نفوس الشباب كل عناصر القوة والطموح والرغبة فى العمل .. وهؤلاء الذين عملوا معي طوال عامين فى مشروع القرش بدأوا يفهمون ايمانى الكامل ورسالتى المقبلة فاذا بى لم أكد اخرج من الكلية منها تعليمى العالى حتى رأيتهم يتطلعون الىّ ويطالبوننى بخطوتى الثانية وأعنى بها تأليف ماحدثتهم عنه وما وعدتهم به وهو جمعية مصر الفتاة . . ولما ايقنت بالعزم منهم جمعتهم فى احدي الليالى وسألتهم هل هم مستعدون حقا لبـدء النزال فأقسموا جميعاً على استعدادهم فأنذرتهم انسوف تقابلهم عقبـات وسوف تتزلزل الأرض تحت اقدامهم وسوف تهاجمنا الأحزاب وسوف تهاجمنا الحكومة وسوف يكون امامنا كفاح طويل . . ولست ادرى هل كانوا يصدقوننى ساعتئذ أم أنهم قد خيل لهم انى اختبر شجاعتهم فقد اتفقوا جميعاً على الهزء بهذه المصاعب . . بعد أن تعلموا فى مشروع القرش كيف تـكون الغلبة على المستحيل . .

واذن فقد عدت الى بيتى وجلست ا كتب برنامج الاحياء ووسيلته جلست استجمع كل ما اشعر به فى نفـسى من ايمان وعزم وامسكت بالقلم وكتبت كل ما جرى به القلم على القرطاس فكان ذلك برنامج مصر الفتاة .

عدت به الى اخوانى وزملائى فوقعوا عليه في الثالث عشر من اكتوبر سنة ١٩٣٣ وكان الموقعون عليه لايزيدون عن الاثنى عشر . ورأيت أن تكون الصرخة هى لسان حال هذه الحركة وهى التي جرى على صفحاتها فى

الاعداد الأولى اول آمالى فى مصر الفتاة .. رأيت أن تكون الصرخة وهى التى اسميناها بهذا الاسم منذ اربع سنوات معبرة عما فى نفوسنا من ايمان وما لنا من برنامج فبحثت عنها حتى وجدتها فى حوزة شخص غير صاحبها القديم فكتبت معه عقدا بمقتضاه يضع الجريدة تحت تصرفنا فى مقابل ايجار معلوم .. وفى ٢١ اكتوبر سنة ١٩٣٣ وعلى صفحات العدد الثالث من الصرخة اعلنا برنامج مصر الفتاة وهكذا ابدأ الفصل الأخير من جهادى في سبيل تحرير أمتى ووطنى وتحقيق المجد لبلادى . . وقد قدمت البرنامج بنداء دعوت فيه الى عشر سنوات من الايمان والعمل لتحقيق البرنامج وانى اذ اخط هذه الكلمات بعد ثلاث سنوات من هـذا التاريخ اشعر بالشوط الكبير الذى قطعناه والذى بقى علينا لنقطعه .

واذ أستعرض الحوادث الكثيرة التى مرت بى منذ اليوم لاأجد حادثا واحدا لا يؤكد ايمانى بكل الحقائق التى قدمتها لك ويدفعنى الى الامام دائما .. فمنذ ثلاث سنوات ونحن نتطور ونسير دائما من فوز الى فوز ومن نجاح الى نجاح . . ودائرة مصر الفتاة تتسع اكثر فأكثر .

واليك نص برنامج مصر الفتاة أدعوك لقراءته فى روية وامعان .

برنامج مصر الفتاة ومبادؤها

ايماننا

مصر التى علمت الانسانية وأضاءت على العالمين . مصر التى رفعت لواء الأديان جميعا وأعلت كلمة الله والاسلام . مصر مركز العالم وزعيمة الشرق بعد أن طهرتها الآلام وصقلتها المحن . بعد أن حاربها الزمان فارتد وانهزم .

لن تموت أبداً بل ستبعث من جديد لتعيد سيرتها الأولى منارة للعالم وتاجا للشرق وزعيمة للاسلام.وهى من أجل ذلك فى حاجة الى دم الشباب الملتهب . فى حاجة الي الايمان والعمل . فى حاجة الي نفر من بنيها يقابلون الموت ويستعذبون الألم ويرحبون بالتضحية . وتلك صفات لن تتوفر فى أبناء الجيل القديم .

فعلى الشباب . وعلى الجيل الجديد . وعلى جنود مصر الفتاة تقع تبعة بعث المجد القديم هذا هو ايمان جماعة مصر الفتاة .

شعارنا

الله — الوطن — الملك : يجب أن نعبد الله وأن نعلى كلمته. يجب أن نقدس الوطن و نفنى فى سبيل مجده . يجب أن نعظم الملك وأن نلتف حول عرشه .

غايتنا

أن تصبح مصر فوق الجميع امبراطورية عظيمة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام .

جهادنا العام

١ — يجب أن نشعل القومية المصرية ونملأ نفوسنا ايمانا وثقة واعتزازا . . ويجب أن تصبح كلمة « المصرية » هى العليا وما عداها فلغو لايعتد به ويجب أن يؤمن الجميع بأن ارادة الشعب من ارادة الله وأن مصر يجب أن تصبح فوق الجميع .

٢ — يجب أن نضع الأجانب فى مركزهم الطبيعى ضيوفا فى مصر وليسوا أصحابها وذلك يكون بالغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة بجرة قلم ، وتمصير الشركات الأجنبية وجعل اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى الحياة التجارية ويوم الجمعه يوم عطلة عام ، وعدم التصريح لأجنبى بمزاولة عمل فى مصر الا بتصريح خاص .

٣ -- يجب أن نؤمن بأن الفلاح هو تاج مصر وسر قوتها وأنه الحقيقة الوحيدة التى لم تتبدل فى العالم منذ ستة آلاف سنة وهو هو الذى أبقى مصر نابضة قوية حتى اليوم فيجب أن نعلم الفلاح بأن نقضى على الأمية والجهل ونرتقى بمعيشته ونضمن له اليسر والرخاء ونحفظ له صحته وأن ندخل الى بيئة الجديد النور والهواء والماء النقى

جهادنا الاقتصادى

فى الزراعة

٤ — يجب أن نرتقى بالزراعة التى تكون ثروة مصر الحقيقية فنجدد وسائلها وننوع محاصيلها ونزرع أراضى جديدة ونشق الترع وننشىء المصارف ونعمل لمضاعفة الانتاج أضعافا مضاعفة .

٥ — يجب أن يعم نظام التعاون فى كل مدينة وفى كل قرية . بل وفى كل ضيعة لاقراض الفلاحين ولتوزيع البذور واستخدام الآلات وبيع الحاصلات وتنظيم المعاملات .

فى الصناعة

٦ — يجب أن تسترجع مصر مركزها القديم كدولة صناعيه تمد الشرق القريب والبعيد بالمصنوعات والحاجيات المختلفة .. فيجب أن نشيد المصانع لنغزل كل قطننا . . وصوفنا . . وكتاننا . . ويجب أن نشيد المصانع للصناعات الكيمائيه والزراعية والحديدية .. وتمهيدا لهذا الانقلاب يجب أن ينشأ بنك صناعى لتمويل المشاريع المختلفة وأن يتولد الكهرباء من خزان اسوان .

٧ — يجب أن توضع الحماية الجمركيه اللازمة لحماية المصانع الوطنية وأن تحتم الحكومة على موظفيها وعلى طلبة مدارسها أن تكون ملابسهم من المصانع المصرية وأن تفضل الحكومة دائما المصنوعات المحلية مهما كان ثمنها مرتفعا

٨ — يجب أن ينشط استغلال الثروات المدفونة فى باطن التربة المصرية العظيمة فنستخرج البترول والحديد والذهب والنحاس وغيرها من المعادن التي تحتاج اليها الصناعات المختلفة والتى توجد فى الصحارى المصرية العظيمة بوفرة

فى التجارة

٩ — وفي التجارة يجب أن نحتكر تجارتنا الداخلية فلا نأكل الا كل ماهو مصرى ولا نلبس الا كل ماهو مصرى ولا نشترى الا من مصرى كلما استطعنا الى ذلك سبيلا .

١٠ — يجب أن نستولى على تجارتنا الخارجية ونتصل بدول الشرق القريب والبعيد نحمل اليها ومنها المتاجر وأن نقوم بدورنا الطبيعى فى تجارة العالم كوسطاء بين الشرق والغرب . . ولكي نتبوأ هذا المركز يجب أن نعيد بناء أسطول مصر التجارى لينقل متاجرنا وليرفع العلم المصرى في أنحاء البحار

١١ — يجب أن تستعد موانينا لهذه الحركة العظيمة فتوسع ميناء الاسكندرية وتنشأ ميناء دمياط وتحول بعض موانينا الى موان حرة لا تتقاضى الحكومة عن البضاعة الموجودة بها ضرائب .

١٢ — يجب أن يؤلف أسطولنا الجوى على نطاق واسع وأن تنشأ المطارات فى كل المدن المصرية وأن تنشأ الخطوط التى تصل مصر بكل البلدان العربية وبكل افريقيا وبلاد أوروبا الهامة .

١٣ — يجب أن نمهد الطرق من الاسكندرية حتى اصوان ، وأن ننظم الملاحة فى النيل والترع وان نمد الخطوط الحديدية الى كل مكان .

١٤ — يجب ان ينشأ بنك مركزى للاصدار ايجارى هذا التقدم التجارى ويزكيه ويجب أن يصلح نظام الائتمان بحيث يكون وسيلة لخدمة التجارة ومدها برؤوس الأموال .

جهادنا العلمى

١٥ — ومصر التي ستتزعم الشرق وتضىء على العالم يجب أن تستمد هذا النور من قرائح أبنائها فيجب أن يصبح التعليم الابتدائى مجانا وأن تقل نفقات التعليم الثانوى والعالى لتكون فى متناول أفقر الطبقات ويجب أن تنشأ معاهد الدراسات المختلفة فى كل نواحى الحياة وأن ترصد عليها المخصصات ليعيش منها العلماء والباحثون .

١٦ — يجب أن تفتح الجامعة أبوابها على مصراعيها لكل من يريد الانتساب اليها من مصر أو الشرق وأن تشجع البحث العلمى وأن ترسل البعثات الى سوريا وفلسطين والعراق وايران والهند ومراكش وغيرها لتبحث وتنقب وتعلم وتنشر العقلية المصرية فى أرجاء العالمين .

١٧ — يجب أن نهتم بالحفريات الخاصة بالآثار لتكشف مغاليق التاريخ المصرى فى عصوره المختلفة ولتخرج الكنوز التى لم تكتشف بعد .

١٨ — أما فى الطب — فيجب أن يعاود المصريون نبوغهم واعجازهم الفنى لينقذوا الشعب فى مصر ولينقذوا الانسانية من الأمراض العضالة التى تفتك بها .

١٩ — أما الأزهر ، فله دور عظيم يجب أن ينهض به وأن يستعيد مركزه القديم ، ويجب أن تسري رسالته فى أنحاء العالم وأن يرتفع صوته عالياً بين الأمم الاسلامية . ويجب أن تفتح المدارس والمعاهد باسمه لتعليم اللغة العربية والاسلام فى كافة أنحاء الشرق والغرب وفى أمريكا أيضاً . ويجب أن يتطور ويستخدم الأساليب الجديدة فى إعلاء كلمة الحق والدين .

٢٠ — يجب أن تنشيء الحكومة المؤسسات لمساعدة المكتشفين والمخترعين

٢١ — يجب أن يكون فى كل قرية مكتبة وأجهزة للراديو لسماع التعاليم الدينية والخلقية والعمرانية .

جهادنا الاجتماعى

فى الدين والأخلاق

٢٢ — يجب أن نعيد للأديان كامل احترامها وقداستها .

٢٣ — يجب أن نرقي الأخلاق وأن نحارب الدعارة والخمور والتخنث .

٢٤ — يجب أن نتعلم الصدق وأن نخلص فى العمل ونستمسك بالتعاون وأن يحب بعضنا بعضاً .

٢٥ — يجب أن نقدس الشرف والواجب وأن نقلل من اللهو والمزاح .

٢٦ — يجب أن يصبح التجنيد اجباريا للجيش وأن تنقص مدة الخدمة فيه وأن يمتلىء الشباب بالروح العسكري .

فى الاسرة

٢٧ — يجب أن تنتظم الأسرة على قواعد قوية من الحب والاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء والجهاد المشترك . والوفاء بين الزوج وزوجته .

٢٨ — يجب أن نعنى بالطفولة باعتبار أنها مصر المستقبل . . مصر العظيمة . . فيجب أن نمدهم ليكونوا علماء وغزاة ونوابغ وعمالا منتجين .

٢٩ — يجب أن نرقى المرأة ونعلمها العلم الكامل لكى تكون زوجة صالحة ، ولتكون أماً تخلق الأبطال وليكون بيتها نعيم الحياة .

٣٠ — يجب أن نقضى على الأنظمة البالية التى تعرقل حركة الزواج فنلغى المهور الباهظة والحفلات الهوجاء .

فى الصحة العامة

٣١ — يجب أن يكون للصحة العامة المقام الأول فى جهود مصر الفتاة . يجب أن تكون سياسة الصحة هى سياسة الوقاية لا سياسة العلاج واذن فيجب أن ينصرف الجهد الى حماية الطفولة . . والى حماية الابصار والى حماية الأبدان من الأمراض المتوطنة .

٣٢ — يجب أن توضع قوانين صارمة لاحلال النظافة فى كل شىء ، ويجب أن يجند الشعب فى الملاعب الرياضية لنخلق جيلا كاملا قوياً سليما وتمهيداً لذلك يجب أن ينشأ ملعب كبير بالقاهرة .

فى التأمين الاجتماعى

٣٣ — يجب أن ينظم التأمين الاجتماعى بحيث يصبح لكل فرد فى الأمة الحق فى أن يكون له عمل يعيش منه واذا كان عاجزاً لا يستطيع العمل فيجب أن توجد الملاجىء ليأوى اليها .

٣٤ — يجب أن تعد المستشفيات بحيث تتسع لقبول أى مريض يلجأ اليها . وأن تنشأ فروع لكل أنواع الأمراض .

٣٥ — يجب أن يصبح الشعب شعباً مدخراً وأن يقلع عن الاسراف بتكوين رؤوس الأموال اللازمة لتكوين الامبراطورية المصرية .

٣٦ — يجب أن يكون للشعب أعياده القومية ليحتفل بها كما يليق لشعب كبير لتكون أعظم مشجع على المضى في طريقه الى الأمام .

الاغانى والفنون

٣٧ — يجب أن تتبدل الأغانى لتكون مليئة بالقوة والحياة ويجب أن يحفظ المصريون النشيد القومى .

ويجب أن نعيد الى الفنون عظمتها الفرعونية والعربية حتى تقف فى خدمة البعث والاحياء . لا أن تكون وسيلة للهو والفجور .

القاهرة

٣٨ — ويجب أن تنظم القاهرة كما يليق بعاصمة الشرق فتؤلف لها

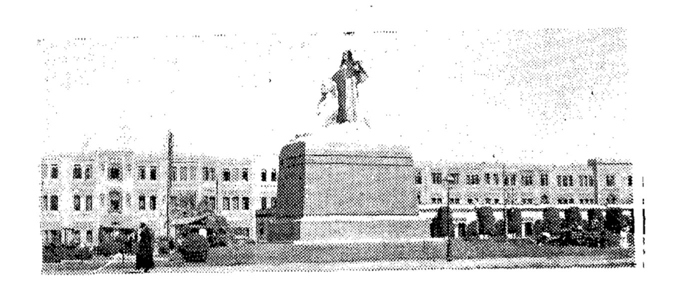
بلدية وتوضع التشاريع لتجديدها وتنظيم أبنيتها وازالة الأحياء القديمة بأسرها .

ويجب أن تطبع فى خططها بالطابعين العربى والفرعونى وأن تبنى منشئاتها العامة على هذا الطراز وأن تنظم ميادينها وشوارعها وحدائقها كذلك . .

وسائلنا

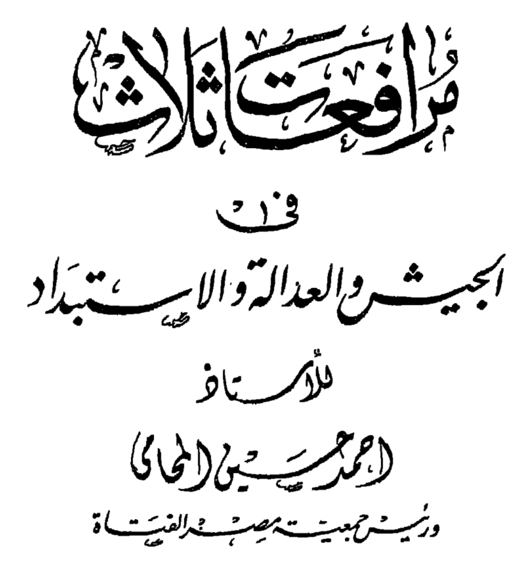
أما وسائلنا للوصول الى كل ذلك فليست حربا وقتالا وليست عدوانا أوصداما ولكنها تتلخص فى كلمتين :

الايمان . . . والعمل



فرقة فؤاد الأول

الأستاذ احمد حسين جالسا بين رؤساء الفرق والمجاهدين الأوائل الذين تتألف منهم فرقة فؤاد الأول التى أطلق عليها هذا الاسم تذكاراً الملك الراحل



آليت على نفسي أن أقضي
حياتي مجاهداً من أجل مصر
ومجدها وكل الذي أطمع فيه
أن أملأ قلوب الجيل الجديد
إيماناً بمصر وعظمتها وثقة
بأنفسهم وطموحاً للمثل الأعلى

أحمد حسين

١٩٣٤

مطبعة الرغائب بمصر

قضية الجيش

بتاريخ ٢٧ يناير سنة ١٩٣٤ ، نشرت (الصرخة) فى العدد رقم ١٧ ، خطابا أرسله الأستاذ احمد حسين ، لوزير الحربية ، حمل فيه على السياسة المتبعة فى تنظيم الجيش واعداده للدفاع ، وكيف أن الانجليز هم الذين يملون هذه السياسة ويفرضونها على مصر فرضا ، وهم بالتالى يعملون على إبقاء الجيش فى حالة عجز وقصور ، سواء من حيث العـدد ، أو من حيث الأسلحة ، أو من حيث المعنوية

ولقد طالب الأستاذ احمد حسين فى خطـابه الى وزير الحربية بانقاص مدة الخدمة العسكرية الى سنة واحدة بدلا من خمس — كما هو المتبع الآن — حتى يتمكن كل مصرى من الانضواء تحت لواء الجيش ، دون أن ينجم عن ذلك هدم بيته وأسرته ، بغيابه عنها طوال خمس سنوات . . . ثم أرفق بالخطاب عريضة موقعا عليها من خمسين شابا يظهرون استعدادهم للتطوع فى الجيش ، بشرط أن تنقص مدة الخدمة العسكرية الى سنة واحدة .

وقد اعتبر وزير الحربية ، أن بعض ما جاء فى الخطاب يعتبر سبا فى الجيش ، واهانة لرجاله ، فطلب من النيابة التحقيق فى القضية

وبتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٩٣٤ ، قدمت النيابة الأستاذ احمـد حسين ، والأستاذ احمد الشيمى رئيس تحرير جريدة (الصرخة) الى محكمة الجنايات طالبة عقابهم بالمواد ١٥٩ ، ١٤٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧

وقد ترافع الأستاذ احمـد حسين عن نفسه فى هذه القضية ، دفاعا ضمنه الكثير من مبادئ (مصر الفتاة) وكفاح (مصر الفتاة) . . وختمه بطلب الحكم عليه بالسجن ، ليأخذ نصيبه من الجهاد والتضحية .

وفيما يلى نص هذه المرافعة :

جمعية مصر الفتاة

ما هي جمعية مصر الفتاة

أقف أمامكم يا حضرات المستشارين ، وفى هذا القفص ، بصفتى رئيساً لجمعية مصر الفتاة ، فيجب أن تسمحوا بكلمة تقال عنها كتعريف لها .. أهي جمعية ثورية ... أهى جمعية غير مشروعة فان هذا التعريف للجمعية ومبادئها وكيف تكونت له أعظم الأثر فى تكوين اعتقادكم فى صحة الكلام الذى ستسمعونه منى بعد ذلك وله أكبر الأثر فى حكمكم الذى ستصدرونه فى النهاية . أما ما هى ، وكيف تكونت ، فقد آمنت مذ كنت صغيراً ، بمصر ومجد مصر . لقد طالعت تاريخها القديم والحديث وقلبت صفحات مجدها الغابر . لقد عرفت مصر الفرعونية وأحببتها ، لقد عرفت كيف علمت مصر العالم وأضاءت عليه منذ أربعة آلاف من السنين . كيف كانت الشعوب تقف من مصر موقف التلميذ من أستاذه ، كيف جاء الاغريق والرومان الى ضفاف النيل ينهلون الحكمة والعلوم . لقد عرفت كيف حكمت مصر العالم وكيف سيرت الجيوش وفتحت المدائن . لقد عرفت كيف هزت مصر الاسلامية العالم الغربى ، وصمدت فى الحروب الصليبية ضد أوربا بأسرها فهزمت ملوكها واقتادتهم سجناء الى المنصورة . لقد عرفت كيف صدت موجة التتار وأنقذت الانسانية من شرهم وأبقت على الاسلام . لقد عرفت كيف كانت جامعة الأزهر تضىء على العالم فى العصور الوسطى .

ياحضرات المستشارين أختم كلامى وأنا مطمئن الى ان الله سينزل حكمه الذى يريده على السنتكم ، وأنا مطمئن الى ان حكمكم سيكون له أعظم الأثر فى تطور الفكرة التى أدعو اليها فسواء كان بالبراءة أو الادانة فسيخطو بفكرة مصر الفتاةالى الامام أصدروا حكمكم اذن والله يرعاكم أصدروا حكمكم وأنا منذ الآن سعيد به ايا كان بل لعل سعادتى ستكون مضاعفة اذا كان حبساً . .

اصدروا حكمكم ودعونى اهتف من اعماق قلبى :

الله أكبر والمجد لمصر

١٧ / ٤ / ١٩٣٤

الحكم

وقد نطقت المحكمة المشكلة برئاسة نجيب بك سالم عقب هذه المرافعة بحكمها وهو يقضى بتغريم كل من الاستاذين احمد حسين واحمد الشيمى ٢٥ جنيها غرامة لكل منهما — وقد رفض الاستاذ احمد حسين أن يدفع الغرامة وعلى ذلك فقد قبض عليه واودع السجن ثم رئى بعد ذلك أن مصلحة الجمعية فى أن يغادر السجن فدفعت الغرامه وغادر السجن بعد حبس دام أسبوعين .

قضية العمال

أو

العــدالة والقــانون

العمال فى مصر ، طائفة حقيقة برعاية واخلاص كل مصرى ، لانهم قوة الأمة الكامنة ، وعصبها الحى .. فالأمة بعمالها ، والعالم الآن يعيش بالعمال ومن أجل العمال . ولقد انقضى ذلك العهــد الذى كان ينظر فيه الى العامل ، كنوع من الرقيق لصاحب رأس المال ، وأصبح العامل مساهما فيما يزاول من عمل ، فيجب أن يرتقى بارتقاء هــذا العمل ، وأن يعود عليه جزء من فائض ربحه الذى هو ثمرة مجهوده وكده ...

ولقد نهض عمال مصر ، يطالبون بحقهم الشرعى ، أو بعض حقهم . . وكم بذلت مجهودات عــدة فى هذا السبيل ! . . على أن أكمل هذه الجهود وأروعها ، هى تلك التى قام على رأسها « **الشريف عباس حليم** » ذلك الزعيم النبيل الذى ينحنى الانسان اكباراً لانسانيته ، ووطنيته ، وجرأته !..

استطاع الشريف عباس حليم ، أن ينظم العمال فى (اتحاد عام) بدأ ينمو ويقوى على مر الأيام . . وفى ظل الاتحاد ، بدأ العامل المصرى المسكين ، يحس بكيانه وشخصيته . . بدأ يتنفس الصــعداء ويشعر بانسانيته . . فأحفظ ذلك صدور القوات الهدامة فى هذه الأمة ، فقرروا إلغاء الاتحاد ! . .

جزع العمال لهذا النبأ . . وهرعوا الى دارهم يتفاوضون فى هذا الأمر الجلل فتلقاهم البوليس بأسلحته وعصيه . . فقتــل منهم واحداً ، وأصاب آخرين ثم قادهم الى المحــكمة بتهمة التجمهر والاعتداء على البوليس . . وفى المحــكمة كانت النيــابه تعتمد على قانون التجمهر — أولا وأخيراً — وتطلب تطبيقه بدون شفقه ولا رحمة . . ومعنى ذلك : ادانة كل هؤلاء العمال البؤســاء وقذفهم الى السجن ، وتخريب دورهم .. وقد كان عدد المتهمين سبعين متهما .

العدالة والقانون

جئت لأقول للقانون الجبار العاتى مكانك
فان كنت أنت سيدا مسيطراً .. ان كنت
قويا مهيمناً ، فلست الا من صنع الانسان ،
وما صنعه انسان ، يهدمة انسان آخر ، ويبقى
الخلود والأزل للقانون السماوى ، وأعنى به
العدالة لأنها من صنع الله .

صرخة العدالة

لماذا جئت ياسيدى القاضى ولم تعتد هذه المنصة أن تراني واقفا خلفها، ذلك انى اخترت أن يكون نصيبى ، دائما ، قفص الاتهام . . فما الذى حاء بى من قفص الاتهام الى منصة الدفاع . . وما الذى حدا بالمتهم دائما ، أن يقف موقف المحامى ؟ ! . .

أما الدافع الأول : فهو لأن أصرخ من فوق هذا المنبر ،صرخة العدالة فى وجه القانون . . . القانون الجائر . . . جئت لأصرخ فى وجه الوهم الذى يسيطر على الحياة القضائيه ، ألا وهو أن القاضى يجلس فى خدمة القانون لا العدالة ، وأنه لامناص من تطبيق أحكام القانون ، مادامت أركانه متوفرة ، حتى ولو كان القانون من الشذوذ بحيث يجعل انطباقه مستحيلا !

دموع النيابة

جئت لأقاوم هذه الحمى التى انتابتنا فى مصر . . حمى سيطرة القانون على حساب العدالة ! . . النيابة تقدم للمحكمة متهمين ،تطلب لهم السجن،

وهي تغسلهم بدموعها شفقة ورحمة عليهم ، ولكن لامناص من تطبيق القانون ! . . وقاض يصدر حكمه بالادانة ، وقلبه يذوب اشفاقا ، ولكن ماذا يفعل والقانون يحتم ذلك ! ؟ . . وأخيراً ، بوليس يقتل الناس قتلا ، وهو متألم جد الألم . . ولكنه القانون ! !

تقف النيابة فى كل القضايا معتزة شامخة فى وجه الدفاع ، مشهرة هذا السيف البتار . . سيف القانون . . يقاوم الدفاع المسكين وهو يجاهد لينقذ المتهم البرىء ، ولكن عبثا كل ذلك . . فالقانون قد يدرك البرىء كما يدرك المسىء !.

— القاضى : المحكمة ستبحث كل نواحى القضية ومادياتها

— الأستاذ احمد حسين مستطرداً : خذوا مثلا هذه القضية ، فقد سمعتم من الوان الدفاع مايهدم القضية من أساسها . . سمعتم من اثنا عشر محاميا ، لم ينقدوا أجراً لحضورهم ، بل جاءوا يدافعون عن المتهمين الأبرياء، وأسمعوكم طوال أيام ثلاثة ، كلمات الحق والعدل . .أيام ثلاثة وهم يهدمون بمعاول حقهم ، باطل هذه القضية . . ولكن النيابة تجلس مطمئنة الى ان القاضى فى نهايته الأمر لن يستطيع الا أن يطبق القانون ، ولن يستطيع فى النهاية الا أن يزج بهؤلاء المتهمين الى السجن ، لأن قانون التجمهر صريح ومنطبق !

ما وضعه الانسان يهدمه الانسان

ترى وماذا يكون فى ذلك الغول المخيف ؟ . . ترى وماذا يكون هذا الويل الذى لا ينجو من شروره حتى الابرياء ؟ ! . . ترى الى أى حد يجب أن يخضع القاضى للقانون على حساب العدالة ؟ !.. هذا أول دافع لى على الحضور . . جئت لأوقف هذه النظرية عند حدها . . جئت لأقول لهذا القانون الجبار مكانك ، فان كنت أنت متسيطراً وسيداً .. ان كنت أنت قويا مهيمنا ، فلست الا من وضع الانسان ، وماوضعه الانسان يهدمه الانسان ، ويبني الخلود للقانون الازلى السماوى ، وأعنى به « العدالة » ، لانها من صنع الله

أما الدافع الثانى : فهو صلتي الشخصية بالقضية . . ذلك أن لى صلة خاصة بهذه القضيه . ففى اليوم الذى كان يمنع فيه هؤلاء العمال من الدخول إلى دارهم ، كنت أنا أيضا أمنع من الدخول إلى دارى فى الاسكندرية . وفى الساعة التى كان البوليس يضربنى فيها ثم يسوقنى إلى التحقيق والمحاكمة بتهمة التجمهر والاعتداء على البوليس ، هى نفسها الساعة التى سيق فيها هؤلاء العمال الى المحقق بتهمة التجمهر والاعتداء على البوليس

أترون هذا الشبه العجيب ياحضرة القاضى ، فى نفس اليوم ، و بنفس الوقائع ، وبنفس الاسلوب . فالبوليس هو البوليس فى القاهرة وفى الاسكندرية واضطهاد الحريات هو فى القاهرة وفى الاسكندرية ! !

ولقد حوكمنا فى الاسكندرية بعد أيام من القبض علينا ، ثم صدر الحكم

علينا وتقدمت لحضرتكم هذه القضيه لتفصلوا فيها ، فرأيت من واجبي أن أقف فيها مدافعا عن العداله ومناصرا للمظلوم . . العدالة التى أعرف مقرها ومستودعها ، ومقاوما الظلم الذى أعرف مقره ومستودعه أيضا

السجن وساعة الافراج

هناك فى الأسكندرية حيث كنت المتهم . لم أطلب لنفسى العدالة بل السجن لأنى أرى أننا يجب أن نهرب من هذا العهد الاسود الذى نعيش فيه . . يجب ان نهرب الى السجون يجب ان نهرب منه الى الزنازين فهناك سنستنشق عبير الحرية . وهناك سنفكر دون ان يتحكم مخلوق فى تفكيرنا . . وهناك سنعبد الله طويلا دون أن تتداخل النيابة أو يتداخل البوليس . . هذا ماقلته فى الاسكندرية فقد كنت هناك أتكلم عن نفسى . أما اليوم فى موقفى مدافعا عن هؤلاء العمال ، فلن أطلب لهم السجن ، لأن مثل هذا الطلب يكون جريمة . . وهناك فى الخارج هذه المئات من نسائهم وأطفالهم وآبائهم . . الجميع يتطلعون الى ساعة الافراج عنهم ، هذه الساعة التى يدفعون نصف أعمارهم ثمنا لها . . هذه الساعة التى يصلون من أجلها كل صباح مساء وكل ظهر وأصيل .

لا . . لن أطلب لهم السجن ولكنى سأطلب العدالة ، والعدالة المطلقة . تحاول النيابة فى هذه القضية أن تضع المحكمة أمام صورة مشوهة من الخروج على القانون ، وهي بعد ذلك تطالبكم بتطبيق القانون . . فنقول لكم : ماذا تنتظرون لكي تحكموا .. فان القانون .. قانون التجمهر يتطلب اجتماع عدة

اشخاص يرى البوليس أن تجمعهم خطر على الأمن ، ثم يدعوهم الى التفرق ليمتنعوا .. هذه هى أركان الجريمة وهى متوفرة هنا كل التوفير . وإذن فلم يبق إلا أن تحكموا ، ولم يبق إلا أن تزجوا بهؤلاء الى السجن تطبيقا للقانون

وإذا حكمتم بين الناس

ولو أن المسألة سارت أو يجب أن تسير على هذا الوجه ، لوجب أن تغلقوا المحاكم . . بل ولوجب أن تسرح النيابة أيضا لأننى لا أريد أن أجردها من محاولتها الوصول الى العدالة . . ولوجب أن نكتفى برجال البوليس الأعزاء يقومون بتطبيق القانون وبعقاب من يخرج على القانون..

لا سيدى القاضى . . صدقنى أنها فكرة خاطئة ، هذه التى حاولت النيابة أن تغرسها فى نفوس القضاة . . والتى ساعد المحامون أحيانا على غرسها بجريهم وراء التطبيق القانونى والبحث عن أركان القانون ، تاركين الناحية المقدسة من الموضوع . . تاركين العدالة جانبا . . إنكم هنا للعدالة وللعدالة فقط أنظروا الى يمينكم أيها القاضى وإقرأ ماذا هناك..إقرأ ياسيدي القاضى باسم ربك.. « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » ..هذه هى كلمة الله ،هذا هو أمر الله « إن الله يأمركم بالعدل والاحسان » فمن ذا الذى يخالف إرادة الله .. « أن تحكموا بالعدل » لا بالقانون ، لا بما تريد النيابة ، لا بقانون التجمهر أو المظاهرات .. وانما بالعدل فابحث عن العدل وأقم العدالة تقم بمهمة القضاء . .

العدالة والقانون

لعلك معترض عليّ ، أو لعل النيابة معترضة عليّ .. وما هذه القوانين الموضوعة إذن التي اتخذناها مقياسا للعدالة، والتى اصطلح عليها المجتمع .. فأقول لك ليست هذه القوانين الا محاولة المجتمع للوصول الى العدالة فقد لوحظ أنه ليس من السهل دائما ادراك العدالة ،فوضعت عدة قواعد تساعد القاضي للوصول الى العدالة من جهة ، ولتحول دون ظلم القضاة من جهة أخرى . لتحمي المتهم من تعسف النيابه أوالقضاء..رجل سرق فلاتستطيع أن تحكم عليه بالاعدام..رجل له أعذار مخففة،فلا تستطيع أن تشدد له العقوبة

وإذن فالقانون لم يوضع الا لاقرار العدالة فى بعض الأحيان ، وللوصول اليها فى بعض الأحيان الأخرى مثال ذلك — اعدام القاتل — فان هذا الاعدام هو العدالة كما تراه مكتوبا على يسارك: « ولكم فى القصاص حياة » فالقانون سلم العدالة ، فاذا ماتعارض القانون والعدالة ، فقد وجب أن نحطم هـذا القانون لأنه يتعارض مع العدالة ، وإلا لانقلبت الأوضاع وخربت الدنيا واقتربت الساعة

كم من الطغاة الذين يستولون على أقدار الأمم بالقوة القاهرة ويسومونها الخسف ، ينهزمون فى نهاية الأمر أمام القضاء ، لأنه يبحث عن العدل ، حتى ولو كان القضاة الحاكمون صنائع لهذا الطاغية ، حتى ولو كانوا أعوانه فى الطغيان وإحداث الانقلاب

من هنا ياسيدى القاضى ، كان المغتصب يضيق ذرعا بالقضاء فيبطله

ويعطى الحكم لرجال العسكرية يأمرهم بتطبيق القانون ، وهنا وهنا فقط ، قد نجد رجالا يطبقون القانون والقانون فقط . وهنا وهنا فقط ، قد نجد أناسا ينحرفون عن العدالة الى تطبيق القانون الظالم . . يا لحكمة الله . . حتى هؤلاء، بعد أن يجلسوا فى منصب القضاء المقدس ، قد ينسوا ماجاءوا من أجله وينزعون الى العدالة !

وهل أدل على ذلك مما حدث فى الثورة الفرنسية ؟!

هذه الثورة الحمراء الدامية ، التى سالت فيها الدماء أنهاراً ، والتى طاحت فيها رءوس الأشراف وغيرهم بالمئات والألوف ، هذه الثورة التى لم يكن الجلاد فيها يهدأ لحظة عن قطع الرءوس وإخماد الأنفاس . .فاذا هدأ لحظة أكمل الغوغاء عمله فى الشارع على حسابهم الخاص . . هذا الطغيان الذى كان غرضه الأول التخلص من الملك ، أراد أصحابه أن يسبغوا على تصرفاتهم تجاه الملك شيئا من الشرعية ، فاذا بهم يشكلون محكمة من السفاحين والقتلة لتحاكم الملك لويس السادس عشر ولتقتله ، وقد كان ، وعقدت المحكمة وجاء الملك وترافع محاموه ، وناشدوا القضاء العدالة والرحمة ، فماذا كانت النتيجة ؟ . . كانت النتيجة أن هؤلاء الذين جاءوا ليقتلوا الملك وقد جلسوا فى منصة القضاء استجابوا للعدالة فكادوا يبرئون الملك ، ومعنى هذا القضاء على الثورة بأسرها . . ولكن العدالة فى هذه اللحظات أغلى من كل شىء ، لولا أن صاح بهم الطاغية الأكبر روبسبير قائلا : « انكم لم تجيئوا الى هنا لتكونوا قضاة ولكن لتحكموا بالاعدام » ! وهكذا حكموا فى النهاية بعد أن خلعوا عن أنفسهم ثوب القضاء .. فالقضاء هو العدل ، وإلا فلا قضاء .

وأنت أيها القاضى المقدس ، تنحني لك الرؤوس اجلالا واحتراما .. أنت أيها القاضي قد ترسل بالمجرم الى المشنقة ونحن جميعا نمجد عملك ، وما ذلك الا لأنك رسول العدل ، وخادم العدالة ، لا القانون الجائر الظالم

فالعـدالة ، والقضاء ، مترادفان . فان اختلفا فقد سقط عن القضاء ثوبه المقدس . .

المحلفون فى اوروبا

وفى أوروبا يجيئون بالقاتل — ولا تزال يداه ملطختين بدم القتيل — ويحاكمونه ، وقبل أن يصدر القانون كلمته تصدر العدالة كلمتها .. على لسان هؤلاء المحلفين الذين يجيئون بهم لتمثيل الرأى العام .. لأن الرأى العام هو وحده الذى يعرف العدالة لأنها مستقرة فى ضمير الجماعة . . أما الظلم فلا يستقر الا فى نفس الفرد . .

ولما كان القانون ليس إلا وليد رغبة الجماعة . . وليس كما قلنا . . إلا القواعد التى يضعها المجتمع ليسهل العثور على العدالة . . فقـد وجب الرجوع دائما إلي الجماعة لنسألها عن موضوع العدالة . . لأنها الأصـل والقانون وكيل وإذا حضر الأصل بطل عمل الوكيل .. وهذا هو أساس المحلفين فى أوربا . يأتى القاتل أو السارق أو المزور فيسأل المحلفون رأيهم فى جريمة هذا الرجل لقد ارتكب الفعل المادى لقد قتل أو لقد سرق . . ولـكن هل يرونه مستحقا للعقاب فيقولون نعم . . فى هذه الحالة يطبق القانون لتوقع هذا الجزاء . . أما إذا قالوا لا . . فقـد سقط عمل القانون

وزالت عن عمله الجريمة . . وهذه هى العدالة وهذا هو الحق . لأن الجريمة تقاس بمقدار ما تسببه من فزع للرأى العام .. لأنها تقاس بمقدار ما تخل به من طمأنينة الجماعة .. لأنها تقاس بمقدار ما توقعه من ضرر بالجماعة .. هذا هومقياس الجريمة .. وهذا هو السرفىمشروعية العقاب .. لأن جناية المجرم تهدد المجتمع فى كيانه . فهذا المجتمع يناضل عن نفسه ويعاقب المجرم . فاذا جاء المجتمع وقرر أن لا ضرر فيما أتى به شخص من الأشخاص ، فان صفة الجريمة تسقط عنه ، والحق فى العقوبة يصبح غير شرعي .. فضمير الأمة اذن ياسيدي القاضى هو الحكم الأول والأخير فى اعتبار العمل مباحاً أو جرماً ..

وهكذا ترون أن نظام القضاء فى أوربا ، يقوم على معرفة ضمير الأمة الذى تستقر فيه العدالة ، وذلك عن طريق ايجاد المحلفين ، وفى مصر لايوجد هذا النظام .. فى مصر لايوجد محلفون .. بل قاض يقدمله المتهم وتقدم بجواره نسخة من القانون لتطبيقها عليه . . فهل معنى ذلك أن القاضى مطالب بتطبيق القانون فقط دون أن يقوم بدور المحلفين ، وأعنى به البحث عن العدالة ، بعيداً عن القانون والنصوص !

ضمير القاضى

تحاول النيابة العمومية أن تغرس هذا المعنى فى نفوس القضاة، محتجة بأن القانون المصرى يحتم ذلك .. ولكن القاضىفىمصر قدجعلهالقانون فى مركزفوق القانون .. جعله القانون فى مركز يستطيع فيه أن يحطم القانون

لصالح العدالة .. لأنه أعاد كل شيء في نهاية الأمر الى ضمير القاضي .
واقتناع القاضي هو كل شيء فى المسائل الجنائية .. قد يحضر أمامك شهود فيشهدون على الواقعة وهم يبلغون المائة ويجمعون على تفاصيلها الواقعة ، ولكنك تستطيع أن تهزأ بكل هذا لخدمة العدالة.. بل ان القانون اعطاك الحق اذا قررت الادانة أن تحكم بأربعة وعشرين ساعة حبس أو بثلاث سنوات..
لم كل هذا الفارق العظيم ؟ ولم تطبق على مسألتين متشابهتين هذين الجزائين ، أحدهما فى الأرض ، والآخر فى السماء ؟ .. لأن العدالة قد تقضي بذلك ..
وليس هذا كل شيء . فقد أعطاك القانون الحق اذا ما ثبتت لديك الادانة ، وقامت عليها الأدلة وأحسست من أعماق نفسك بالشفقة على المحكوم عليه ، أن توقف التنفيذ أحياناً .. وأن تقلب العقوبة وتنزل بها من السجن البالغ سبع سنوات ، الى الحبس الذى يصل الى ٢٤ ساعة

فهل بعد ذلك يقال أن القاضى المصري مقيد بالنصوص . . مقيد بالقانون ؟ .. هل بعد ذلك تحاول النيابة أن تقنعنا انه يكفى أن تثبت قيام أركان الجريمة لكي توقع العقوبة ؟ ! .. لا .. لا .. القاضى المصرى كأى قاض فى الدنيا يجب أن يبحث عن العدالة .. واذا تعارض القانون مع العدالة ، فيجب أن يهمل القانون . . دعك من قانون التجمهر اذن بينك وبين نفسك ياسيدي القاضى .. طبق العدالة المطلقة أولا . فاذا أوحت اليك العدالة بالبراءة ، ففسر القانون بحيث يكون فى خدمة البراءة

أين توجد العدالة ؟

ومن أنى لك معرفة العدالة . . وأين تبحث عنها ؟ .. ابحث عنها فى

ضمير الأمة .. ابحث عنها فى ثنايا الرأى العام .. ابحث عنها فى بيتك بين خدمك وزوجك وأولادك . . كل هؤلاء سيعرفوك أين توجد العدالة فى هذه القضية .. ابحث عنها بين هذه القلوب الواجفة المضطربة .. ابحث عنها فى ردهة المحكمة فى وسط الدموع التى يذرفها هؤلاء المساكين الذين جاءت فلذات أكبادهم ! . .

ابحث عنها فى وسط مئات وألوف من المساكين فى انحاء مصر من أقصاها الى أقصاها ، والذين يترقبون كلمتك لتكون أملا وحياة لهم .. أو شقاء وتعاسة الى الأبد !

الانسانية المعذبة

تعال .. تعال يا سيدى القاضى نبحث عن العدالة سويا .. تعال نجتاز أوساط العمال .. تعال لتشاهد الفاقة والجوع والفقر .. تعال لتشاهد كيف تزحف جيوش المرض .. كيف تفتك بالأطفال .. كيف تفتك بالزوجات .. كيف تفتك أخيراً بجسد العامل المسكين .. تعال أريك كم من المئات منهم يقعون صرعى أثناء العمل ،فاذا أفاقوا وجدوا أنفسهم خارج الباب مطرودين تعال أريك كيف يموت ابن العامل منهم فيذهب الى رئيسه يطلب أجازة لدفنه فيقول له بل إذهب ولا تعد .. تعال أريك كيف يعمل العامل طول الأسبوع ، وعند ما يذهب لقبض مرتبه الضئيل فى نهاية الأمر ، قالوا له ليس لك نقود .. لقد تأخرت فى يوم نصف ساعة نخصم منك نصف يوم؟!

ثم لقد ناقشت رئيس العمل ووجهت له كلاماً قاسياً فعوقبت بخصم ثلاثة

أيام .. ثم .. ثم لم يبق لك إلا عشرة قروش .. يا إله العالمين عشرة قروش لرجل له عائلة طوال الأسبوع ! !

أجل . . هذا ما يحدث كل يوم

تعال ياسيدى القاضى لأريك مئات منهم طوال عشرين سنة ، يفنون شبابهم وعزمهم وقوتهم ثم يطردون دون قرش أو مليم لالشيء إلا لأنهم أصبحوا غير لائقين للعمل . . تعال يا سيدى القاضي أريك ألوانا يشيب لها الرأس من الفزع .. تعال معى لتذرف الدمع على هذه الانسانية المعذبة ! !

فهل اذا قام هؤلاء العمال البؤساء يدافعون عن انفسهم .. استغفر الله .. بل يتعاونون على العذاب .. اذا قام هؤلاء العمال يؤلفون من بينهم جمعية تخفف من مصائب الدهر .. تطعم جائعهم اذا جاع .. وتكفن ميتهم اذا مات .. وتغيث ملهوفهم اذا وصل الي درجة التلف .

اذا قام العمال بمثل هذا العمل ، اعتبروه اجراما ما بعده اجرام ... فيجب أن يطاردوا . ويجب أن يحاربوا . ويجب أن يلقوا فى غياهب السجون . . السجون المظلمة !

شيوعية ايه .. ! ?

تقول لكم الحكومة انها تفعل ذلك خوفا من خطر الشيوعية ، للضرب على أيدى الشيوعية (شيوعية ايه وزفت ايه احنا لاقيين نا كل) ! أتعرفون ماهى الشيوعية .. الشيوعية هى أن يثور العمال فيحطموا الرأسمالية ، الشيوعية هى أن لا يسمح فى الدولة لرجل واحد يتملك نقودا أو عقارات

أليس من الاجرام والنذالة أن يوصف بهذا عمال مصر.. عمال مصر الذين يطالبون بالقوت . . عمال مصر الذين يقولون : «نريد الخبز والماء» ! ! .
أأصبح طلب القوت . . أأصبح طلب العدالة فى أبسط مظاهرها جريمة لا ليست الشيوعية هى التى نحارب من أجلها العمال !

ولكنى أقول لكم . . ولكنى أحدثكم عن السر الحقيقى فى مطاردة العمال ، وفى حربهم هذه الحرب المجرمة . . ذلك ان تسعة وتسعين فى المائه من الأعمال والمصانع فى مصر ، التى يوجد بها عمال ، ليست الا ملكا للأجانب . الأجانب الذين جاءوا الى مصر ليمتصوا دمها . الأجانب الذين يجيئون فقراء جوعى ويعودون من هنا اغنياء وسادة . . هؤلاء الأجانب هم الذين يشتغل لديهم العمال

الجشع والاستعمار

هؤلاء الأجانب هم سادة العمال،فيجب أن يبقى العمال أحقر من العبيد ويجب أن يبقى العمال ضعفاء مساكين كى يمكن استنزافهم أعظم استنزاف .

كى يمكن إرباح الجنيـه عشرة جنيهات . أما اذا قوى العامل . أما اذا طالب بشىء من حقوقة ، فستتناقص الأرباح ولن يصبح الربح خمسمائة فى المائة بل ربعمائة فى المائة فقط . وكيف يكون هـذا وفى مصر ادارة الأمن العام الأوربية مهمتها السهر على مصلحة الأجانب . . وكيف يكون ذلك والأجانب لايزالون بحمد الله كل شىء فى مصر . .

لا . . ياادارة الأمن العام . . لا ياحكمدار العاصمة . . وياوكيل

الحكمدارية . . لا يا كوين بويد . . لا يابيكر بك . . البدار البدار لخنق حركات العمال . . البدار البدار لكسر انف العمال !

وهكذا يقع العمال المساكين فريسة فى يد من لايخاف ولا يرحم . . وهكذا يقع العمال فريسة للجشع والاستعمار . . كون العمال البؤساء أخيرا اتحادهم فبدأوا يتنفسون . . ووجدوا بجانبهم رجلا اذا طرد واحد منهم اصطحبه حتى صاحب العمل ورجاه فى قبوله .. اذا جاع واحد منهم قدم له القوت . . فأحبوا الرجل والتفوا حوله وأخذوا ينظمون أنفسهم، ليوفروا لأنفسهم شيئا من الراحة . . شيئا من العدالة . . ولكن العين الساهرة لم تتركهم ، وإذا بها تصدر الأمر بهدم كل الذى بنوه ، وكل جهدهم فى أربعة سنوات . . إذا بقطعة من الورق يخطها قلم محموم تهدم كل ذلك وترسلهم من جديد الى الفزع والفاقة ، وترسلهم من جديد مشردين فى الشوارع

هل هناك من يسمع الشكوى ؟ هل هناك من يرجعون اليه؟ هل هناك من يغيث المساكين ؟ ! لقد نفذ الأمر وأصبحوا مشردين ، لو أن هناك بابا للالتماس لطرقوه .. لو أن هناك وسيلة للشكوى للجأوا اليها .. جزع العمال البؤساء ، ومن لا يجزع ؟ .. جزع العمال أن ينهار هذا العش الذى كانوا يأوون اليه ، هذا البيت الذى كانوا يسكنون اليه . . جزع العمال أن يروا يد القدر .. أو بالأحرى يد الطغيان .. تقصيهم عن هذا الرجل الذى مهما قيل فيه فهو رجل ممتاز ذو قلب كبير وروح سامية .. هـذا الرجل الذى كان بواسيهم الذى كان يداوى جراحهم ويشد أزرهم .. جزع العمال أن ينهار هذا الاتحاد الذى أسعدهم قليلا وهم أناس لهم حقوق الناس .. هذا

الاتحاد الذى أدخل الى ظلام نفوسهم نور الأمل فأرادوا أن يجتمعوا فى دار زعيمه للمرة الأخـيرة (لو صح أنهم دبروا الاجتماع) .. أرادوا أن يجتمعوا ليتشاوروا .. ليتدبروا أمرهم قبل الحكم عليهم بالاعدام .. فذهب المساكين ، أو ذهب بعضهم على وجـه التحديد الى الدار فاذا بالبوليس يصادفهم .. واذا بالبوليس يمنعهم .. وما هو منع البوليس وما أدراك ماهو إنه منع مسلح .. إنه منع لا يعرف إلا لغة العصى والمسدس والبندقية !

صادفهم البوليس ... الذى ضربنى فى نفس اليوم ثم قال عنى أنى اعتديت عليه .. البوليس الذى أطلق عليهم النار فأزهق روحا ذكيـة واسال الدم من جراحات نفرمنهم .. وهاهو ذا يوقف البواقى أمامكم فى نهاية الأمر بتهمة التجمهر والاعتداء على البوليس ... وها هى ذى النيابة تطالبكم بتطبيق القانون عليهم وزجهم الى السجن ... طبق القانون اذن ياسيدى القاضى .. طبق القانون الجائر واحكم على كل هؤلاء فسوف تصفق لك النيابة وسيقولون عنك انك قاض تجيد تطبيق القانون .. ولـكنك لن تكون قاضيا عادلا . . فعبثا أن يقال أن العدالة تقضى أن نزج هؤلاء الى السجن كى يرتدع غيرهم ! !

أى عدالة هذه التى تهشم النفوس وتسحق الأرواح . أى عدالة هذه التى تزج بالضعفاء الى السجون لأنهم قاوموا أمراً من أوامر البوليس . لا حاشا وكلا أن تـكون هذه العدالة .. وحاشا وكلا أن تـكون أنت ذلك القاضى الذى يهتم بالنصوص أكثر من اهتمامه بالعدالة ... لقد قاوموا البوليس .. ليس هـذا يكفى لـكي يكونوا مجرمين .. ابحث أولا هل كان

البوليس متعسفا معهم أم لا. ابحث أولا هل كانوا يستحقون هذا الاضطهاد أم لا.. وسترى أن البوليس كان ظالما لهم يوم أن منعهم لرد غائلة الظلم عن أنفسهم . وعندها فان العدالة .. العدالة المطلقة ، تقضي بالافراج عن هؤلاء المتهمين فوراً ، وان كانت بعضهم قد أخطأ في تصرفاتهم ، فقد حبس وعوقب بما فيه الكفاية .. اذا كان أحدهم قد ارتكب وزرا ، فهو قد أخذ ما يزيد عن نصيبه .

الله أكبر

ان القضية قضية تجمهر ، حتى ولو حكمت بالادانة ، فلن تحكم بأكثر من شهر حبس أو بضعة قروش يدفعها كل منهم . وهؤلاء قد قضوا فى الحبس أكثر من شهر ونصف فعوقبوا بأكثر مما يستحقون ، فلا تؤخر حبسهم يوما واحدا أكثر من ذلك . . ردهم اليوم الي أهلهم بالافراج ان لم يكن بالبراءة حتى يصدر الحكم . . ردهم الى اولادهم وزوجاتهم يقدسك اربعة عشر مليونا من المصريين يهوون الحرية الضائعة فى هذا البلد . . . ردهم الى أهلهم تقم أفراحا فى مئات من البيوت اليوم . . ردهم الى أهلهم ياسيدى القاضى ، فقد جاع هؤلاء الأهل ، ولا معين لهم الا هؤلاء الضعفاء ردهم الى أهلهم يباركك الله ، ويقترن اسمك بالعدل الى الأبد . .

والله يوفقك للخير والسداد . . والله اكبر م؟

لا دفاع لى

أولى قضايا مصر الفتاة

وختام المرافعات فى عامين

وكان للقضية التالية أهميتها فقد كانت أولى القضايا التى رفعت على مصر الفتاة وقد قبض على الأستاذ أحمد حسين والأستاذين فتحى رضوان وحافظ محمود وزج بهم فى السجن بعد تحقيق دام ٤٨ ساعة وقد كانت علة القبض مقالا نشره الأستاذ احمد حسين فى جريدة الصرخة تحت عنوان ياشباب عام ١٩٣٣ كن كشباب عام ١٩١٩ وقد ندد فيها بشبان الجيل الحديث وانكبابهم على اللذات والشهوات وفقدانهم عناصر الرجولة والكرامة والغيرة القومية ... وهاجم فيها السينمات ودور اللهو ومظاهر التخنث والاسراف فى العبث والضحك ثم دعا الشبان فاطبة للتشبه بشبان عام سنة ١٩١٩ الذين كانوا مثالا للبسالة والرجولة والتضحية الذين جابهوا رصاص الأعداء وتسربلوا بدمائهم ولم يكن لهم من صيحة الا نموت فداءك يا مصر .

وعلى الرغم من أن هذه المقالة اتخذت حجة للتحقيق فقد تناول التحقيق كل دخائل مصر الفتاة وفتشت بيوت زعماء الجمعية جميعا وصودرت جميع أوراقها ودوسيهاتها وقد حصلوا منها على أسماء أعضاء الجمعية الذين ناهز عددهم بضع مئات فى ذلك الوقت ... وقد أمعن البوليس بعد ذلك فى اضطهادهم جميعا وملاحقتهم باجراءات شاذة كتهديد الطلاب منهم وعمل فيش وتشبيه لكل منهم

وقد أودع الاساتذة الثلاثة السجن الاحتياطى طوال خمسة وعشرين يوما ثم حولت القضية الى محكمة الجنايات فأجلتها من جلسة الى جلسة حتى انقضى عامان على تاريخ رفع الدعوى كان فيها الاستاذ احمد حسين وزملائه محلا لاتهامات جديدة وقضايا جديدة ... ولذلك فان الاستاذ احمد حسين وقد جاءت هذه القضية فى يوم ٢٦ مايو سنة ١٩٣٥ صمم على أن لايترافع عن نفسه واكتفى بأدلاء البيان الآتى فى المحكمة والذى أعلن فيه عدم اعترافه بالقوانين الاستثنائية وايمانه بالله ورضائه بما يحل به أن خيرا وان شرا .

لا دفاع لى ...

يا حضرات المستشارين :

لا دفاع لى لسببين. الأول هو اننا فى هذه الحياة لا نملك لأنفسنا ضرا ولا نفعا فالله الذى خلقنا هو الذى يمنح كلا منا نصيبه وما يستحقه إن خيرا وان شرا وهو الذى يدير أعمالنا ويسوى نتائجها . وهو القائل فى كتابة العزيز « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

واذا كان الله يريد بى اليوم خيراً فلن تملكوا منع هذا الخير .ولو أراد بى شرا فلن تقدروا على ايقاف هذا الشر « قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا »

ومنذ اللحظة التى نزلت فيها الى ميدان الحياة مجاهداً . . وأنا أشعر بانى لا أملك لنفسى من الامر شيئا . وان كل ما آتيه من أعمال أو أقوال فهو بارادة الله ومشيئته وانى لسعيد بكل مايجىء به الله راض به ومغتبط لانى مؤمن بان كل مايجىء من عنده فهو لصالح هذا الجهاد الذى سخرني من أجله

فحكمكم أيا كان لونه سواء كان بالبراءة او بالادانة . سواء أكان بالسجن أم بالغرامة فهو حكم يقربني من غايتى الا وهى ايقاظ المصريين واعادة الروح اليهم واذن فانى فى انتظار حكمكم . وصدقونى اننى أشكر الله عليه مهما تكن نتائجه ولن اغضب عليكم او أشكو منكم لانى مؤمن كذلك أنكم مسخرون لتنفيذ مشيئة الله ، وهذا هو ما يحدو بى ياحضرات المستشارين الى الامتناع عن سوق أى دفاع ، والله هو المحامى الاول والاخير ، وسيقضى على لسانكم بما يريد ويشاء . . .

الدافع الثانى

أما الدافع الثانى الذى يجعلنى امتنع عن ابداء اي دفاع فهو انى لااريد ان اشترك فى هذه المهزلة التى يحاولون بها الباس الظلم لباس الحق والقانون وكل ما يستطيعه الظالم او المستعمر ، او فلنكن أكثر صراحة ، كل مايستطيعه الانجليز الذين يطاردونا فى كل مكان بواسطة صنائعهم من المصريين هو ان يقتلونا وان يسجنونا وان يعاقبونا . . ولكن ستظل اعمالهم واعمال الظالمين فى كل عصر وزمان اعمالا غير مشروعة تصيح بها السموات والارض : انها ظلم وجريمة كبرى ، ومهمة الاحرار فى كل زمان ومكان ان يصرخوا فى وجه الظالمين والخائنين والمستعمرين ان مايفعلونه ليس الا الجريمة بعينها مهما اسبغوا عليه من أشكال القوانين

وهذه القوانين التى نحاكم بها اليوم قوانين استثنائية استعمارية وضعت لمصلحة الغاصب . . وضعت لمحاربة روح الامة وقتل معنويتها . . واذن فاذا كان ولا مناص من تطبيقه . فى عهد هذه الوزارة التي ادعت يوم ان تقلدت مناصب الحكم انها وزارة الحرية ، وانها وزارة الدستور . وانها ستلغى القوانين الاستثنائية وستعيد الامور الى نصابها . اذا كان لامناص من تطبيق هذا القانون ، فليطبق اذن لا على اعتبار انه قانون ولكن على اعتبار انه ارادة المستعمر وارادة الظالم . وارادة الظالمين والمستعمرين لايقابلها الانسان الضعيف بدفاع قانونى . بل يقابلها بصبر وثبات واحتمال

واذن فان هذه الحكومة التي تضطهدني فى كل مكان . التي لاتسمح لى بعقد اجتماع . التى لاتسمح لى ان أتكلم كما يتكلم الناس. هذه الحكومة

ومن ورائها الانجليز . يستطيعون ان يفعلوا كل شيء فى هذا السبيل · يستطيعون ان يذيقوني كل صنوف العذاب والتنكيل ولـكنهم لن يتوصلوا مطلقا ياحضرات المستشارين الى قهر روحي ونفسى . اجل يستطيعون ان يكلفوا النيابة ان تقبض عليّ وان تزج بي الى السجن فى الحبس الاحتياطي. وان تقدمنى لـكم بتهم تعززهاتهم،لكن يبقى بعد ذلك انى لا اعترف بكل ذلك . . لا اعترف بحق الحكومة فى وضع قوانين لخدمة المستعمر . ولا اعـترف بانني ارتكبت جرما فى حق المجتمع . . فلست اليوم متهما ولذلك فاني لا ادافع عن نفسى .. بل أدعوكم الى مثل هذا الذى أحاكم عليه . أدعـوكم وأنتم أعلى هيئة فى مصر . . أن تهيبوا بهذه الامة التعسه أن توحد صفوفها ضد العدو المشترك . . أن تراجع قضاياها وأن تتناسى احقادها وأن يتعفف ابناؤها عن خيانتها من اجل المنصب والذهب . . ادعوكم ان تهيبوا بالشبان أن يدعوا هذا التخنث وهذا الجبن وان يملأوا انفسهم رجولة وجرأة وشجاعة . فان مصر فى حاجة الى جيش عظيم من الاقوياء الاطهـار لا من المخنثين المدنسين . ادعوكم أن تهيبوا بالأمة أن تستيقظ وان تنفض عنها غبار الخمول فان ساعة الـكفاح قد دنت وناقوس التضحية قد أذن فعلى بركة الله ، والله يوفقنا ويرعانا .. والله أكبر ؟

الحكم

وقد اصدرت المحكمة حكمها بعد اسبوع من هذه المرافعة وهو يقضى بتغريم كل من الاساتذة الثلاثة خمسة جنيهات ولما كان كل منهم قد دفع كفالة للافراج مقدارها عشرة جنيهات فقد تنفذ الحكم ماليا .

اعتداء البوليس ..

على الاستاذ احمد حسين

فى يوم السبت ٢ يونيو سنة ١٩٣٤ أعلنت الصرخة الصادرة فى ذلك اليوم عزم الأستاذ احمد حسين على القيام برحلة خلال الوجه البحرى يزور فيها الزقازيق والمنصورة وطنطا وينتهى بالاسكندرية ابتداء من يوم الاربعاء ٦ يونية

وقد شرع الاستاذ احمد فى القيام برحلته فى الميعاد المذكور مستصحبا فى زيارته المجاهدين حسنى ناجى وعبدالعزيز حنفى وقد تمت الرحلة وسط اجراءات البوليس الشاذة والتى حالت بين الاستاذ احمدحسين وبين مقابلة أى شخص من الاشخاص فان القطار ماكان يصل الى بلد من البلاد حتى يحيط البوليس بالاستاذ ويسيرون به حتى المكان الذى يقصده ويقفون مرابطين على الباب يحولون دون الدخول والخروج حتى يحين ميعاد انصرافه من البلدة ... ولم يكد يصل الأستاذ الى الاسكندرية حتى كان البوليس قد بيت نية الاعتداء عليه فانتهز فرصة اعلان الاستاذ احمد عن عزمه على القاء محاضرة موضوعها « مصرمنذ أقدم العصور » فى دار الصرخة بالاسكندرية فى يوم الاربعاء ٢٠ يوليو . حتى قرر البوليس منع المحاضرة المذكورة بقواته المسلحة فحاصر دار الصرخة فى الاسكندرية قبيل ميعاد القاء المحاضرة بعدد كبير من رجال البوليس والكونستبلات المصريين والاجانب . . . . ولما جاء ميعاد المحاضرة وهم الاستاذ احمد بالدخول الى ادارة الجريدة مع نفر من الاعضاء والانصار انهال عليهم البوليس ضربا بالعصى فتفرق الحاضرون وبقى الأستاذ احمد حسين والمجاهد حسنى ناجى فكان الاثنان محل اعتداء شنيع وعندما عرض الاستاذ على الطبيب الشرعى قرر ان بجسده عشر اصابات نشأت جميعا من ضربات العصى . وفى نهاية الامر قدم الاستاذ احمد حسين والمجاهد حسنى ناجى الى المحاكمة بتهمة الاعتداء على البوليس والتجمهر كما قدم للمحاكمة ايضا بنفس التهمة السابقة اعضاء الجمعية راتب زكى وعلى عبد الواحد، وعبد المعطى خلاف .

وقد أعلن الاستاذاحمد حسين فى تحقيق النيابة وفى المحكمة انه يتسامح مع هؤلاء البوليس الذين اعتدوا عليه ويتنازل عن حقه لانه لايريد أن يسبب اذى لمصرى واحد . وفيما يلى كلمتان للاستاذ نشر احداهما فى المجلة عقب الاعتداء عليه والقى الثانية فى المحكمة أثناء المحاكمة .

عبثا يحاولون صدى عن سبيل الله والله بما يعملون محيط [1]

عبثا تحاول هذه القوات التى تطغى على حياة هذه الامة أن تعرقل سيرى وأن توقف تقدمي ... عبثا تحاول أن تخيفنى وأن تملأنى رعبا ... عبثا تحاول أن تفت فى عضدى أو تدخل اليأس الى نفسى ... عبثا تحاول أن تشعرنى بضعفى أزاء جبروتها ...

لقد ضربت أيها الرفاق ... ضربت ضربا مبرحا وانهالت على هذه الهراوات الغليظة التي ترونها فى أيدى العساكر ... هذه الهراوات عرفت سبيلها الى جسدي عن طريق بضعة عساكر يجمعون من عرض الطريق فهم أقرب الى الهمج منهم الى الناس المتمدينين... ضربت أيها الرفاق فاذا الضرب ينزل بردا وسلاما ... واذا الهراوة تستحيل ياسمينا وريحانا ... واذا انا وسط ذلك كله أحمد الله ... الله القوى العادل الذى شاء لى فى النهاية أن أخرج سالما دون أن يكسر لى عضو أو تفقأ لى عين أو تهشم مني رأس وما ذلك الا لأنه يريد ذلك ....

ضربت ولكن والله ما أحسست للضرب ألما ووالله ما أحسست فيه إلا فخارا كنت عاطلا منه بالأمس ... أما اليوم فانى أستطيع ان اعزى نفسى فى الأيام السوداء بأننى ضربت من أجل مصر العزيزة ...

فى سنة ١٩١٩ كان الشباب يستعذب الموت ... كان الشباب يجابه الرصاص ... كان الشباب يسجن ويجلد ويعذب فما كانت تلين له قناة وما كان اسم مصر يفارق شفتيه ... فماذا علينا اليوم اذا ضربنا أو قتلنا ... اننا لن نبلغ بعد مستوى هؤلاء الجنود الأبرار ...

---

(١) نشر هذا المقال فى عدد الصرخة نمرة ٣٩/٤٧ الصادر بتاريخ ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٤

على أن هناك فارقا بين الأمس واليوم ... ولعل هذا الفارق هو مايملأ قلوبنا حسرة وألماً . . . ذلك أن الضاربين بالأمس كانوا من الأعداء . . . ومصدرى الأوامر كانوا من الأعداء . . . وفى هـذا عزاء . . . وفى هذا سلوى . . .

أما اليوم فالضاربون من هؤلاء الذين نعمل لأجلهم والقتلة هم هؤلاء الذين نفنى فى سبيلهم ... والمهاجمون ... هم من نقدم أرواحنافداءلهم ... أما اليوم فالبوليس المصرى والحكومة المصرية هي من ترى فينا أعداء للوطن والحرية...هى من ترى فينا العدو الذي يجب تحطيمه والقضاء عليه ...

وهذا هو مايؤلمنا نحن الذين نجاهد بإيماننا واخلاصنا وأرواحنا ... ان نرى اخواننا أول من يعتدى علينا ...ان نرى أبناء جلدتنا يتنكرون لنا... كانوا بالأمس إذا ضربهم الانجليزي يستطيعون أن يقولوا له...« اضرب اضرب فاننا نحتقرك وان لم تضربنا ضربناك » كانوا يستطيعون أن يقولوا للسلطة العسكرية . . . افعلى ماتريدين أيتها القوة الغاشمة فليس لك عندنا إلا الكراهية والاشمئزاز... أما نحن... نحن جنود مصر الفتاة فمحرومون من هذا الكره لأعدائنا والذى يسهل مهمتنا..ذلك أننا لا نعادى المصريين وانما نعمل من أجلهم ونحبهم ... حتى لو أساءوا الينا ... حتى لو اعتدوا علينا ... فمهما فعل بى مأمور القسم وضباطه وبوليسه فلن أستطيع احتقارهم لأنهم مصريون ولأنني أعمل من أجلهم ... وباسمهم ... وهذا الذى فعلت فى هذه الواقعة الأخيرة ... فبعد ان ثبت للنيابة أننى كنت محل اعتداء ... بعد أن شهد بعض ضباط البوليس بما يشعر أن قد وقع على اعتداء ... بعد

أن شوهدت فى جسدى الاصابات ومواقع العصى واللكمات . . . بعد اذ ثبت كل ذلك أعلنت فى محضر التحقيق أننى فى الساعة التى أثق فيها أننى سأمضى ليلتى فى السجن أعلن تسامحى مع رجال البوليس الذين اعتدوا على . ذلك لأننا جنود مصر الفتاة لا نحمل لأى مصرى إلا الحب والاحترام حتى ولو أساء الينا حتى ولو اعتدى علينا . . . وانى لأقدم الدليل على انى جندى حقيق من جنود مصر الفتاة بأن أعفو وأصفح فى اللحظة التى ينكل بى فيها . . . ووالله لقد سامحتهم وعفوت عنهم ... عفواً صادقا خالصا...والله انى لا أحمل غلا أو حقدا حتى لهذا الجندى الذى أساءنى أكثر من غيره .

انى . . لأشعر بالحسرة من أجلكم . . وانى لأبكى اشفاقا عليكم وقد عبث بكم المستعمر وقد أتلف عليكم احساسكم واخلاقكم وعقولكم . . . وعلينا نحن أن نقويها ونهذبها . . . علينا نحن أن نعيدها إلى سلامتها ... علينا نحن أن نرقى بها ... وفى أثناء ذلك فلا شىء بيننا الا الحب والاحترام.

وفى قاعة المحامين فى المحكمة الأهلية بالاسكندرية وقد اجتمع حولى عشرات من المحامين وجهو الى السؤال « وماذا تبغون من جهادكم فى نهاية الأمر . . أوماهى الغاية التى تريدون أن تسعوا اليها جميعا ؟. . .» فكان جوابى ... اننا نبغى من جهادنا أن نموت فى سبيله .. أن نحترق ونشوي بنار الكفاح فاذا ماتصاعدت رائحة الشواء نفذت إلى الخياشيم والمعاطس .

فتدفع الناس الى العمل ... وهذا هو كل مانريد . . . ان هذه الأمة يجب أن تستيقظ . . . لقد علمت العالم . . . لقــد قادت الأمم . . . لقد حشدت الجيوش وصنعت الأساطيل . . . انها مركز الدنيا وبهجتها . . .

ولن تموت أبدا . . . بل ستبعث من جديد . . . لتعيد سيرتها الأولى فتكون وقد طهرتها الآلام كتلك من النور يضىء الأرجاء ، ولكن قبل ذلك يجب أن تعرف نفسها يجب أن تؤمن بنفسها . . . يجب أن تؤمن بحقها وهذا هو ماقدمنا له أنفسنا وأرواحنا .. غير ناظرين حتى للانتصار . غير ناظرين حتى الى شرف التضحية ... ولسنا فى جهادنا الا الجيش يتقدم الى الأمام فى صفوف ليهاجم حصنا وليصل الى غايته . . . فلتحصد النار الصف الأول ... والثاني والثالث ... والرابع ولكن الأخير سيصل .. وهذا يكفى لتحقيق النصر .

فهلموا ياجنود مصر الفتاة .. هلموا أيها الشباب الجديد .. الى الأمام دائما ...الى الأمام فى يقين وثبات وارواحكم على اكفكم . سيسقط منا الصف الأول . . وسيسقط الصف الثانى . . . والثالث ولكن الأخير سيصل.. وسيرفع علم مصر خفاقا داويا وسيسطر رسالة المجد ويعلى كلمة الله وعندها..عندها سيبعثون اليكم بالتحية وسيعترفون لكم بالجميل أما هذا الذى يملأ الدنيا أما ربكم الأعلى فسيحبكم وسيقربكم اليه . . . سيدخلكم جنات عرضها السموات والأرض . . . لأنكم فى سبيل الحق جاهدتم . . وفى سبيل الله استشهدتم .

والله أكبر

كلمة الاستاذ

أمام محكمة جنح الاسكندرية

يا حضرة القاضى . . .

« لقد اعتدى علينا ، لقد نكل بنا ، لقد منعنا من الدخول الى دارنا وها نحن نقف أمامكم كمتدين وكمتظاهرين وإن كنا نأسف على شىء فهو أسفنا على هذه المأساة الخلقية التى تدهورنا اليها والتى تجعل المصرى يقف هكذا خصما للمصرى . . والتى تجعل المصرى ينكل هكذا بأخيه المصرى مع أنه يعلم أن هذا المصري إنما يكافح من أجل حريته وحرية وطنهما المشترك . . من أجل استقلالهما المنشود . . . إن هذا المصرى يكافح ليموت كى يكون فى موته حياة لغيره ... ويشقى كى يسعد غيره ، إن هذا المصرى يناضل فى سبيل الله .

هذه هى نقطة الأسى فى هذه القضية ولكنها مع ذلك لاتوهن من عزمنا . . لاتدخل الشك الى ايماننا . . . ايماننا الثابت بأن المصريين عما قريب سيقفون صفا واحدا وكتلة واحدة متحابين متآخين متكاتفين ضد العدو المشترك — ضد المستعمر الغاصب . هذه الحادثة وأمثالها تزيدنا يقينا واصرارا أنه لابد من الاصلاح . لا بد من اعادة الروح وبعث الهمم التى خارت . . . وبعث النفوس التي ركدت . . يزيدنا يقينا واصرارا أننا فى

حاجة الى الاصلاح ، والاصـلاح فى كل مكان وأننا لـكي نصل الى هذا الاصلاح الشامل ... لـكي نصل الى اعادة الروح ... لـكى نصل الى شحذ الهمم والنفوس فلا بد من جهاد متواصل عنيف تبذل فيه تضحيات كثيرة. وها نحن أولاء نقوم بهذا الجهاد المتواصل العنيف غير بخلاء فيه بأموالنا ونفوسنا وأرواحنا والله معنا .

وأما كلمتى الختامية يا حضرة القاضى فهى أن لا ترهق نفسك بـكل المرافعة المـاضية ولنصل الى النهاية ... النهاية اننى وحسنى ناجي وباقي الزملاء قد ألفنا مظاهرة واعتدينا على البوليس .. لـكن لسنا نشكو مطلقا ولسنا نتبرم من شىء وتستطيع أن ترسـل بنا الى السجن وأنت مطمئن الى أننا لا نشكو أيضا وأننا لن نحمل لك بعدها الا الاحترام والتقدير بل والحب أيضا ...

لقد وقفت مرة أمام محكمة الجنايات وترافعت أمامها وفى آخر مرافعتى وجهت اليها كلاما سأوجهه دائما الى قضاتي الذين يحاكموننى والذين يحكمون على . . . ألا وهي أننا نجاهد في وقت قد تحكمت فيه الشهوات وعزت التضحية ، ونحن ندعو المصريين والشباب المصرى على الخصوص للتضحية فيجب أن أكون فى مقدمة المضحين . . . واذن فتستطيعون أن ترسلوا بى الى السجن هادئين مطمئنين انكم تحققون رغبة من رغائبى لأننى أعتقد أن المكان الطبيعى لشاب حر فى أمة مضطهدة هو السجن ... وفى السجن أجد الحرية المنشودة . . . فى السجن وبين جدرانه الأربعة أطالع النور

نور الله فى كتابه . . . وفى السجن أصبح فى منجاة من تعسف البوليس والنيابة . . . وفى السجن أستطيع أن أكون هادئا مطمئنا اذ أكون قد أديت واجبي نحو مصر .

ارسل حكمك اذن ياحضرة القاضى والله يوفقك لما فيه الخير والسداد والله يوفقنا لما فيه خير مصر . . . ولكننى لا أستطيع أن أنهي الحديث قبل أن أرجوك . . . ارجوك رجاءا خاصا من كل قلبي . . . أنك اذا رأيت أن الادانة ثابتة . . . أن تعتبرنى أنا المسئول الوحيد ... وأن تنزل على أنا . . . أنا وحدى أقصى ماتستطيع من العقاب وأن تخفف عن الباقين ... والمجد لمصر ؟

الحكم

وقد صدر الحكم الابتدائى فى هذه القضية وهو يقضى بادانة الاستاذ احمد حسين بتهمة التظاهر وتبرئته من تهمة الاعتداء على البوليس والحكم عليه بغرامة مقدارها عشرة جنيهات وادانة حسنى ناجى بتهمة التظاهر والاعتداء والحكم عليه بغرامة مقدراها ١٢ جنيه وحكمت على الباقين بغرامة تتراوح بين جنيه وجنيهين وقد استأنف هذا الحكم لظروف خاصة فقضت المحكمة بالبراءة .

وما السجن

وما السجن...

ثلاث قضايا هى تلك التى قدمت الصفحات السابقة منها . . وهناك سواها عدة قضايا أقيمت على جنود مصر الفتاة ووقفت فيها مترافعا . . . وفى كل من هذه القضايا كانت كلمتي دائما للقضاة أن احكموا بالسجن . . . ومرحبا بالسجن حتى لقد أصبح شعارا لجنود مصر الفتاة اذا ماوقفوا فى ساحة القضاء هما هاتان الكلمتان « وما السجن » وانه لبرنامج كامل .. وانه لطريق الحرية والخلاص . . . ففى الأمم المغلوبة على أمرها يقف الغاصب مشهرا سوطه مبرقا مرعدا متوعدا كل من يجرأ على رفع الصوت. فتكبح الناس عواطفها . . . ثم تستسلم رويدا رويدا . . . ثم تعتاد الظلم وتألف رؤية السوط المعلق فتنسي مطالبها وأمانيها . . . وتغرق فى سبات عميق ينصرف فيه الناس الى مأكلهم ومشربهم وترتيب معاشهم ... هذا المعاش الذى يهوى الى أحط الدرجات . . . حيث يكون معاشا لا كرامة فيه ولا نخوة ولاشهامة .

ولابد لهذه الأمم التى فترت همتها . . ووهنت عزيمتها تحت ضغط الظلم والاضطهاد . لابد لهذه الأمم ممن يوقظها ويهزها من الأعماق . وفى هذه الهزة تكون نجاتها . . . ويكون سبيل الحياة . . . ولن يكون هذا الموقظ الا واحد من اثنين . . أما حادث عنيف يسود العالم بأسره كقيام حرب عالمية أو حرب مجاورة . . . . أو ارتكاب الغاصب لجرم شنيع يثير فى كل نفس حقدا واشمئزازا . . . أما أن يكون هذا هو الموقظ . . . وأما

أن يكون الموقظ زعيما أو جماعة من الناس تتقدم فى غير خوف أو وجل لتحرك الهمم الراكدة . . ولتنفخ الروح فى الجثث الهامدة . . ولن يترك الغاصب والحكومة التى تؤيده هذه الجماعة . . أو هذا الزعيم فى هدوء ليواصل خططه .. بل أنها ستبادر بالقضاء عليه غير مدخرة فى ذلك وسعا .. وأول مايملك الغاصب من صنوف الارهاب . . . وأهون هذه الوسائل اليه هو السجن . . . . فالسجن كان دائما وسيظل أبدا مأوى الأحرار ومثواهم الأول والأخير فهؤلاء الذين يتقدمون لايقاظ أممهم ينتظرهم السجن والتشريد والاضطهاد و... ينتظرهم حبل المشنقة فى نهاية الأمر أورصاصة فى القلب من محكمة عسكرية ... فان وطد الاحرار المجاهدون أنفسهم على تحمل ذلك كله فقد فازوا على الاستعمار وصرعوه ... فان احتمالهم السجن بصدر رحب وتهالكهم عليه سيكون هو فى حد ذاته خير شاحذ للهمم خير معيد للروح فى نفوس الشعب الراكد . . . . ذلك ان الشعب الذى اعتاد طويلا مظاهر الخشوع . . . والذى امتلأت نفسه رهبة وجبنا من مظاهر الاستبداد سوف يرى فى هؤلاء المجاهدين قدوة حسنة تعلمه الشجاعة والجرأة والمجاهرة بالحق . . . . سوف يرى فى هؤلاء المجاهدين المصفدين فى الأغلال ... جنودا تدافع عن كرامته ووطنيته فيستيقظ من جديد ليعلم أن هناك كرامة وان هناك وطنية وان هناك كفاحا ... وعندما يسرف الغاصب فى سجن الأحرار .. فانه سيملأ النفوس غلا وحقدا . . ومتى امتلأت النفوس بالغل والحقد على الغاصب . . . . فهذا هو طريق النجاة . . . وطريق الخلاص . . .

وفى مصر ما أكثر انطباق هذه القواعد علينا . . . فى مصر ماأكثر ما بعدنا عن الكفاح الصحيح وما أقربنا الى الهزل والمجون . . . . لقد تحولت القضية المصرية الى مناقشات ومهاترات تردد على المقاهى وفوق صفحات الجرائد ... وفى كل يوم يخطو الانجليز خطوة جديدة فى سبيل هدم كياننا واستقلالنا وحياتنا ... يفعلون ذلك فى وضح النهار تحت سمع الناس وأبصارهم ... وفى ظل من القوانين الاستثنائية التى تقيد الصحافة وتقيد كل مظاهر الحرية .. والناس راضية .. أوقل قد حملت على الرضا .. حتى اعتادت على الذل والخنوع .. ما أكثر ما تمتلأ دور السينمات واللهو الفاحش بالشباب والكبراء والأعيان ... ما أكثر ما يضحك المصريون ساعات وساعات ويملأون الدنيا بضحكاتهم .. ما أكثرمايعربدون ويثرثرون ويصخبون وقد نسوا كل المثل العليا . . وقد راحوا يأكلون ويشربون . . وينامون . . ومن هذا كانت خطتى ان أكسر هذه التعويذة التى استولت على قلوب المصريين بأن أسخر من السجن ومن العقوبة ومن الاضطهاد . . وأن أغرس ذلك فى نفوس الشباب المحيطين بى . . . وأحمد الله لقد نجحت .. أحمد الله أن عشت حتى رأيت شبابا كنت أعرفه قعيد المقاهى والسينمات يقبل على السجن بثغر باسم وهو يردد النشيد المحبوب ... أحمد الله أن خط شباب مصر الفتاة فى تاريخ كفاحهم أسطرا مجيدة . . . . بهتافهم داخل المحاكم دائما اسجنونا ولكن لاتحسبوا أنفسكم قادرين على اخفات أصواتنا الداوية ... على اطفاء نفوسنا الثائرة ... اسجنونا فان السجن يزيد النار اضطراما والكفاح اشتعالا ... اسجنونا فان فى ذلك حرية لمصر ومجدا

لها . . . . ولقد دخلنا السجن وقضى بعض منا اسابيع . . . وقضى البعض اياما وقضى البعض ساعات ولكن الجميع كانوا دائما ابدا سعداء حين يدخلون السجن . . . واشد مضاء عندما يبارحون السجن ، لم تلن لهم قناة .. ولم يلم بهم فتور . . . . وكان السجن وساما يحلى به مجاهدوا مصر الفتاة صدورهم وأنى لأثبت هنا بعض كلمات قلتها عقب دخولى السجن فى كل مرة . . . . وانى لأثبت كذلك أسماء هؤلاء المجاهدين البواسل الذين زاروا السجون فى سبيل مبدأهم الخالد مصر فوق الجميع .

من اعماق السجون

لن نخاف [(١)]

أجل لن نخاف السجن والتعذيب والتشريد .. لن نخاف عجرفة رجال البوليس وشدة رجال النيابة وهول السجن .. فى سبيل الله ما نفعل .. وفى سبيل الله نضحى بكل ما نملك

وفى سبيلك يامصر تهون التضحية ويستحب العذاب . .

---

(١) عندما قبض على لأول مرة فى قضية الصرخة الاولى وواصلت النيابة التحقيق معنا طوال الليل بعد اذ فتشت منازلنا وجهت الينا عدة تهم أو بمعنى أصح حققت معنا فى عدة تهم على رأسها «التحريض على الثورة وقلب نظام الحكم» ولقد واطدت نفسى وقتذاك على حبس يدوم عدة سنوات ومن هذه اللحظات كتبت الكلمات التالية ونشرتها جريدة الصرخة ..

مصر يامن حكمت العالم يوما وتزعمت الاسلام ..
مصر يامن اضاء نورك على الانسانية فى كل عصورها وحاربت الزمان..
يامصر الخالدة القوية العزيزة .. لن تموتى ابدا .. بل ستبقين قوية .. لتعيدى سيرتك الاولى . .

ولكن لمثل ذلك يجب ان يقدم نفر من بنيك انفسهم فداء عنك وعن أبنائك . .

ولكن قبل ذلك يجب ان تمتلأ السجون بالابرياء ويجب ان نحتمل العذاب صابرين ..

وها نحن اولاء نفعل يامصر . . وها نحن اولاء فى عيد جهادك نقدم انفسنا قربانا على مذبح عظمتك . . فعيشى يامصر وحلقى فوق العالمين . .
عيشى والسجن شعار مجدك عيشي لتعودى كما كنت امبراطورية تتزعم الاسلام وتعلى كلمة الله والدين ..

أيها الشباب ياشباب عام ١٩٣٣ لسنا ندعوك اليوم لشىء .. ولسنا نشير عليك بشيء .. لسنا نريدك ان تقلدنا .. ولسنا نريدك ان تذكرنا أو تشفق علينا ..

ولكنا نريدك ان تذكر مصر .. اذا ماخلوت الى نفسك نريدك ان تذكر الآلام التى تسد علينا طريق الحياة ..
نريدك أن تؤمن بحق مصر ايمانا وطيدا .. بحقها فى الحياة والمجد . .
لماذا يعيش الانجليز بين ظهرانينا ولماذا نسكت على ذلك ..

ولماذا يستنزف دمنا الاجانب ولماذا نسكت على ذلك ، لماذا نقع فريسة التفرق والاهواء ونسكت على ذلك ، ايها الشباب ياشباب عام١٩٣٣ وداعا والى اللقاء . . قد اعيش ياشباب حتى اخرج ثانية لأ كافح فى سبيل مصر من جديد ولأعود الى السجن مرة أخرى . .

وقد أموت فى سجنى فشكرا لك ياربى ان جعلتنى اقوم بواجبى . .

شكرا لك يارب انمنحتنى القوة لأقول للظالم يوما ايها الظالم ولأقول لغاصب بلادى ايها الغاصب الويل لك من سخطى وايمانى . .

اما انتم يا اصدقائى . . . فاثبتوا على ايمانكم وسيروا كل يوم الى الامام .

وانت يا خطيبتى العزيزة لا يملأك السجن أو الحزن فزعا ففى سبيل مصر ما فعلت وفى سبيل مصر يجب انتشاطرينى الجهاد ولقد فعلت ذلك قبل اليوم ولذا فستكونين اليوم باسلة صابرة . .

وانت يا صرختى وداعا والى اللقاء . . أترى أتظلين داوية حتى اعود لقائلك ام سيخفت صوتك عما قريب . . ولكن لا انك صرخة عقيدة وايمان ولن تموتى ابدا الا اذا مات الايمان

وفى سبيلك يارب

وفى سبيلك يامصر

وفى سبيلك يامليكى

أدخل السجن

من السجن (١)

نداء الرئيس

الى جنود مصر الفتاة فى أنحاء مصر

ياجنود . . .

يمينكم ارفعوها واهتفوا المجد لمصر . . . المجد لمصر . . . والله أكبر دخلنا السجن ثانية فلا يزيدنا هذا الا إيمانا ويقينا . بأن الروح لن تعود الى مصر ولن تعود الى الشباب الااذاتقدم نفرمن بنيها يضحون بأنفسهم فى سبيل الله والوطن لايبالون بالعذاب والألم غير ناظرين الى الجهاد الاللجهاد فاذا تخطفهم الموت واحدا بعد واحد كانت كلتهم لمن يجيئون بعدهم كونوا أسعدحظا منا . وهانحن ياجنود مصر الفتاة قددخلنا السجن ثانية لاتهامات جديدة ضد الانجليز والسيطرة الانجليزية ونحن اذ ندخل السجن ننفذ قسما من برنامجنا ... وهو اماأن نكون أحراراً فنجاهد فى سبيل الله والوطن غير هيابين ولا وجلين غير مدخرين وسعا واما أن نكون داخل السجن نصلى من أجل مصر ونكباتها، نكباتها فى السياسة.. فى الدين.. فى الأخلاق.. فى الاجتماع . . .

واليوم كلمتى لكم أن لاتحزنوا لسجني ولكن اعملوا من أجل مصر حاسبوا أنفسكم كل ليلة ماذا قدمتم من أجل مصر . . . فاذا فعلتم ذلك وستفعلون فانى سأكون سعيدا بكم مغتبطا فى سجنى . . .

والله أكبر

---

(١) وعندما سجن الأستاذ أحمدحسين للمرة الثانية فى قضية الجيش بعث الى جريدة الصرخة هذه الكلمات فنشرت فى العدد الصادر فى ٤ فبراير سنة ١٩٣٤ .

لجنود مصر الفتاة

خمسون يدخلون السجن فى عام

ومئات غيرهم فتشت منازلهم وحقق معهم (١)

احمد حسين	راتب زكى ... ...
فتحى رضوان	على عبد الواحد ... ...
حافظ محمود	محمود خلاف .. ..
احمد الشيمى	مصطفى عارف . ...
محمود حجاج	يوسف نشأت ... ...
صبيح عبدالقادر	على مراد ... ...
عبدالحميد المشهدى	شاكر عبدالوهاب .. ...
حسنى ناجى الشماشرجى ..	سيد خليل .. ..
حمدى الجريسى	عبدالعزيز حنفى ... ...

(١) من هؤلاء من قبض عليهم أكثر من مرة . من اكتوبر سنة ١٩٣٣ الى اكتوبر سنة ١٩٣٤.

عز الدين عبدالقادر . ...
مصطفى الجندى ... ...
محمود محمود نديم ... ...
محمود هدهد . ...
ملاك منصور . ...
السيد عطيه . ...
السيد سليم .. ..
عبداللطيف سالم ... ...
مكى مدنى ... ...
عبدالله كامل عيد ... ...
عبدالرحمن محمد الصوالحى .
محمد راشد ... ...
أنور حنفى ... ...
زكريا راتب .. ..
حسين الأرناءودى . ...
مصطفى كامل . ...

على سالم . ...
محمد عبدالكريم ... ...
محمدعبد الباقى سرور نعيم .
محمد عبدالكريم يوسف...
محمد عبدالمنعم فذار . ...
محمد ابراهيم الحنفى .. ...
محمد عبدالجواد خضير ...
امين محمد طيره ... ...
محمد محمد على .. ..
سالم سيد عثمان ... ...
محمد على رضوان ... ...
عبدالمنعم عبدالرحمن . ...
محمد سعودى . ...
جمال الدين ناصر ... ...
محمد مصطفى .. ..
عبدالرحمن بنيس .. ...

خطب . . .

جهادنا الدينى (١)

باسم الله الرحمن الرحيم ..

أبدأ جهادنا فى سبيل الله . وباسم الله الرحمن الرحيم أفتتح حديث المساء .

أيها السادة . .

حكمة الله

عجيبة والله حكمة الله . . كان مقدراً لهذه المحاضرة أن تلقى فى يوم الجمعة ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٣ وكان الاتفاق عليها قبل هذا الميعاد بخمسة أيام وكنت قد أخذت على نفسى عهدا أن لا أقدم عليها قبل أن أتلو كتاب الله مرة ونظراً لمشاغلى العديدة فقد أكربنى هذا الامر وعجزت عن تنفيذه . . . فكنت لذلك فى حزن مقيم . . وشاءت ارادة الله ان أقاد الى السجن وفى السجن لم يكن لى عمل الا تلاوة كتاب الله فتلوته مرة ومرتين . . وزدت عليه ان طالعت السيرة . . وها أنذا أقف بعد مضى شهر من الميعاد الاول لألقى المحاضرة بعد أن قرأت القرآن . . عجيبة والله حكمة الله . . .

---

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ احمد حسين على جمهور من الشباب يربو على الألف بدار جمعية الشبان المسلمين يوم السبت ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٣ وقد كان هذا الاجتماع هو أول اجتماع خطب فيه الأستاذ بعد خروجه من مشروع القرش وتأليف جمعية مصر الفتاة ولذلك فقد جاء حاويا لهذه الحلقة من تاريخ مشروع القرش ومصر الفتاة .

نبذة عن تاريخ حياتى

وبعد فقد عرفتمونى أيها السادة صاحب فكرة مشروع القرش وسكرتيره لقد عرفتمونى مشتغلا بمصنع الطرابيش حتى خرجت اليكم الطرابيش تزينون رؤوسكم بها وترفعون عن أنفسكم عار الاجنبي وذله . . .

عرفتمونى شخصا يشتغل بالمسائل الاقتصادية ويدعوكم للتعاون فى سبيل تحقيق الاستقلال الاقتصادى . . . فما لكم ترونني اليوم أقف متحدثا باسم الدين ومن أجل الدين . . مالكم ترونني بين جدران جمعية الشبان المسلمين .. بعد أن كنت قد انقطعت عنها حقبة من الزمان . . الحق أنه لا يجب أن تستغربوا ذلك منى لانه تصرف طبيعى ومنطقى مع مقتضيات الظروف والأحوال . .

لقد فتحت عينى أيها السادة فى فجر الثورة المصرية . . كنت طفلا وقتذاك لم أتجاوز الثامنة من عمرى ولم أكن إلا طالبا بالمدارس الابتدائية فى السنة الأولى منها ولكنى أذكر انني أشتركت ككل طفل فى ذلك الوقت فى الجهاد القومى . . فاندرجت فى سلك المظاهرات وارتفع صوتى بالهتافات الداوية « مصر والسودان لنا .. مصر للمصريين .. الاستقلال التام او الموت الزؤام » أجل أيها السادة أذكر هذه الصور التى أيقظت روحى بقوة والتى علمتنى كيف أحب أمنا الخالدة مصر . . . وكيف يسترخص الانسان الحياة من أجل مصر . .

من ذلك الوقت أخذت أطالع تاريخ مصر وحيوية مصر . . وفى كل يوم كنت أتعلم درسا جديدا عن المجد المصرى القديم .. وفى كل يوم كنت

ألقن صفحة جديدة من صفحات الحيوية المصرية ... وارتقيت الى المدارس الثانوية ولم يكن فى مصر أحداث سياسية بحيث تشغل حياة الشاب وقضيت فيها وقتا طويلا حتى استيقظت .. وكانت يقظتى بين جدران معبد الكرنك وفى وادى الملوك .. كنا فى رحلة كشافية .. وكنا نعيش وسط الخيام على ضفاف النيل .. وفى كل صباح كنا ننطلق لنعيش فى آثار المجد المصرى . وانتقلنا من الأقصر الى اسوان فالشلال . . وفى كل هذه الأماكن كنا نتزل بلادا أو نشاهد آثارا جليلة فتفتحت نفسى أيها السادة وآمنت بعصر وعظمة مصر ..

صفحات من تاريخ مصر

هناك تعلمت كيف كانت فى مصر حضارة منذ أربعة آلاف من السنين تزري بحضارات القرن العشرين كيف كان أجدادنا يكونون دولة عظيمة فى وقت كانت الانسانية تعيش فى الكهوف والادغال أكثر ماتكون شبها بالحيوان ..

هناك تعلمت أن مصر خالدة وأنها عاشت على مر السنين قوية نابضة .. أربعة آلاف من السنين أيها السادة يحاربها الزمان فلا يزيدها الا قوة ولا يزيدها الا اضطراما واشتعالا .

كم من الدول أغارت عليها وكم من الفاتحين مروا عليها . ولكن الدول دالت . . ولكن الدول الفاتحة ماتت وبقيت مصر . . . مصر كما كانت دائما حية قوية ..

هناك تعلمت هذه القوة السحرية التى استطاعت أن تحول كل شىء الى مصرى وأن تصهر العناصر الجديدة وأن تصيرها مصرية ..

هناك شعرت بمصريتى . وهناك أحسست بكرامتي وهناك هتفت من أعماق قلبي مصر فوق الجميع ..

ولما عدت الي مصر أخذت أراجع تاريخ بلادى فازددت زهوا حتى وصلت الى تاريخ الاسلام . ومصر العربية .. الله أكبر فقد طالعت عجبا .. الله أكبر لقد رأيت مصر تعلم العالم وتضىء عليه بجامعة الأزهر .. الله أكبر لقد رأيت الجيوش المصرية تحارب الجيوش الأوروبية فتقهرها وتأسر ملوكها وأعز فرسانها فهتفت من أعماق قلبي للمرة الثانية مصر فوق الجميع ..

وواصلت قراءة التاريخ حتى العصور الحديثة لأري مصر تحت زعامة محمد على باشا امبراطورية عظيمة تخيف أوروبا بأسرها لها أساطيل فى البحر وجيوش فى البر تدك الحصون وتفتح الاقطار وفيها المعاهد والمدارس تعلم الشرق القريب والبعيد . فهتفت من أعماق قلبى للمرة الثالثة . مصر فوق الجميع

مصر بين ماضيها وحاضرها

وقارنت بين هذا المجد وما نعيش فيه من ذل . . قارنت بين هذا الماضى السعيد وبين حاضرنا الشقى : يا إلهي ما اعظم الفرق وما ابعد الشقه لقد بدا لى ان كل شىء حولى سخيف وكريه . لقد بدا لى أننا نعيش فى جحيم

هذه الامبراطورية العظيمة مابالها قد انكمشت وتقلصت وما بالها قد فقدت كل شيء حتى الحق الطبيعى فى الحياة حتى الاستقلال . . مابال الجيوش الاجنبية تغزوها وتعيش فى أرضها .. مابال أهلها هكذا يعيشون فى جهل مقيم . مابال قوتها هكذا يسلبه الأجانب جهارا والناس فى غفلة . ما بالنا يحارب بعضنا بعضا وما بالنا نتقاتل والعدو يسخر منا . ما بال أخلاقنا قد هوت حتى الدرك الأسفل مابالها تندفع فى اللهو والفجور والخلاعة ناسين الفضيلة وكل ماهو جميـل فى الحياة . ما بالنا مرضى ما بالنا ضعفاء .

كنت أسائل نفسى هذه الأسئلة وكان الغم يقتلنى .

كنت حائرا ، كنت برمابالحياة

يارب كيف تتبدل هكذا صروف الحياة من عز الى ذل ومن قوة الى ضعف . ياربى ماذا فعل آل مصر لتحل عليهم لعنتك هكذا ولتسلط عليهم من العذاب ألوانا ، يارب كيف تسمح بأن تنتهك حرمة هذا البلد الأمين هكذا وهو يسبح بحمدك ويجلك . .

وكان على مكتبي نسخة من القرآن الكريم ففتحته عل يكون فيه ما يرد إيمانى واطمئنانى فاذا بعينى تقع على هذه الآية

« ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

ياسبحان الله وياقدرة الله لقد قفزت من مكتبي وأنا أصيح لقـد عرفت السر . لقد عرفت السر « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » هكذا . . هكذا لقد تغيرت النفوس فتغير عليها الله .

لقـد جحدت النفس فجحدها الله . . لقـد تنكرت النفوس فتنكر لها الله

وكان لا بد من العمل . . لابد من رفع الغشاوة التى تعمى أعين المصريين فجاهدنا ونفرا من اخوانى الأعزاء وأصدرنا جريدة الصرخة منذ أربع سنوات ولـكنا كنا طلابا محوطين بالطلبة وجاءت القوانين صارمة تمنع الطلبة من كل شيء فتعطل عملنا

ومع ذلك فقد كان لابد من عمل شيء . شيء بعيد عن السياسة كى يشتغل به الشباب فاهتممت بالناحية الاقتصادية . . ذلك أنى رأيت كل شيء فى هذه البلد مملوكا للاجانب

مشروع القرش

رأيت القوت يسلب من المصريين فى وضح النهار . . رأيت الفقر والفاقة مع أننا نستطيع أن نجرد الأجانب من كل شيء .. مع أننا نستطيع أن نسلبهم القوت الذى يسلبون . . مع أننا نستطيع أن نبدل فقرنا ثراءا واحتياجنا غنى . . وذلك بقليل من الارادة وبقليل من التعاون فدعوت الأمة الى جمع قرش من كل مصرى لتأسيس مؤسسة قوميـة وقد كان وجمعت القروش وشيد مصنع الطرابيش وبالأمس نزلت هذه الطرابيش الى السوق فكان هذا ايذانا بنصر الشباب الأول أو بشير عودة الروح .. أو هو ناقوس الأمل .

كمل مصنع الطرابيش وتأسست جمعية القرش وخرجت من المدرسة

وتيقظ الشباب وعادت اليه الروح روح العمل والتضحية وبدأ يحس بالقلق يساوره . . وبدأ يشعر بالآلام التى يعيش فيها . . وبدأ يتطلع الى الخلاص .

كل شيء مستعد وإذن فالى العمل . . دعوت أصدقائى الشبان للتجرد من كل شيء . وتقديم أنفسنا فداء للوطن حتى تصبح مصر فوق الجميع أو نموت . وأقسمنا وأخذنا نفكر فى العمل الجدى . . ما السبيل الى الخلاص ما السبيل الى المجد ..

أنواصل العمل تحت راية الاحزاب وهى على ما هى عليه من تطاحن وقتال .. انشتغل فى الاقتصاد .. انشتغل فى الاجتماعيات .. ماذا يجب أن نفعل وما هو السبيل .. وهنا وللمرة الثانية سمعنا كلمات الله فى الراديو .

« ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

سر الحياة

من نحن وما نحن . ؟ هذا هو السؤال الأزلى الذى يخامر الانسانية منذ آلاف الدهور نحن خليقة الله وارادته نحن مشيئة الله وكلمته كن فكان .. وما دام الأمر كذلك ، وما دام ان وجودنا فى الحياة ليس الا ارادة من ارادات الله . فأن سؤالا يعترضنا ... ولماذا أوجدنا الله سبحانه ، فاذا الجواب « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »

هكذا . . هكذا أيها السادة هذا هو سر الحياة وهذا هو معناها . أو بمعنى آخر ذلك هو محور الحياة وحجر الزاوية فيها . فنحن قد خلقنا لنعبد الله ..

فطوبى لمن عرف هذا السر وقدره . . انه ليبلغ من القوة شأوا عظيما . . ذلك أنه يكون مسلحا بقوة الايمان . . هذا الايمان الذى يستطيع أن يدك الجبال ويذيب الحديد ويحيى الموتى

وضلة لمن جهل هذا السر سر الحياة . انه ليعيش طوال حياته فى ضعف وذل ... انه ليعيش فى الوحل والقاذورات وما ذلك الا لأنه لا يملك قوة الايمان . .

وبعد أيها السادة هل تريدون أن أحدثكم عن الايمان . .

هل تريدون أن أصور لكم الرجل المؤمن كيف يستطيع أن يحتمل العذاب باسما من أجل ايمانه . كيف يستطيع أن يقابل الموت راضيا من أجل إيمانه . هل تذكرون كيف كان المسيحيون فى إبان دعوتهم يحملون على الصليب وتدق المسامير فى أيديهم وفى أرجلهم دون أن يتأوهوا أو يشكو . هل تذكرون كيف كانوا يرمونهم الى السباع الجائعة تفتك بهم وهم يسبحون الله ... وكان ذلك عندما كان الايمان يملأ قلوبهم فاستطاع أفراد قلائل منهم أن ينشروا المسيحية فى أنحاء العالم .

ايمان المسلمين الأوائل

ونحن . . نحن المسلمين ماذا استطاع أجدادنا ان يفعلوا . . لما كان الايمان يملأ قلوبهم . . لقد فعلو المستحيل . . لقد خلقوا من شبه جزيرة العرب . القاحلة الماحلة من الزاد ومن الرجال لقد جعلوا هذه شبه جزيرة دولة تحكم العالم لقد ألفوا امبراطورية لم يعرف التاريخ مثلها لقد أسسوا ملكا

لن تذول دولته أبد الآبدين أتذكرون كيف كان المسلم يحارب العشرة أبطال فيقهرهم أتذكرون كيف كان المسلم يستقبل الموت مرتاحا فى سبيل الله أتذكرون أباسفيان عندما فقد إحدى عينيه فى إحدى الغزوات فذهب بها الى النبي يشكو فقدها وكانت على كفه فقال له عليه الصلاة والسلام لو طلبت من الله أن يردها لك فهل تحب هذا ؟ أم تحب عينا خيرا منها فى الجنة فرمى أبوسفيان عينه وقال بل خير منها فى الجنة ؟ هل تذكرون كيف كان المسلم يضرب علي رجله بالسيف فتقطع فينزع رجله ويحارب بها هل تذكرون كيف صمد النبي فى موقعة أحد ولم يكن حوله الا رجل أو رجلان يحاربان وسط هذا الجموع فلم تنل منهم شيئا ٠

هل تذكرون كيف كان المسلمون يستشهدون وهم سعداء انهم ملاقوا ربهم

هذا هو الايمان الذى جعل العرب يحطمون أقوى الامبراطوريات وأعظمها وأعنى بها الامبراطورية الرومانية ويثلون عرش الاكاسرة وذلك بقوة الايمان واليقين

فعلوا ذلك فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذلك المؤمن المتقشف الذى كان ينام فى العراء وقد يبيت وأولاده على الطوى ومن حولهم ذهب العالم وجواهره وما ذلك الا لأنهم يعيشون بالايمان وبالايمان ينتصرون وما أحقر المال وأضأله اذا ماقورن بالايمان

روي ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما جاءوه بأموال كسري بعد فتح المدائن وأخذ المسلمون يقتسمون بساط كسرى العظيم وما فيه من جواهر وذهب فبكى عمر بن الخطاب فقالوا له علام تبكى ياأمير المؤمنين والوقت وقت ابتهاج لابكاء ؟؟ فأجابهم مابكيت الا لعلمى ان هذا المال الذى تقتسمون هدم دولا وثل عروشا هذا المال الذى تقتسمون ما كان فى جماعة الا وعجل بافنائها فبكيت خوفا على أمة العرب وقد صارت الى هذا الغنى وتكدست فيها هذه الأموال

فالايمان أيها السادة هو كل شىء فلا الجيوش ولا الأساطيل ولا المال ولا أى قوات الأرض تعادل الايمان فى قوته ذلك لأنه ليس الا نفحة من نفحات الله

مصر المقدسة

ومصر أيها السادة يستطيع أعداؤها ان يجردوها من كل شىء الا أن تبقى متدينة بما لا نظير له فى بقعة أخري من أنحاء العالم ... مصر أيها السادة كانت ولا تزال وستظل دائما أبدا موئل الأديان وحاميتها ... فاذا ذكرت الأديان جاءت مصر تذكر الناس بالأديان . . ومن هنا كانت مصر تقوى اذاماازداد تعلقها بدينها وتضعف كلما انحرفت عن دينها ذلك أنها بلد دين قبل كل شىء تعيش على الدين وتعتمد عليه :—

انظروا اليها منذ أربعة آلاف من السنين وقد كانت الانسانية فى خطواتها الأولى لاتكاد تعرف كيف تطهى طعاما أو تحيك ثيابا أنظروا

الى مصر وقد عرفت من مبادىء الدين مايكاد يحار له العقل لولا أن يؤمن بأن الله أوحى الى ابناء مصر ببعض أسرار الدين ... كثيرون من الأغرار يحسبون ان دين المصريين القدماء كان دينا وثنيا . . دينا تتعدد فيه الالهة .. ديناً يعبد فيه القط والتمساح والثعبان . . لا أيها السادة حاشا وكلا أن تكون هذه عقلية بناة الاهرام ... حاشا وكلا أن تكون هذه هى عقلية الناس الذين أخرجوا حضارة تزرى بحضارة القرن العشرين .. ولكن هو جهلنا بفهم نصوصهم . هو قلة ما وصل الينا . . . ولما كانت لغة هؤلاء الأقوام رموزا بالرسوم فقد ضللنا الطريق وحسبنا كل هذه الرموز آلهة . . ولو فكر السادة العلماء قليلا لعلموا أن هذه الرموز التى حسبوها آلهة لم تكن الا أحرفا لكلمات تترجم عن معانى أخرى أكثر سموا وتعقلا بما يتناسب مع ذهنية المصريين القدماء الجبارة . . وما أعجب أيها السادة أن أخط هذه الكلمات وأن يقع فى يدى بالأمس كتاب لأحد القضاة الأفاضل وهو الأستاذ صالح سالم هيكل فأقرأ فيه مايؤيد هذه النظرية وما يقيم الدليل عليها . .

ديانة المصريين القدماء

فقد اكتشفت أخيرا أيها السادة أنشودة من أناشيد المصريين الدينية فاذا بها حديث عن الله سبحانه وتعالى . . حديث جاء فيه . . . الله واحد أحد .. الله خالق نفسه وخالق الموجودات .. الله سيد الأرض ومن عليها لا ابتداء له ولا انتهاء .

وليس الآن مقام البحث فى ديانة المصريين القدماء حتى أزيدكم تفصيلا.. ولكنى أقول لكم ان المصريين القدماء آمنوا بالتوحيد وعرفوا البعث والنشور . . وعرفوا الميزان والحساب . . وعرفوا الجنة والنار . . وهذه كلها من تعاليم الأديان السماوية . كان المصريون القدماء رجال دين أيها السادة . وكانوا يعلمون العالم الحكمة والايمان . وقد كان هذا سر قوتهم ونبوغهم . من أجل الدين وتعاليم الدين أقاموا الاهرامات الخالدة . من أجل الدين وتعاليم الدين قاموا بمعجزات العلم والفن ، هذا التحنيط أيها السادة الذى هو معجزة معجزات العلم فى الوقت الحاضر لم يعرفه المصريون الا لغاية دينية بحتة . وفى مصر أيها السادة وبين أحضان الفرعون تعلم موسى فآتاه الله حكمة المصريين كما يقول له فى كتابه المقدس وأنزل الله الديانة اليهودية على موسى واذا كان فرعون قد كفر بها فهذا ملك متجبر له شأنه ولكن المصريين آمنوا برسالة موسى كما يحدثنا القرآن عند ما سجد السحرة وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون .

وهذه هى مصر المتدينة المتعبدة . ولما جاءت المسيحية أيها السادة تفتحت لها مصر واحتضنتها وبينما كانت تطارد فى كل مكان وكان أبناؤها يرمون للسباع كانت لهم فى مصر دولة وسلطان . وبينما كانت كنائس الشرق والغرب تحطم كانت كنيسة الاسكندرية تحمل اللواء.. لقد حمت مصر المسيحية وأبقت عليها وأعلت كلمة الله ضد روما المتغطرسة حتى كسرت شوكة روما واعتنقت المسيحية بدورها .

مصر الاسلامية

وظلت مصر مسيحية كأقوى ما تكون حتى جاء الدين الجديد . . حتى جاء دين آخر الأنبياء كافة وسيد المرسلين .

مبشرا ونذيرا ففتحت مصر مصراعيها للدين الجديد .. وقام المصريون يرحبون بالفاتح الجديد الذى يعلى كلمة الله وينادى بالتوحيد . . . وقد كان أهل مصر موحدين فى المسيحية .

وتمكن الاسلام من نفوس المصريين الطاهرة المؤمنة ... فوجد فيهم موئلا وظهيرا . ووجد فى مصر ركنه الحصين وعلمه الذى لم ينطو أبدا .. وعند ما سقطت دمشق وبغداد وسقطت حصون الاسلام واعلامه . وسقطت البيوت القدسة وجاءت أوروبا الصليبية لتقضى على الاسلام كانت مصر ... مصر الاسلامية هى التى أبقت على الاسلام وحمته كانت مصر وجنود مصر هى التى دافعت عن الاسلام ضد الصليبيين حتى اكتسحتهم ووضعت أنفهم فى الرغام وتذكروا أن الصليبيين لم يكونوا الا أوربا بأسرها . . أوربا المتحمسة المتدينة جاءت لتقضى على الاسلام فامتلأت نفوس المصريين بالايمان . . وعادوا سيرة الجهاد الأولى . . سيرة الصحابة الأجلاء .

أجل لقد عادت اليهم روح الاستشهاد الأولى فاستطاعوا أن يظفروا باوربا وأن يقهروها واستطعنا أيها السادة أن نعلى كلمة الله ضد الصليبيين كما أعليناها بعد ذلك ضد التتار المخربين والذين حطموا عواصم الدولة العربية وطردوا الخلفاء

وفى وسط هذه الحروب ووسط هذا الظلام .. فى وسط الفتنة والجهل الذى خيم على العالم .. كانت جامعة الازهر وأعنى جامعة الاسلام الوحيدة فى أنحاء العالم هى التى تبعث بالنور والعلم الى أنحاء العالمين .. هى التى تحفظ المدنية والحضارة وهى التى تعلى كلمة الله .. أيها الأزهر . يا أعز تراث ويا أقدس معهد فى العالم أيها الازهر يامن أوجدك الله لتكون اماما ونبراسا انى لأنحنى أمامك تقديساً وإجلالا انى لأحبك والدموع تجول فى عينى عند ما أقارن ماضيك بحاضرك . .

هذه هي مصر العظيمة بدينها أيها السادة . هذه هى مصر التى تستمد قوتها من تمسكها بدينها . ومن هنا بقيت على مرِّ الزمان ذات حيوية خالدة لا تنضب . وانهزم كل أعدائها وبقيت هى تسير الى الامام ..

وقد فطن الى هذا السر كل أعداء مصر وفاتحوها . فجاءوها عن هذا الطريق .. طريق الدين . فان الخرافات القديمة تحدثنا أن ملك الفرس عند ما أراد فتح مصر اتخذ لذلك سبيلا دينياً بأن وضع فى مقدمة جيشه حيوانات مقدسة لدى المصريين فامتنعوا عن القتال وتركوه يدخل بلادهم كى لايمسوا هذه الحيوانات المقدسة ولست أشك فى كذب هذه الخرافة ولكنها على كل حال تدل على شدة تعلق المصريين بدينهم . .

ومن بعدهم الاسكندر لكى يستطيع أن يعيش فى مصر . آمن بديانة المصريين وذهب الى هيكلهم وسمي نفسه ابن آمون .

ومن بعده البطالسة ، ومن بعده الرومان دخلوا فى المسيحية ، حتى

جاء الاسلام فتفتحت له قلوب المصريين ولم يستطع بعد ذلك أن يحكمه الا مسلم ، حتى نابليون. أيها السادة : اضطر أن يسلم لكى يعيش فى مصر، نابليون . أيها السادة : دخل مصر فى يوم وليله دون أن تصادمه مقاومة ولكنه دخل الازهر بخيله يوما فثارت عليه الثورة التى لم تنته حتى بارح مصر ، ولم يوقفها الا بأن أعلن اسلامه . فسكت عنه المصريون وفرحوا بانتصار دينهم .والانجليز أنفسهم أيها السادة : عرفوا ذلك منا ففعلوا فى مصر كل شىء وحطموا كل شىء وغيروا كل شىء واحتقروا كل شىء الادين المصريين لأنهم وثقوا أن هذه هى ناحية الخطر فى كل ما يفعلون وأن المصريين ترضى بكل شىء الا أن تصاب فى دينها فكرموا هذا الدين وعظموه ولو ظاهراً . ألستم ترونهم يدعون علماءنا ليلة القدر احتفالا بهذا العيد العظيم .

هاكم حادثة التبشير الاخيرة هل رأيتم كيف اجتاحت البلاد عاصفة من الغضب ضد التبشير والمبشرين وكاد البركان ينفجر لولا أن تصدى الموضوع جلالة مولانا الملك المعظم فعالجه بحكمته وأمر حكومته بملافاة الامر بفتح الملاجىء والمستشفيات . أيها السادة أدرسوا نفسية الفلاحين وهم سواد الشعب انهم لا يعرفون فى الوجود الا الله ثم الارض . الله فى السماء هو الذى خلقهم وهو الذى يميتهم ويحاسبهم والارض يزرعونها ويتعيشون من نباتها . فما دام أن الله قد بقى لهم فهم ناعمون آمنون . وما دامت أرضهم

تركت لهم يزرعونها فهم آمنون ناعمون حدثهم بعد ذلك عن الاقتصاد حدثهم عن الفلسفة فسيسمعون اليك وكأن الكلام لا يعنيهم .. لأنهم جنود الله وزارعوا الارض ..

هذه هى نفسية الشعب المصرى وهذا سر قوته . واذا كنا قد وصلنا اليوم الى ما وصلنا اليـه من ضعف فما ذلك الا لأننا جهلنا هذه الحقيقة وشغلتنا ألفاظ أخرى ومحاولات أخرى . اذا كنا قد تدهورنا فما ذلك الا لأننا غيرنا ما بأنفسنا .. انى أعلن أن ساسة هذه البلد جميعا . مسئولون عن ما وصلنا اليه من انحطاط وتدهور ذلك لأنهم جهلوا طريق الدين واعتبروه نافلة من النوافل . فعملوا لـكل شىء الا الدين . استغفر الله بل لقد عملوا على هدم الدين . هدموه فى وضح النهار . هدموه تحت سمع العالم و بصره . فهل تعجبون بعد ذلك ان حكمنا الانجليز طو يلا . هل تعجبون بعد ذلك ان استعبدنا الاجانب هل تعجبون أن فقدنا معنويتنا وثقتنا بأنفسنا . انى أتهم رجال السياسة المصريين بالاجماع من فوق هذا المنبر . انى أتهم الزعماء علنا من فوق هذا المنبر . انهم مسئولون عن ماوصلنا اليه ، ذلك لأن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا .

من ذا يقول أن فى بلد الاسلام والدين يكون الفجور علنا . يالسخط الله بل و يكون برخصة من الحـكومة المصرية .. أيها الساسة أيها الزعماء يارجال الحـكومة قبل أن تتحدثوا عن الدستور . قبل أن تتحدثوا فى

الاستقلال تحدثوا فى هذا الخزى والعار وارفعوه عن أنفسكم يصلح الله شأنكم . انى لأجن أيها السادة عند ما أفكر فى هذا الموضوع .. الله يبغض الزنا . الله يعتبره من اكبر الجرائم . الله يأمرنا أن نرجم الزانى . ثم حكومة مصر ، حكومة الاسلام . حكومة الدين لتفتح البيوت للناس وتتقدم بالرخص لأبناء العائلات ولتساعد البنت ضد ابيها اذا أرادت احتراف البغاء . ولتحمى الزانى ضد لعنات ذويه . استغفرك اللهم وأتوب اليك . ومصر بأسرها . مصر التى عرفتها يارب مخلصة متفانية لكلمتك ، مصر التى رفعت لواءك يارب طوال خمسة آلاف سنة انها تثور على هذا الشر وتستنكره .

الله يحارب الخمور ويلعنها . فاذا مصر الاسلامية تفتح لها صدرها بأكثر ما تفتحه لها انجلترا وفرنسا ففى هذه البلاد تقفل المواخير فى ساعة محدودة ويمنع الشبان الصغار من ارتيادها . أما فى مصر . مصر الاسلامية فالخمر يسرى الى أعماق القرية . والخمر يعلن عنه ويروج له فى كل صحيفة مصرية . حتى الحكومة تروج له أحيانا وتطبع اعلاناته على دفتر التلفون وفى محطات السكك الحديد . . وعند ما يقوم رجل كفلوش ينادى بحرب المسكرات . هزأت منه الساسات واشفقت عليه واعتبرت عمله منكرا من المنكرات . والله ان المنكر هو أنتم وحياتكم .

دعوكم من التدهور الخلقى . دعوكم من الرذائل كلها التى حرمها الله فأباحها القانون . لن أحدثكم عن القمار والخمر والربا والزنا والتهتك لن أحدثكم عن هذه المعاول فى كيان الامة ولكنى سأحدثكم عن شىء أهون

من هذا وأبسط مأحدثكم عن هذا التفكك بين المسلمين وعدوانهم .
ان حكومتنا أيها السادة لتعرف من أخبار ألمانيا وفرنسا وانجلترا أكثر مما تعرف من أخبار فلسطين الشقيقة المسلمة . انهم ليعلموننا فى المدارس أسماء بلاد الولايات المتحدة بلدا بلدا ولكنهم لا يعلمون شيئا عن جاوة المسلمة وما فيها من اسلام . انهم ليحدثوننا عن الهند المسلمة ولا الصين المسلمة ولولا شذرات سمعتها فى الجرائد من حين لآخر لجهلت أن فى الصين مسلمين وان فى جاوه مسلمين .

ذلك أن التعليم فى مصر يحارب الدين . التعليم فى مصر ثورة على الدين . لانه تعليم يغرس فى نفس الشاب أن الحياة ليست فى الدين وأنها فى شىء آخر هو هذا العلم الذى يدرس هذه البلاد .

ولم يكن ذلك كله الا سياسة الانجليز الدنيئة . . لقد عرف الانجليز كيف يحكمون البلد . عرفوا أن السبيل الى ذلك هو إبعاد النشأ الجديد عن الدين ونظرياته عرفوا انهم يستطيعون البقاء فى مصر لا بجيوشهم بقدر ما يستطيعون ذلك عن نشر الشرور والآثام فأباحوا الخمر والربا والزنا والقمار وكل ما يفتك فى الجماعات بحجة أن هذا مدنية للمصريين فلتخسأ المدنية ولتذهب الى جهنم اذا كانت هذه تعاليمها .. فلتخسأ المدنية وليخسأ أصحابها والمنادون بها .. اذا كان هذا أثرها .

لا والله ما كانت هذه هي المدنية ولكن هذه هى معاول المدنيه ..
لا والله ما كان هذا يرقى شعبا ولكن يخرب شعبا .. لا والله ما كان الاستهتار

والدعارة جمودا فى الدين واهمالا لأوامر الله إلا نذير الهلاك والعذاب

حمداً لك يارب ان رفعت الغشاوة عن أعيننا . . حمداً لك يارب أن أتحت لنا فرصة الاهتداء بنورك وهديك فنحن اليوم قد آمنا وعرفنا الطريق عرفنا السر وعرفنا السلاح .

أيها الشبان . ياشبان مصر !

ياجنود مصر الفتاة إن أردتم نجاحا فى الحياة وفلاحا ان أردتم استقلالا ومجدا فغيروا ما بأنفسكم آمنوا بالله وأوامر الله . قدموا أنفسكم فى سبيل الله . فيغير الله ماحل عليكم من السخط والغضب . .

الدين . . الدين ايها الشبان . . الدين الدين ايها الشيوخ . . الدين الدين ايها الحكام . . لا والله ان الانجليز لا يملكون فى يدهم خيرنا وسعادتنا ولكن نحن انفسنا نسطيع ان نكون اقوياء ونستطيع أن نكون ضعفاء . .

فلنرفع كلمة الدين عالية فيجتمع لنا فى مشارق الارض ومغاربها مئات الملايين من المسلمين . لقد كانت مصر منذ خلقت العالم منارة ونورا للعالمين . كانت مصر سيدة وزعيمة وقائدة . . كانت مصر زعيمة الاسلام والمسلمين فهلموا نسترجع زعامتنا الدينية . . هلموا نرفع اللواء امام الشرق القريب والبعيد . . هلموا نأخذ مركزنا تحت الشمس فوق العالمين . . ان لكم دينا ايها الشباب سيحكم العالم باسره أن لكم دينا يهدم الفوارق ويوحد الجماعات ويجمع الناس فى صعيد واحد . ان لكم دينا ديمقراطيا تعجز تعاليم القرن العشرين عن ان تصل الى مستواه . هل تذكرون كيف كان الاعراب ينادون رسول الله بيا محمد . وكيف كانوا يحاجونه ويناقشونه . هل تذكرون كيف

يقول الكتاب وأمرهم شورى بينهم .هل تذكرون قولة رسول الله ، المسلمون سواسية كأسنان المشط . وليس هذا الا المساواة المطلقة .

هل تذكرون قول عمر متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا وهذه هى الحرية .

هل تذكرون قولة رسول الله. انما المؤمنون اخوة .هذه هى المبادىء الثلاثة حرية واخاء ومساواة يعلمها الدين الاسلامى منذ ألف سنه. ويمارسها المسلمون ولا يعرفها الغرب الامنذ مائة وخمسين سنة عندما اندلعت الثورة الفرنسية .

ان لكم دينا اشتراكيا يعجز العالم فى القرن العشرين عن بلوغ مستواه هـذه الزكاة التى فرضت علينا أليست اقطاع جزء من مال الأغنياء ليمنح للفقراء الامر الذى يحاول العالم عبثا الوصول اليه فلا يستطيع . الزكاة ركن من أركان ديننا .

ان لكم دينا يقوم على المنطق ويساعد على العمران والحضاره . ان لكم دينا ينشر السلام ويؤاخى بين سكان العالم .

ويوجد لكم عصبة أمم تزرى بالعصبة الحاضرة .

اتذكرون الحج انه عصبة شعوب حقيقيه ففيه يتقابل المسلمون وفيـه يتداولون وفيه يحلون مشاكلهم .

ان لكم دينا حوى الفضائل كلها واعترف بالأديان كلها ومجد الأديان كلها فهو يعيش مع كل الأديان الصادقة .

ان لكم دينا يضمن حياة رغدة فى الدنيا والاخرة فهلموا ياشباب . .

هلموا ياجنود مصر الفتاة نعلى كلمة الدين . .

هلموا ننادى باعادة الزكاة وبادخال التعليم الدينى فى المدارس . . هلموا نؤاخى بين المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها . .

هلموا نقضى على الخمور والبغاء والقمار والتهتك فتصبح مصر قوية ناضجة. وتصبح مصر جديرة بالزعامة والسيادة . . لأنها تكون قد غيرت ما بنفسها فيغير الله ما بها من ويلات

ايها الساده

وأما وقد وصلنا الى هذه النقطة فلا بد من ايضاح اننى الآن فى مقام بسط سياسة فيجب ان تكون صريحة لانى اعتقد ان الصراحة رأس مالى . — سنقوم بدعوة دينية سندعو مصر والحكومة لاحياء الاسلام وشعائره ،سنعمل لكى تتبوأ مصر مركزها الحقيقى فى زعامة الاسلام . . ولن يرضى ذلك خصوم مصر لن يرضى ذلك بعض سفهاء مصر واذن فسيحاولون كعادتهم نشر الدسائس والاباطيل . . سيقولون ان فى حركتنا الدينية مايهدد صفو العلاقات بين اقباط مصر ومسلميها . سيقولون ان دعوتنا خطرة على الاتحاد المقدس بين الطائفتين . — لمثل هذه الدسائس وهذه الاباطيل اريد ان اصرح علنا ومن فوق هذا المنبر ان اخواننا يجب ان يفهموا اننا كمسلمين واغلبية فى هذا البلد لنا الحق فى مناصرة ديننا والنداء بعظمته وليس فى هذا مساس بدينهم . . وليس يولد هذا خلف بيننا وبينهم . . . بل أننا كما ندعو للدين الاسلامى وزعامة مصر له . . ندعوا لزعامة مصر المسيحية أيضا على رجال الكنيسة فى الحبشة وفى بعض البلاد الاخرى

الاديان كلها لله وفى سبيل الله . والدين الاسلامى يؤاخى الاديان جميعا ويعترف بوجودها وبقدسيتها . .

الدين هو الدين وله كل اثاره فى المجتمع فقط عندما يكون لله ومن أجل الله .

وبعد هذه خطة واضحة وميثاق اعانه من فوق هذا المنبر ليكون برنامجا لنا

أيها الشباب

ايها الشباب .. ياأشبال الازهر ودار العلوم . ياأشبال الجامعة والمدارس العليا . ان عليكم رسالة وفى عنقكم دينا .. ايها الازهريون ياطلاب اقدس جامعة . ياطلبة الجامعة . ياطلاب جامعة النور الجديد . ايها الشباب ياجنود مصر الفتاة ان لخالقكم عليكم حقا فان لم تذكروا هذا الحق حق الله فلا خير فيكم لأنفسكم . ولا خير فيكم لأوطانكم . ان الذى لا يعرف حق الوطن . والذى لا يجاهد فى سبيل الله لا يجاهد فى سبيل الوطن .

آمنوا بأن جهادكم فى سبيل الله وان جهادكم الوطنى جزء من الجهاد فى سبيل الله . فنستطيع ان نوجه هذه القوى الكامنة فى مصر الى خير العالم وخير الاسلام .

ايها الشباب الحاضر الآن . تعلموا وعلموا الناس ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا أنفسهم .

قولوا للناس ان اردتم سعادة الدارين طريقكم هو الدين . . قولوا للناس ان اردتم استقلالا فطريقكم هو الدين . . قولوا للناس اذا اردتم مجدا فطريقكم هو الدين . .

اعلوا كلمة الدين وارفعوها . . فاطعوا الخمور وحاربوها .. اقضوا على دور الفسق والفجور حطموا بيوت القمار . . ادعوا للصلاة فى كل مكان وتعالوا نجتمع فى المسجد كل جمعة لنصلى لله . نصلى له كى يملأ قلوبنا ايمانا ولكى يرفع عنا البلاء الذى احاط بنا و ينتقم من الاعداء الذى يخمدون انفاسنا . تعالوا نتطهر وعندها سنصبح اقوياء . — وعندها سنهد الجبال . — وعندها سنفل الحديد . وعندها ستصبح مصر فوق الجميع

هذا ما اعنيه بكلمة الله

وهذا اول سطر فى برنامج مصر الفتاة

من فوق صخور الهرم

فى ١٧ يناير سنة ١٩٣٤ احتفلت الجمعية بعيد الفطر فأدى جنود الجمعية صلاة العيد بمسجد السيدة زينب ثم توجه الأعضاء الى سفح الأهرام وهناك فوق قمة الهرم رفع الأستاذ احمد حسين وبعض الجنود علم مصر الفتاة وانطلق الاعضاء يرددون نشيد الجمعية وقد ارتجل الاستاذ احمد حسين هذه الكلمة وهو واقف فوق صخور الأهرام .





الكتيبة تحيي العلم أمام سفح الهرم

كلمة الاستاذ احمد حسين

فى الاحتفال بعيد الفطر

اخوانى ياأشبال مصر الفتاة . وجنود مصر الظافرة هكذا أقف منكم بين صخور الهرم : هكذا وقد رفعنا العلم فوق القمة وهتفنا من أعماق قلوبنا مصر فوق الجميع . هكذا وقد رجعت الاطلال نشيدنا الداوى . اسلمى يامصر . هكذا فى أول اجتماع عسكرى لنا ومع أول كتيبة من كتائب مصر الفتاة أبايعكم على السير الى الأمام . . السير الى الأمام دائما نحو غاية مصر العليا أو الفناء فى سبيلها . .

أترون هذه الأهرام التى نقف فى سفحها وبين صخورها . . انها نتاج العبقرية المصرية الفذة التى أضاءت على العالمين منذ أربعة آلاف من السنين هذه العبقرية لم تكن وليدة الصدفة . أو ظاهرة من الظواهر التى تمر وتنقضى ولكنها عبقرية ولدتها تربة مصر الخالدة . . عبقرية مستمدة من هذه الارض وهذا الجو وهذه السماء . . فالعبقرية المصرية التى بنت الاهرام . هى نفسها التى شقت قناة السويس . . وهذه العبقرية التى بنت الهياكل والمعابد هى نفسها التى بنت المساجد العظيمة التى تفاخر بها العالم بأسره . هذه العبقرية التى حكمت العالم يوما . . هي نفسها العبقرية التى أضاءت على العالم فى العصور الوسطى والتى حاربت أوروبا الصليبية فهزمتها وأسرت ملوكها . . وهى العبقرية التى طفرت بمصر أيام محمد على من الحضيض الى السماء . .

فأخاف أسطولها الأساطيل حتى اشتركت فى تحطيمه وسارت جيوشها تهزج أهازيج النصر حتى قرعت أبواب أوربا . .

وهى العبقرية المصرية .. التى ترون آثارها اليوم تتلألأ . فى عشرات النوابغ من المصريين الذين يبهرون العالم .. فى أبطال مصر الرياضيين الذين يرفعون علم مصر فوق أعلام الدول جميعاً . فى لطفيه النادى التى هزمت أساطين الطيران . فى كامل نسيم المخترع الذى سيغير نظام الطوابع فى العالم . فى مفخرة مصر فى الطب على باشا ابراهيم الذى يبهر العالم بعبقريته فى الجراحة . . فى طلعت باشا حرب الذى يقود مصر نحو النصر بانيا كل يوم صرحا جديداً . . وغيرهم وغيرهم ممن لا تحضرنى أسماءهم ولكنهم يتحدثون بأجلى برهان عن العبقرية المصرية الفذة . .

هذه العبقرية أيها الأشبال ما بالها منزوية ما بالها محوطة بالضعف والخنوع . . مابالنا نسير فى مؤخرة الأمم . . مابالنا مستعمرين مستعبدين.. مال الأمم والأجانب يغزوننا ويملكون علينا السهل والجبل .. مابال فلاحنا جريح مضطهد لا يجد القوت ولا يجد الغذاء . . . ذلك أننا فقدنا الروح يا أشبال مصر الفتاة . . . فقدت مصر معنويتها ضاعت ثقتها بنفسها . . . وسط تطاحن الأحزاب . . وسط تراشق الأخصام . . ليس فينا الا من يشعر بضعفه حيال انجلترا.. ليس فينا الا من يشعر بضعفه حيال الاستعمار ليس فينا إلا من يشعر بالتخاذل ازاء الأجانب . . ليس فينا الا من ملىء قلبه يأسا من اصلاح ما نحن عليه من فساد . .

وتلك مهمتكم يا جنود مصر الفتاة .. تلك مهمتكم وهذا عملكم .. أن تعيدوا الروح إلى مصر .. أن تعيدوا الروح إلى المصريين .. أن تردوا عليهم معنويتهم المفقودة . . أن تردوا عليهم ثقتهم الضائعة . . أن تحفزوهم

إلى العمل .. والعمل المتواصل من أجل مصر ومجدها .. ومتى أعدنا الروح فسوف تنطلق مصر إلى الأمام .. سوف تنطلق مصر فى ميادين الجهاد والعمل .. وسوف تقوم بالمعجزات التى تبهر العالمين .. ولكنكم لكى تقوموا برسالتكم .. لكي تؤدوا مهمتكم فدون ذلك ويلات وصعوبات لا بد من تضحيات وفناء من أجل مصر .. لابدمن أن تكون كلمتكم .. نموت فداءك يامصر .. (هتاف — نموت فداءك يا مصر) ستصادفون من المشاق الشيء الكثير سيقال عنكم دعاة الاستعمار .. سيقال عنكم خونة متمردون .. كما يقال على الآن .. فهل أنتم مستعدون للسير حتى النهاية حتى يفنى الطريق أو نفنى فيه .. (هتاف .. سنسير حتى النهاية كلمتنا نموت فداءك يا مصر)

إلى الأمام إذن غايتنا أن تصبح مصر فوق الجميع .. شعارنا الله والوطن والملك جهادنا .. حرب على المستعمرين .. حرب على الاستعباد الاقتصادي حرب على الضعف .. حرب على الجمود . حرب على التفرق .. لم تتح لنا الظروف اليوم بأن نجتمع بأكثر من كتيبة من كتائبنا ولكن العيد الكبير إذا أقبل سنكون أكثر استعداداً وسوف نملأ هذا السهل بجنود مصر الفتاة .. وسيهتفون كلهم .. مصر فوق الجميع

اهتفوا معى مصر فوق الجميع — (ترديد الهتافات) الله والوطن والملك

خطبة عيد الاضحى

اعتزمت جمعية مصر الفتاة أن تحتفل بالعيد بالصلاة فى مسجد السيدة زينب ثم فى القناطر الخيرية بعد ذلك

فبكر البوليس من الساعة الرابعة صباحا مرتديا خوذاته وحاملا اسلحته النارية وعصيه الغليظة ودراجاته وموتسكلاته واستحضرو الاسعاف واستعد رجاله لاستقبال الضحايا أمام المسجد الزينبي فكان ذلك خير دعاية لمصرالفتاة المضطهدة وانبث فى داخل المسجد عشرات من رجال البوليس السرى وعلى رأسهم مأمور القسم . . ولما كانت مصر الفتاة لاترغب فى الاصطدام مع البوليس فقد توزعت أقسامها على المساجد المختلفة واستبدلت القناطر الخيرية بالمعادى فى آخر لحظة دون أن يشعر البوليس بذلك ، وقد كبر أعضاء مصر الفتاة عقب الصلاة فردد من فى المسجد تكبيرهم ولكن حضرة مأمور القسم رأى أن يقبض على الاستاذ عبد الحميد المشهدى فاعتقله وأبقاه بالقسم عدة ساعات .

فى المعادى

وفى الساعة العاشرة كان رؤساء الاقسام قد توافدوا الى المعادى فاقيمت سارية العلم ثم رفع عليها وسط النشيد القومى . . ثم أجرى استعراض عسكرى لرؤساء الأقسام وبعد ذلك اصطف المجاهدون حول العلم على شكل مثلث . ثم وقف الأستاذ أحمد حسين وخطب الأعضاء الخطبة السنوية التى يشرح فيها جهاد الجمعية فى الماضى والبرنامج المرسوم المستقبل

وبعد الانتهاء من خطابه أنزل العلم ورتل المجاهدون النشيد ثانية ثم انتظم المجاهدون « قول طريق » أى أربعة أربعة يتقدمهم المجاهد الاول حسنى ناجى وهو يحمل العلم وساروا على هذه الطريقة فى شوارع المعادى مقدار نصف ساعة حتى وصلوا الى المحطة واستقلوا القطار العائد الى مصر وفى محطة باب اللوق رددوا نشيدهم للمرة الاخيرة ثم هتفوا بتحيتهم المجد لمصر ثلاثا وفيما يلى خطبة الاستاذ الرئيس وهي تحوى تقريرا عن مدى سيرمبادىء الجمعية وتاريخها وكل ماعترضها وما يعترضها من مصاعب وفيها تسجيل لكثير من نشاطها وأثرها .

خطبة عيد الاضحى

يا أشبال مصر الفتاة

ما أسعدنى أن أجتمع واياكم . وأن نرفع علمنا الداوى وسط نشيدنا القومى بالرغم من القوات التى أرصدت لمنعنا من هـذا الاجتماع بالرغم من الحصار الذى يحوطنا فى كل مكان وفى كل مكان اجتمعنا إذن ساخرين من قوات البوليس ، البوليس العابث الذي وجد فى مصر الفتاة فرصة ليظهر فيها جبروته وعظمته .. أجل لقد وجد من احمد حسين واخوانه .. موضوعا خطيرا لتقاريرهم وكفاحهم ووسيلة جديدة لترقيتهم فهل هناك عبث بعدهذا العبث أو هل هناك ما يوجب السخرية والاشمئزاز كتصرفات البوليس مع جمعية مصر الفتاة انه يطاردنا .. أنه يضيق الخناق علينا من الاسكندرية حتي أسوان .. لا يكاد ينتقل واحد منا الى بلد حتى تسبقه الأوامر المشددة بمراقبته فى المسجد وفى الشارع . بل وفى بيته ومنعه من الاجتماع بكائن من كان فاذا اجتمع بأحد فالويل لهؤلاء الذين اجتمعوا واياه أنهم يصبحون محل مراقبة واضطهاد يفعلون ذلك فى وقت تنتشر فيه عصابات الاجرام والنهب دون أن تجد ضابطا واحداً يردعها .. يفعلون ذلك فى وقت كثرت فيه الجرائم بعالم يعهد فى تاريخ مصر ..ذلك لأن مهمة البوليس لم تعد فى حفظ الامن المتعارف .. لم تعد فى الضرب على أيدى المجرمين والجناة .. ولـكنها حفظ مآرب الحـكومة السياسية التي لا تسير فيها بوحى من الأمانى القومية

لا صوت ضد الحكومة .. لا سياسة تعارض الحكومة استغفر الله بل لا كلمة ضد الانجليز .. ولا سياسة تعارض الانجليز .. وفات هؤلاء الجاحدون أن السياسات لا تدعم بالاعتداء وانما بالعمل الصالح ان الاضطهاد لا يزيد الناس إلا كرها فى الانجليز ان الاضطهاد يحمل فى طياته انهيار العصر الحاضر بكل رجاله

أقول لكم ذلك بمناسبة سوق أعضاء جمعية مصر الفتاة الى أقسام البوليس للحصول على بصمات أصابعهم . أقول لكم ذلك بمناسبة زج أعضاء الجمعية فى السجون يوما ويومين بدون تحقيق .. أقول لكم ذلك بمناسبة الطلبة الذين يتكرم وزير المعارف فيفصلهم بدون تحقيق أو تروى .. أقول لكم ذلك بمناسبة البوليس الذى اضطهد أخى وشقيق فتحى رضوان فى الزقازيق .. والذى ضيق الخناق على أخى احمد الشيمى فى المنصورة

ولكم ان تتساءلوا وما هو سر هذا التضييق الشديد .. وما هو سر كل هذه الاضطهادات والحرب .. فأقول لكم انها بمناسبة قدوم المندوب الجديد .. ذلك أن السياسة المصرية أيها الأخوان قد أصبحت تتلخص فى هاتين الكلمتين الزلفى للانجليز . الزلفى للمندوب .. والضيف الحائر النفس يرى فى هذه الزلفى أمراً طبيعياً وعادياً .. لأن الانجليز هم سادة البلد والمجاهدون الذين سئموا الجهاد والكفاح وركنوا إلى المسالمة والهدوء يرون فى هذه الزلفى ضرورة من ضرورات حل المسألة المصرية .. والله ما كان الانجليز يقتربون من مصر إلا بمقدار ما فى هذا الاقتراب من غنم لهم لا والله ما كان الانحليز يضمرون لهذا البلد إلا الشر والعداء .. لا والله

ما كانو يضمرون لنا الا أحط النوايا والنزعات .. فاذا كان فى مصر ساسة لا يزالون يجهلون هذه الحقائق، اذا كان لايزال فى مصر رجل واحد يحسن الظن بالانجليز ويمـد يده الى الانجليز فهذا الرجل أحرى به أن يعد فى قائمة البلهاء الأغرار

الانجليز أعداؤنا .. الانجليز أعداؤنا .. حاولوا أن يحتلو هذه البلدمنذ اكثر من مائة سنة فطردتهم الجيوش المصرية وقذفت بهم الى البحر فلما أيقنوا أنهم لايقدرون على امتـلاك هذه البلد بالقوة لجأوا الى السياسة .. لجأوا الى الدهاء فاخذوا يشتركون فى السياسة المصرية .. أخذوا يداورن ويحاورن فكبلوا مصر بالديون .. وأوفدوا اليها البعثات وأظهروا الود تارة والخبث تارات .. بعد أن أسدلوا الغشاء على أعين المصريين وإذا بهم ينقضون . اذا بهم يضربون مصر الضربة الأخيرة فيحتلونها بجيوشهم . .

ويذيعون فى أنحاء العالم انه احتلال مؤقت .. انه احتلال لايدوم .. انه احتلال لايدوم ... انه احتـلال سينتهى فى اليوم الثـانى .. فاغتر المصريون واستناموا وركنوا الى الوعود ووثقوا بشرف الانجليز .. ولم يكن للانجليز شرف .. وكيف يعرفون الشرف ومصر درة لامعة تغرى باهدار الشرف فى سبيل الاحتفاظ بها .. خمسون عاما والانجليز يعبثون بنـا .. خمسون عاما واحتلالهم لم يتبدل وسياستهم لم تتحول .. وان كانت تأخذ صورا مختلفة .. وانما هم .. هم الذين يعوقون مصر عن التقدم والارتقاء .. هم هم الذين يـكبلون جيشها .. يـكبلون تشريعها .. يـكبلون ثروتها .. يـكبلون تعليمها

هم الانجليز يسيطرون على كل شىء فى عهد الاستقلال تسيطرهم أيام الحماية وقبل اعلان الاستقلال بل ان تسيطرهم اليوم اصبح أشد وطأة واعمق اثرا لأنهم بالأمس كانوا يخافون النقدومواجهة الجمهور واحتمال السخط اما اليوم فهم يجدون من المصريين من يحتمون بهم و ينفذون مشيئتهم فيتذرعون بهم و يرتدون اهابهم .

انى اعلن بينكم لتكونوا رسلا لدعوتى فى كل مكان . ان الانجليز أعداء مصر. والانجليز لا يرغبون الخير لمصر. ان مد يدالمصرى الى الانجليزى ليس الا استجداءاً وضعفاً ... ليس الا تهاونا وتفريطا ..

أحمد الله أن مصر الفتاة تعيش بعيدة عن الانجليز .. أحمد الله أن جعلنا شبابا لايميل ولا يمل ولا يلين .. أحمد الله أن جعلنا مجاهدين فى سبيل الله والوطن .. لايعرفون الا الحق والصراحة والكفاح ..

و بعد أيها الاخوان اننا نسير فى ثبات الى الامام .. وفى كل يوم نزداد قوة .. وفى كل يوم نزداد ايمانا .. انصارنا يتزايدون فى كل ساعة .. وهؤلاء الذين اقتنعوا معنا بضرورة الكفاح المتواصل يبلغون اليوم الوفا والوفا . . . وتألفت لجان لنا فى طنطا والاسكندرية والزقازيق و بنها والمنصورة ولقد واصلت مصرالفتاة مهمتها الأولى منذ اجتماعنا الاول فى العيد الصغير عند الاهرام .. اقول ان مصر الفتاة واصلت مهمتها وهى اعادة الروح الى المصريين .. وهى ايقاظ النفوس التى بالغت فى النوم ..

لاتقلبون اليوم جريدة او مجلة الا وتطالعون أحاديث ملتهبة ضد الانجليز والضعف .. وقد تحولت مجلة الشبيبة من مجلة ماجنة عابثة الى

مجلة تعبر عن صوت الشباب وتدعوا للعمل وتنظيم الصفوف .. كما تحولت مجلة المصور الى مجلة قوميــة سياسية وأصبحت لسانا من اقوى الألسنة المصرية تجاهر الانجليز بالعداء وتحارب الضعف والخور ... ومثل ذلك يقال عن الجرائد والمجلات الاخرى وان كان بدرجة أقل ولـكن التعبير فيها أصبح محسوسا فقد آمن الجميع بعد تلاوة جريدتكم الصرخة ... ان الساعة ساعة جد لاهزل وان على الصحافة أن تقود الجمهور الى الـكفاح وان تـكون قوة فى الدعوة للجهاد لا عنصرا من عناصر الاضعاف ...

ولقد شعر الشباب المصرى بروح جديدة تسرى اليه .. و بدأ يستعيد نشاطه وترحيبه بالتضحية .. وقد ظل الطلبة سنوات طويلة فى معزل عن سياسة مصر القوميــة .. حتى جاء مشروع القرش فـكان خطوة اولى لاخراجهم من عزلتهم واشتراكهم فى الحياة الاجتماعية .. ثم كانت مصر الفتاة داعية لتوجيه نظر الطلبة والشباب على العموم الى ضرورة الالتفات لسياسة مصر القومية .. وضرورة ايقاف جهودهم على مصر واستقلال مصر ومجد مصر .. بعد ان كان الى الأمس محصورا فى أشخاصهم وكيف يصلون الى الغنى أوالى الوظيفة على الأقل . ولقد سرى النشيد القومى الذى اتخذته الجمعيــة نشيدا لها فى كل مـكان .. فاصبحت تتجاوبه شوارع القاهرة وحفلاتها .. وبدأ الشباب يحس بحاجته الى الأناشيد التى تركز حماسه وتثير عزته .. فبدأ يعلن اشمئزازه من اغانى محمد عبد الوهاب وام كلثوم وغيرهما من المغنيــين والذين لا يرددون الا احاديث الغرام والدموع والذلة والمسكنة .

الاناشيد

وانى انتهز هذه الفرصة لأوجه كلمتى باسمكم الى هؤلاء المغنيين وأقول لهم . ان مصر فى نهضتها الجديدة فى حاجة الى غذائها من الفنون . يجب أن تكون الأغانى بحيث تبعث فى النفوس قوة وحياة لا ضعفا واستسلاما فان لم ينفذ المطربون هذه السياسة الجديدة فان مصر الفتاة تقول لهم منذ الآن انهم سيكونون موضع مقاطعة شديدة .

وقد سرت روح الأناشيد الى الشباب سواء أكان فى مصر الفتاة أو كان خصماً لها . فمن ذلك أن الكاتب الكبير عباس العقاد وضع نشيدا آخر جاء تحفة فنية وقد بدأ الشباب الوفدى يرتله فى مجتمعاته ونحن نرحب بهذه الروح الجديدة .

الكفاح الدينى

على أن مما يسعد مصر الفتاة بقوة هو بدأ انتشار الروح الدينية التى حاولت غرسها واعتبار السياسة جزءا من الدين بالذات فان المحاضرات الدينية التى ألقيناها والمقالات التى كتبناها والروح التى نشرناها بدأت تأتى بمفعول عظيم فقد نشطت الجمعيات الدينية نشاطا عظيماً وامتلأت قوة بمظاهرة الشباب الجديد لها . و بدأ الوعاظ فى المساجد والخطباء يرددون من فوق المنابر الدعوة الى الكفاح والجهاد . والدعوة لمحاربة البدع والخمور والزنا والضعف حربا فعلية ايجابية .

ولقد أرسلت خطابا لشيخ الاسلام أدعوه الى العمل فى سبيل نصرة

الدين والقضاء على الخمور والموبيقات التى تضعف حيوية الامة وتنخر فى عظامها . ولكنه لم يرد علي ولذلك فسأعاود الكرة بخطاب آخر تتبعه مقابلة شخصية ثم نشرع بعدها فى حرب ايجابية ضد الخمور والخمارات . . وضد دور الزنا والقمار يجب أن يكون كفاحنا فى العام الجديد ضد هذه المحرمات . وسنخرج فائزين باذن الله . لأن الله سوف ينصرنا . لأن الله لا يرضى أن يبقى المسلمون هكذا فى هذه الهوة العميقة التى سقطوا اليها .

ويسعدنى أن أقول لكم أن مانرمى اليه من اعادة الدين الاسلامى الى سابق مجده وقوته لا يعنى مطلقا أن علاقتنا بمواطنينا الأقباط يجب أن يطرأ عليها تحول أو تبدل فنحن نحبهم اليوم كما أحببناهم بالأمس ونحن نؤاخيهم فى جهادنا المشترك للوطن ونحن نعتبر أن أعظم ماجنته مصر من ثورتها الأخيرة ضد الانجليز هو هذا الوفاق والاتحاد بين المسلمين والاقباط ونحن من ناحيتنا لا نستطيع الا أن نزيد هذا الاتحاد وهذا التآلف بل ونقيمه على أساس من الصراحة والاخلاص المتبادل بين الشباب

ولعل مما يكلل جهاد مصر الفتاة أنها بدأت تسحب الشباب من المقاهى ودور اللهو ودفعت بهم الى المساجد يصلون الى الله سرا وعلانية ودعت الشباب المسيحى الى كنائسه . وهكذا بعد أن تمتلىء قلوب الشباب بالايمان والورع سينطلقون يجاهدون فى سبيل الله وفى سبيل الوطن .

الروح العسكرية

ولقد أخذت الجمعية من ناحية أخرى تنشر الروح العسكرية بين

الشباب وروح الاقدام والشجاعة فشرعت فى توقيع عرائض للتطوع فى الجيش المصرى وطالبت وزير الحربية بانقاص مدة الخدمة الى سنة واحدة ليتمكن كل شاب من الاندماج فى سلك الجيش ولكن وزير الحربية رد على هذا بأن قدمنى وزميلى أحمد الشيمى للمحاكمة وقد حبسنا احتياطيا ثم أفرج عنا وسننتظر هذه القضية أمام محكمة الجنايات فى ١٩ أبريل .

وكذلك قبضت النيابة على الأستاذ محمود حجاج والأستاذ حافظ محمود فأصبح عدد المقدمين للمحاكمة من جراء الكتابة فى جريدة الصرخة هم خمسة أشخاص .

جهادنا

ولقد رحبنا بهذا وما زلنا على استعداد أن نحبس وأن نحبس . لا لأننا نحب الحبس ولكن لأننا نريد أن نعلم الشباب عدم الخوف ذلك أن الخوف والجبن هو سر نكبتنا ولقد حاولت الحكومة بسلسلة من الاضطهادات أن توقف سير المجلة وأن تقضى على جمعية مصر الفتاة فقبضت على احمد حسين واحمد الشيمى — فرأس الجمعية فتحى رضوان فقبض على فتحى رضوان وحجاج وحافظ . فوجدت طبقة ثالثة على استعداد أن تواصل العمل . وقد كان من بين هذه الطبقة أفراد لا يزالون فى المدارس العليا . كادوا يضحون بعامهم الدراسى فى سبيل الاحتفاظ بكفاح مصر الفتاة . لولا أن أفرج عن فتحى رضوان . وباقى المسجونين فلم يعد هناك حاجة لهذه التضحية وانى أكتفى بالاشارة الى هذا الحادث

حتى تحين الفرصة المناسبة لاعلان أسماء هؤلاء الأشخاص المجاهدين . .
وهكذا برهنت مصر الفتاة أمام الحوادث أنها لا تلين لها قناة وأن سياسة البطش لا يمكن الا أن تزيدها قوة واشتعالا وان الايمان قد تمكن من نفوس أعضائها جملة فأصبحوا وكلهم على استعداد للتضحية حتى آخر حد فيها .

الغاء الامتيازات

وفضلا عن أن جمعية مصر الفتاة قامت فى كفاحها السياسى بلفت النظر الى ضرورة الكفاح ضد الانجليز .. فقد رأت أن توجه جهدا لالغاء الامتيازات بالذات فأعدت الجمعية عرائض مرفوعة الى جلالة الملك لتوقيعها من الاهلين وشرعت فعلا فى جمع التوقيعات فأقبل عليها الاهالى.. وقد أخذ البوليس يضطهدها و يطاردها وقد صادر عشرات العرائض الموقع عليها فى بنها وفى طنطا .. وقد كانت الجمعية ستواصل جميع التوقيعات لولا أنها علمت بكلام قيل فى مجلس النواب أن جلالة الملك يرغب فعلا فى الغاء الامتيازات .. وقد جاهر بضرورة الغائها مجلس النواب ورئيس الوزراء . . . وما دامت الحكومة ترى هذا الرأى فقد أصبح لايوجد ثمة داع للفت نظرها لالغاء الامتيازات .. فان هذه الحكومة وغيرها من الحكومات التى تمالىء الانجليز والاجانب ستبقى عاجزة عن التقدم نحو الالغاء خطوة واحدة ... فلم يبق الا أن يعمل الشعب لالغائها معتمدا على جهوده فيقاطع الاجانب و يضغط عليهم و يترفع عن معاملتهم و بهذه الطريقة

سيبادرون الى التنازل عن الامتيازات ليكسبوا ود الشعب المصرى من جديد
وسيكون هذا هو عمل الجمعية فى عامها الجديد

وقد وفد الى مصر سرك أجنبى فى هذه الأثناء .. وهذه الملاعب فضلا عن أنها لأجنبى وأنها تجمع ثروة باهظة من البلد التى يحل فيها دون أن تصرف مليما واحدا فى هذه البلد .. فان هذا الملعب نافلة من النوافل.. ونوع من اللهو لا يستحق أن تهدر أموال المصريين فى الوقت الذى يتضورون فيه جوعا . لذلك قام فريق من أعضاء مصر الفتاة الى مقاطعة هذا الملعب وقادوا المقاطعة بنجاح كبير وتحملوا فى سبيل ذلك عدة تضحيات مالية فقبض على حضرات ملاك منصور ومحمد راشد وعبد اللطيف سالم وزكريا راتب ومصطفى عارف اكثر من مرة وباتوا فى السجن اكثر من ليلة

تقدير العاملين

سأقدم لهم باسم الجمعية مدالية التفوق البرنزية ليكونوا خير قدوة لغيرهم فى تنفيذ مبادىء الجمعية واحتمال المكاره فى سبيلها

ويسرنى أن أخبركم أن مقاطعة الملعب قد نجحت نجاحا كبيرا وان السيرك قد عزم على السفر قريبا جدا دون ان يمر بطنطا أو المنصورة بالرغم من أن كل الجرائد كانت تروج له .. وزاره دولة النحاس باشا مما يدل على أن الجمعية كان لها اكبر الأثر فى نشر فكرة المقاطعة

وبمناسبة المقاطعة لاتزال الجمعية تعمل فى تنفيذ مبدئها القاضى بمقاطعة دور اللهو الأجنبية كالسينمات فاستطاعت أن تلفت الرأى العام الى خطورة

اندفاعه فى هذه الدور فتألفت من بين الشباب كثير من الجمعيات تعمل على تشجيع السينمات المصرية ومقاطعة الاجنبية و بالرغم من ان هذه الفكرة قوبلت فى مبدأ أمرها بالانتقاد فقد عمد جميع الشباب حتى الوفدى الى مقاطعة هذه الدور وان كان لايزال هناك بعض الشباب يواصلون ارتياد هذه السينمات فهؤلاء نفر قد فقدوا كل احساس بالكرامة والقومية و باعوا أمتهم رخيصة من أجل مناظر تافهة

من ثمار المقاطعة

وقد شعرت السينمات الاجنبية بامر المقاطعة فبدأت مقاعدها تقفر ... ومن هنا بدأوا يتقربون الى المصريين حتى أن واحدا وهو صاحب سينما تريومف قد تمصر وعرب اسم داره فسماها النصر واخذ يلحق بداره بعض المصريين .. وقد سجلت الصرخة هذه الخطوة بمناسبة عرض فلم مصرى بالدار ولكن هذا لايعنى مطلقا أن مثل هذه الدار قد أصبحت مصرية جديرة بتشجيعنا فان ما تدعو اليه مصر الفتاة هو المصرية الصميمة لحماً ودما وروحا ... على أن الجمعية تنتظر رحيل السيرك لكى تشرع عمليا فى مقاطعة السينمات الاجنبية كما قاطعت السيرك ...

محاربة الموبقات

ويلاحظ أننا نهتم بهذه المسألة الأونية لأنها ميدان للتمرين وتشديد

عزائم الشباب للاقدام على ماهو أكبر وأعنى به مقاطعة الخمور ودور البغاء والقمار .

ونحن نعلق أهمية كبيرة على تنقية المجتمع المصرى من أدران الملاهى والمسكرات والدعارة فان هذه هى الوسيلة الكبرى لاعادة الأخلاق الضائعة ولملء الشباب بالروح القوية الوثابة .

الاسطول المصرى

ولقد تحقق فى هذه الأيام أمل من آمال مصر الفتاة وجزء من برنامجها وهو ايجاد الأسطول المصرى حيث اشترى بنك مصر أربعة بواخر كبيرة ترفع العلم المصرى وستكون هذه الأربعة بواخر النواة لهذا الاسطول وان مانعهده فى طلعت باشا حرب من العبقرية والنزعة الى المجد يجعلنا نثق بأن السنوات القادمة تحمل فى تضاعيفها تكبير هذا الاسطول بما يتفق ومصر العظيمة . ولا يسعنا فى هذا الموقف الا أن نوجه دعاءنا الى الله أن يطيل فى عمر طلعت باشا حرب لكى يواصل جهاده فى سبيل المجد المصرى

هذا هو ملخص جهود مصر الفتاة وما قامت به من الأعمال فى الشهرين السابقين وهى أعمال لا ننظر اليها باعتبار أنها خطوات تمهيدية . فنحن لم نكن نبدأ فى عملنا . فالحكومة تعرقلنا وتحول بيننا وبين تنفيذ خططنا وفريق كبير من الشباب لا يزال يوجس خيفة من الانضمام بنا . ومن هنا فاننا عاجزون عن القيام بتنفيذ برنامجنا وسيرنا على الوجه الأكمل . ولكننا على كل حال لا نضيع دقيقة واحدة دون أن نعمل من

أجل مصر بقدر استطاعتنا . ان الظروف السيئة التى تحيط بنا من كل جانب لا تزيدنا الا ايمانا وثباتا فاننا نطلب مجدا عظيما لمصر ولا بد لطلب هذا المجد من دفع الثمن وهذا الثمن لن يكون الا تضحية وجهادا وآلاما . ومن هنا كنا كلما ضاقت بنا الحال ازددنا سعادة وهناءة لعلمنا أننا ندفع الثمن

المجاهدون

ولقد احتفلنا فى العيد الصغير ولم يكن بينكم مجاهد واحد رسمى أما هذه المرة فما أسعدنى أن أرى بينكم اثنا عشر مجاهدا يحملون شرف جمعية مصر الفتاة ويجودون بكل شىء .

أما الآن فدعونى أهتف بكم من أعماق قلبى أنكم ستكونون قادة مصر ومعلميها فكونوا جديرين بهذه القيادة وكونوا بحيث تقودونها الى النصر .. أريد أن أراكم جميعا مؤمنين بما يجب أن تكون عليه مصر .. أريد أن أراكم تحاسبون أنفسكم كل ليلة ماذا اقدمتم من أجل مصر .. أريد أن أراكم تحلمون بالمجد المصرى وتعملون من أجله فى صبر وثبات .. أريد أن أراكم يحب بعضكم بعضا أقوياء أعزاء فخورين . . أريد أن أراكم تمجدون المصرية ولا تعلمون غير المصرى ولاتلبسون غير المصرى .. أريد أن أراكم أتقياء بررة تؤدون واجبكم نحو الله ... أريد أن أراكم تقدمون على التضحية غير هيابين ولا وجلين فى سبيل الله والوطن والملك . أريد أن أسمعكم تهتفون من أعماق قلوبكم المجد لمصر .. المجد لمصر المجد لمصر . .

من دار الى دار

خطاب

كانت خطبة المعادى السابقة ، والمطاردة التى صحبت جنود الجمعة فى كل مكان ايذانا بعهد جديد من الاضطهاد المتواصل العنيف... فأصبح مستحيلا على جنود الجمعية ان يجتمعوا فى مكان ما فقد صادر البوليس كل اجتماع زاد حاضروه على العشرة ... ولقد كانت دار الجمعية تحاصر من يوم الى آخر ويمنع أى داخل اليها ... وكان القميص الأخضر جريمة يعاقب عليها البوايس بالقبض والاعتداء فلا عجب ان انقضت عـدة أشهر لم تلق فيها خطابات عامة ... حتى جريدة الصرخة كانت محلا للمصادرة آنا بعد آن . وكانت هذه الفترة هى الشهور الأخيرة من حياة الوزارة الفتاحية فقادت جمعية مصر الفتـاة ضدها حملة قوية توجها الأستاذ احمد حسين فى نهاية الأمر بخطاب رفعه الى جلالة الملك التمس فيه من جلالته اقالة الوزارة الفتاحية ولم تمض ايام على ارسال هذا الخطاب حتى تتابعت الحوادث وسقطت الوزارة الفتاحية واعقبتها الوزارة النسيمية ... وقد كانت أيامها الاولى وميض حرية للجمعية فصرح لها بعقد اجتماع بمناسبة انتقالها من دار الى دار وقد نشرت الصرخة بمناسبة هذا الانتقال كلمة طريفة جاء فيها

وقد يلذ لذوى القمصان الخضراء أن يرجعوا قليـلا الى الوراء ليسجلوا خطواتهم التى خطوها على الرغم من المصاعب التى حشدت فى طريقهم ، وعلى الرغم من الاتهامات التى القيت فى وجوههم بلا تفكير ولا مراجعة من الضمير.. فلقد بدأت الصرخة حياتها فى حجرتين فى مكتب أحد حضرات المحامين بشارع محمد على ، ثم انتقلت الى حجرتين أخريين فى شارع الفوالة . لم نـكن نرى فيهما إلا الخرائب تحيط بنا ، وباعة الخضروات حوالنا . ثم انتقلنا الى شقة بشارع الساحة متسعة نظيفة وها نحن أولاء ننتقل الى شقه اكثر اتساعا بها صالة تسع سبعمائة من المستمعين .

فليتوجه ذوو القمصان الخضر الى الله بالشكر ، وليرددوا وايديهم مرفوعـة الى السماء : المجد لمصر ! الله أكبر !

خطاب الاستاذ احمد حسين

فى حفلة افتتاح دار مصر الفتاة الجديدة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أحمد الله أيها السادة ان عدنا نتقابل من جديد ونتحدث من جديد. أحمد الله الذى قوانا على احتمال المكاره . ومنحنا الصبر والثبات حتى زالت الغمة وانقشع الليل وأشرق الفجر من جديد . فجر الحرية والسلام .

حاجة الأمم الى الشدة

وصدقونى أن الأمم فى جهادها أكثر ما تكون حاجة الى الشدة والشدائد لأن الشدة هى التى تصهر الضعف وتطهر النفس . . الشدة هى التى تقوى الايمان وتزكيه وتبعث فى النفس فضائلها .. الشدة أيها السادة هى حجر الاختبار الذى يختبر به معدن من المعادن للتمييز بين الغث والنفيس .

ولقد كانت شدة

ولقد كانت شدة . . ولقد كانت محنة . . كانت محنة أصيبت بها الأمة فى عهد الوزارة السابقة حطم فيها الدستور . وانتهكت القوانين واختل

الأمن والنظام .. أى ركن من الأركان بقى بعيدا عن الظلم والتخريب .. أى بيت لم ينله شر وويل كثير .. بل أى انسان لم يصب بجرح من هذا النظام عميق .. حتى منشىء النظام وصاحبه . حتى صدقى باشا انتهى به الأمر أن كان ضحية من ضحايا هذا النظام وتلك مشيئة الله وحكمته . .

وفى ظل هذا النظام تعطلت مصالح مصر ومرافقها لأن الوزارة كانت مشغولة فى المحافظة على كيانها واضطهاد الأمة . . . كان الفلاح بائسا ولا منقذ له . . كانت مصر مكسورة الجناح لضياع كرامتها وحقوقها . وكانت فزعة من النهاية المخيفة التى سينتهى اليها هذا النظام الممقوت .

خنق الحرية هو الجريمة الكبرى

على أن ذلك كله كان يهون بجانب ما سادها من جريمة أعظم من هذه الجرائم كلها ... وأعنى بها خنق الحرية ومطاردة الأحرار .. خنق الحرية هى الجريمة العظمى التى يمكن أن يرتكبها انسان ضد أمته .. ذلك أن كل شىء يهون إذا تمتعت الحرية جماعة متفقة . وعمرى فإن قيام حرية معناه التمكين القوى ضد مظاهر الظلم والاستبداد .. إنى أصرح علنا وبأعلى صوتى أن الوزير أو الحكومة التى تحاول خنق الحرية هى حكومة مجرمة .. لأنها تقضى على أمتها وتحطم معنوياتها .. إنى أفهم أن تخالف الحكومة إرادة الأمة . . . وأن تصطنع الأجنبى إذا لزم الأمر وأن تسلم للإنجليز بعض المطالب .. أفهم ذلك وأفهم تعليله ولكن شيئا واحدا لا أستطيع أن أفهمه ولا مصرى مهما كان منطقه ومهما كان رأيه وذلك الشىء هو تقييد

الحرية وخنقها .. فان عثرة الحكومة تقال اذا ما كانت هناك حرية ..
وكل أخطاء السياسة يمكن تداركها اذا كانت هناك حرية . . . وفى ظل
الحرية نستطيع أن نراجع قضايانا . فى ظل الحرية نستطيع أن نناقش وأن
ننتقد وأن نهاجم وأن نجهر بما يجب أن يكون .. فى ظل الحرية أيها السادة
نستطيع أن نقوم اعوجاجنا وأن نقوى ضعفنا وأن نوحد صفوفنا . . . فى
ظل الحرية نستطيع أن نفعل كل شىء وأن نعد مجدنا القديم ونحقق
رسالتنا الخالدة : مصر فوق الجميع .

الوزارة الحاضرة والحرية

فالوزارة السابقة من هذه الناحية قد ارتكبت ماأسميه جريمة عظمى...
الوزارة السابقة قد أساءت الى هذه الأمـة فأوقفت نموها طوال اربع
سنوات ... لا بل سارت بها الى الوراء عشر سنوات بل عشرات عند
ما كانت مصر هزيلة ضعيفة ... أما وزارة اليـوم فقد وعدت أن تطلق
الحريات ... وما اجتماعنا الليلة الا ثمرة من ثمار هذا الوعد ... واذن فانى
أعلن من فوق هذا المنبر وباسم مصر الفتاة ان الحكومة الحاضرة تستطيع
أن تحصل على تأييدنا اذا حافظت على وعدها وتركت الحريات ... حرية
الاجتماع وحرية الكلام وحرية الصحافة .. الحكومة الحاضرة اذا استطاعت
أن تحافظ على استقلالها .. وأن لا تفقد ارادتها فلا تسمح للانجليز أن يملوا
علينا من الاوامر ماتهدم به الحريات نستطيع أن نطمئن الى كل مصرى
سيقدر لها هذا الصنيع .. وسيسجل لها التاريخ عهد الحرية والسلام .

ذلك أننا أكثر ما نكون حاجة للحرية لنفكر كما ينبغى أن نفكر .. ولنجاهد كما ينبغى لنا أن نجاهد .. ولنعمل ما ينبغى لنا أن نعمله .. تلك هى الكلمة الأولى التى أردت أن أعلنها هـذه الليلة وهذا أول اجتماع سياسى لمصر الفتاة .. حتى يبلغ اسماع الحكومة الحاضرة فيرسم لها خطتها التى يجب أن تحفظها لتحصل على رضا هذه الأمة عموما وجمعية مصر الفتاة بصفة خاصة .

برنامج مصر الفتاة وسياستها

أما كلمتى الثانية فهى فى برنامج مصر الفتاة ومبادئها .. يتساءلون ماهى مصر الفتاة وماهو برنامجها وماذا تستطيع أن تفعل وما هى سياستها.. أما ماذا تكون فقد حدثكم فى هذا طويلا أخى فتحي . وأما ماهى سياستنا فانها تتلخص فى عبارات قليلة .

« اننا نريد أن نحصل على حريتنا كاملة . وأن نحصل على استقلالنا نريد أن لانرى عسكرياً انجليزيا واحدا على الأرض المصرية . ونريد أن نمحق الامتيازات وندك المحاكم المختلطة وأن نساوى الأجانب بالوطنيين .. نريد أن نكون أسياداً لبلادنا متصرفين فى شئونها . وأخيراً أيها السادة نريد أن نبعث كل مجدنا الماضى وأن نعيد تأليف الدولة المصرية من مصر والسودان حليفة للدول العربية وزعيمة للاسلام » هذا هو الذى نريده أيها السادة أو بالأحرى هذا ما يريده كل مصرى شرب من مياه النيل . بقى أن نتساءل وما هو الطريق الذى يوصلنا الى ذلك ..؟

طريقنا الى تحقيق برنامجنا

أهو أن نسخر من الدين وأن نلقيه خلف ظهورنا ونعتبره خرافة من الخرافات لا تتناسب مع المدنية والعصر الحديث . أم هو أن نحطم الاخلاق ونتجاهل الرجولة والشرف والنبل والشجاعة والوفاء . أم طريقنا الى الاستقلال والمجد أن يتخنث شبابنا ويندفع الى السينمات الأجنبية ودور اللهو والقمار والزنا . أم طريقنا أن نخطب وأن نثرثر وأن نلهو وأن نقيم الحفلات . وأخيراً أيها السادة هل طريقنا الى الاستقلال والمجد أن نكون متسولين نشحذ كرم الانجليز وعطف الأجانب ونتوسل اليهم أن يردوا الينا حقوقنا . ونبكي حتى ترق لنا قلوبهم . وفى كلمة ، هل طريقنا الى الاستقلال أن نكون ضعفاء متخاذلين . متشائمين يائسين . نفاوض الانجليز والأجانب ونحن أكثر ما نكون إحساسا بعجزنا وتصورنا . هل هذا هو طريقنا الى الاستقلال والمجد أيها السادة . ؟ اللهم لا فليس لنا طريق من هذه الطرق

وهذا هو ما يفرق بيننا وبين غيرنا من الجماعات والهيئات . فليس للاستقلال والحرية الا طريق واحد . . طريق واحد رسمته الطبيعة ورسمه التاريخ . ويرسمه الواقع . رسمته الطبيعة يوم أن كان شعارها البقاء للأصلح هذه النظرية التى سجلها القرآن الكريم بقوله « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض »

تنازع البقاء

فالطبيعة تعلمنا أن البقاء للأصلح وأن الحياة للقوى والفناء للضعيف

وهذا ما يسمونه بتنازع البقاء . . الطبيعة تعلمنا أن لا تفاهم بين السيد والمسود ولا بين القوى والضعيف ، لا تفاهم الا الصراع والقتال . . والغالب الغالب هو الصالح الذى يبقى والمغلوب هو الضعيف الذى يفنى . . الحياة لا تعرف هوادة ولا لينا فاما أن تكونوا أقوياء فتعيشوا وأما أن تكونوا ضعفاء فتموتوا . . عبث يخيل للشعب الضعيف أن يتفاهم والشعب القوى . فانه يكون تفاهما كتفاهم الذئب والحمل والذى ينتهي دائما بأن يأكل الذئب الحمل . وهذه هى الحياة فان أردتم حريتكم أو فكرتم فيها . . إن أردتم مجدكم القديم وسلطانكم فليس أمامكم إلا طريق واحد أن تكونوا أقوياء . وأن تكونوا أقوياء أولا وأخيراً وليست هذه كلمتى أو هذا رأيى ولكنه كلام الله أيها السادة والذى يقول لكم « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » أعدوا لهم مااستطعتم من قوة أى كونوا أقوياء والاحطمكم الأقوياء هذا ما يقوله الله لكم .

أمثلة التاريخ

فان أردتم أن تطالعوا صفحات التاريخ فطالعوها وأرونى شعبا واحداً استطاع أن يحصل على حريته واستقلاله بغير القوة . بل أرونى أية فكرة وأى دين انتصر الا عن طريق القوة والقوة المادية . فالاسلام لم ينتصر الا عند ما شرع الرمح والسيف ودافع عن نفسه بالقوة المادية فكان ذلك خير ممهد لانتشار مبادئه السامية العظيمة . وقبل ذلك لم تنشر المسيحية الا عندمافرضها قيصر الرومان على رعيته وأعلنها ديناً رسمياً للدولة يضطهد

من يخالفها ويعترض طريقها . أما العصور الحديثة فقد بدأت بالثورة الفرنسية التى ليست الا مظهراً من مظاهر القوة فانتصرت الحرية والأخاء والمساواة . وكانت المانيا تحلم بالوحدة وظل هذا الحلم أمنية بعيدة التحقيق حتى كان بسمارك فأعلن لمواطنيه أن الوحدة الألمانية لن تتحقق إلا بالحديد والنار . . وقد كان وتحققت الوحدة الألمانية وسط قعقعة السيوف ودخان المدافع وايطاليا حققت استقلالها ووحدتها بالحديد والنار أيضا واليونان ودول البلقان وأوربا الوسطى وتركيا الحديثة لم تحافظ على استقلالها إلا بالقوة .

بولندا

وآخر دولة من هذا القبيل كانت بولندا والتى يحلو لى دائما ان اقص قصتها . . بولندا التى تقاسمتها دول ثلاث هى أعظم دول أوروبا وهى الروسيا والنمسا و بروسيا وكان ذلك منذ أكثر من مائة سنة وجاهدت كل دولة من هذه الدول فى افناء ماوقع تحت يدها من الغنيمة . . فلم يكن هناك صنف من صنوف الاعنات لم يقع على البولنديين . . لم يكن هناك لون من الوان الاضطهاد لم يجربه البولنديون . .

ومع ذلك فكانت تقوم ثورات دامية فى بولنده الروسية تقمعها بأفظع ماتتخيلون . . كانت تنصب المدافع فى الشوارع كما فعلت فرنسا بعد ذلك بمائة سنة فى عصر الحرية والنور فى دمشق . . كانت روسيا تخرب الشوارع وتهدم الدور وتزج بالألوف فى السجون وترفع الوفا فوق أعواد المشانق وتنفى الى سيبريا عشرات الألوف . فكانت الثورة تهدأ حينا . . ثم لاتلبث

أن تشتعل بعد حين أكثر ما تكون قوة وعنفوانا . . فتعود ألوان القمع من جديد والألوف الى سيبريا من جديد . . وهكذا مائة سنة كاملة لم تكن تنتهى ثورة حتى تبدأ ثورة جديدة .. أو تجف دماء حتى تسيل دماء جديدة .. وكانت روسيا تحاول أن تمحو اللغة البولاندية فكانت تصبغ المدارس بالصبغة الروسية فكان البولنديون يعتزلونها وكانت كل أم وكل أب يلقن ابنه لغة بولندا . . أما فى بولندا البروسية فقد كانت الحرب مع الوطنية البولاندية لاتقل شدة عنها فى روسيا . . . ومع ذلك فقد قاومها البولنديون أيضا .. وكذلك كان الحال فى النمسا .. وكانت الجمعيات تعقد لتؤلف بين الأجزاء الثلاثة ، كانت الجمعيات العلمية تعمل سرا ، لتحقيق الاستقلال والوحدة .. كانت المدارس اذا ما نالت قبسا من الحرية لقنت الأطفال أناشيد الحرية والاستقلال .. كان البولنديون يهاجرون من وجه التعسف الى امريكا ليدافعوا عن قضيتهم وانشأوا البنوك والمصانع والشركات التجارية حتى انتصروا فى نهاية الحرب العظمى وظفروا باستقلالهم العتيد . . وكانت مادتهم الأولى فى الدستور شكرا لله وتحية للشهداء من أسلافهم ، أسلافهم الذين جاهدوا فى سبيل الحرية . . . ولست أستطيع أن أترك قصة بولندا قبل ان أذكر عبارة خالدة قالها نابليون بونابرت عن هذه الأمة الحية .. فقد سألوه أين ترسم حدود بولندا . فأجابهم سترسم حدود بولندا حيث يسيل الدم البولونى . .

مصر وكيف حصلت على استقلالها ... ؟

ولماذا نذهب بعيدا أيها السادة لنتحدث عن بولندا وايطاليا وألمانيا . . لماذا نذهب بعيدا وها نحن فى مصر عندما أردنا الحصول على الاستقلال لم يكن أمامنا طريق الا القوة فحصلنا عليه بالقوة فعلا .. فمنذ مائة سنة عندما أرادت مصر بزعامة محمد على ان تستقل لم تر مناصا من حرب تركيا . . . فسارت الجيوش المصرية غازية منتصرة حتى هزت تركيا هزا وعقدت مصر معاهدة كوتاهية التى أعلنت استقلال مصر وضم سوريا وفلسطين وشبه جزيرة العرب اليها . . . وكانت تمتد فى الجنوب حتى أقصى السودان . .

وهكذا حصلت مصر على استقلالها فى ظلال جيوشها الظافرة . هذه الجيوش التى أخافت اوربا بأسرها والتى جعلت روسيا تبسط حمايتها على تركيا لكى تنقذ نفسها من الخطر المصرى فاضطرت الدول أن تتداخل لتحول بين روسيا و بين أتباعها بحجة حمايتها . وذلك لايكون الا بأن تكره مصر على التراجع وسحب جيوشها فتحالفت انجلترا و بروسيا والنمسا والروسيا أيضا للقضاء على الجيوش المصرية والأسطول المصرى . ثم تم لها الذى أرادت . ولولا ذلك لكانت مصر اليوم هى العلم المداوى فى العالم لكانت مصر هى زعيمة الاسلام والشرق . لكانت مصر بحيث تبدو بجوارها انجلترا واليابان قزما حقيرا . حصلنا على استقلالنا بالقوة . قوة الحديد والنار

وحطم استقلالنا الحديد والنار مع أن الحق كان فى جانبنا . فاذا أردنا أن نتتصر من جديد فلا مناص من التزرع بالحديد والنار .

واذا كنا اليوم نادى بالدستور ونستظل بظل الدستور اذا كان فى مصر نسيم من الحرية . فذلك يرجع الى قومة مصر ضد انجلترا سنة١٩١٩ هذه القومة التى لم تكن إلا صرخة من صرخات الشعوب القوية التى تزلزل أقدام الظلم والاستعمار . . القوة هى كل شيء . هى قانون الحياة . فى كل عصر . وفى كل زمان . أمامكم المانيا . كانت منذ سنتين تسير فى مؤخرة الدول الاوربية . كانت تحتلها الجيوش الفرنسية . وتنهكها معاهدة فرسايل. كانت تئن من ملايين العاطلين . كانت تتوسل الى اوربا أن تسمح لها بتنظيم شئونها . أن تسمح لها بزيادة جيشها . كانت تتوسل الى اوربا أن تعدل معاهـدات الصلح . فلم تلق الا آذانا صماء . لم تلق الا الاستهزاء والوعيد . وكانت المانيا تسير خلف زعمائها الذين كانوا يفهمونها أنها ضعيفة وانها غير قادرة على شيء .. أما اليوم فقد تبدل الحال غير الحال. وأصبحت المانيا هى التى تتوعد وهى التى تخيف . المانيا. هى التى وكلت عصبة الأمم بقدمها. ومزقت معاهدة فرسايل. المانيا هى التى تتدجج اليوم تحت سمع العالم و بصره دون أن يجرأ مجترىء على الاعتراض عليها . وما ذلك الا لأن المانيا قد اقتنعت أن لا طريق لها الا القوة ولن تحل مشاكلها الا بالقوة والتلويح بالقوة فظفرت على طول الخط . وهي اليوم تخطو خطوات عظيمة لاختلاف مركزها القديم .

حاجتنا الى القوة المعنوية

وهذا هو برنامجنا أيها السادة أن نحصل على حريتنا واستقلالنا وأن ندعم دولتنا الخالدة بالقوة والقوة المادية. فهل نحن فى حالة تسمح لنا باستعمال هذه القوة واجادة هذا الاستعمال الجواب بالنفس . ولماذا . ؟ لأنه لاستعمال القوة المادية لابد من قوى معنوية فقبل أن يضرب الانسان يجب أن يريد الضرب . وان يشعر من نفسه بالقدرة على الضرب . وإلا فانه لن يضرب ولن يقوى على الضرب .

فنحن فى مصر عاجزون عن الحصول على حقنا بالقوة المادية لأن قوانا المعنوية محطمة . أو بالأحرى لأنه لا قوة معنوية لنا إطلاقا . فنحن لانكاد نثق بأنفسنا نحن لانكاد نتخيل فى أنفسنا القدرة على عمل شيء ، نحن لانؤمن الا بشيء واحد وهو أننا ضعفاء عاجزين ، وأننا لانفلح فى أى شيء.

أى مصرى لا يقول لك ان هذه بلد قد ضربت عليه الذلة طوال أربعة آلاف سنة ، أى مصرى لا يسب المصريين ولا ينعتهم بأحط النعوت أى مصرى لايقول لك أننا بغير الانجليز لا نساوى بصلة ، أى مصرى لايشعر فى أعماق نفسه بأنه مخلوق أصغر شأنا من الأجنبى على العموم . والانجليزى على الخصوص .

فنحن لانثق بأنفسنا أيها السادة ، نحن لا نؤمن بأنفسنا وهذا هو سر ضعفنا ذلك أن الفارق بين الضعف والقوة ليس إلا كالفارق بين

الاحساس بالضعف والاحساس بالقوة ، فيجب أن نشعر بقوتنا ، يجب أن نمتلىء ثقة بأنفسنا لأنها جديرة بهذه الثقة فعلا . فلا يوجد فى العالم شعب واحد صارع الويلات والمحن كما صارعناها ، لا يوجد فى العالم بلد من البلاد عاش طوال أربعة آلاف سنة حياً نابضاً فتيا إلا القطر المصرى ، لقد تغيرت خريطة العالم وتبدلت ، فقد قامت دول ودالت دول . لقد بعثت امبراطوريات وحطمت امبراطوريات أخرى . لقد تحول وجه العالم من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق ، ولكن بلداً واحدا وشعبا واحدا هو الذى ظل طوال أربعة آلاف سنة هو ، هو . لم يتغير ولم يتبدل ، هو هو العلم المشرق المضىء على ارجاء العالمين ، هو هو المعلم للانسانية وزعيمها وقائدها ، وذلك هو الشعب المصرى ، وتلك هى مصر ، ففى عروقنا وفى أعماق نفوسنا تستقر رواسب أربعة آلاف سنة من المجد والعظمة

فى أرواحنا طموح وقوة واقتدار ، فيجب أن نمتلىء ثقة بأنفسنا كى تقوى معنويتنا وهذا هو ثانى جهد من جهاد مصر الفتاة أما جهدنا الأول فهو

جهادنا الاول

أن نثق بالله ونؤمن به .. فالايمان بالله شرط أساسى لخلق المعنوية والحياة . الايمان بالله هو سر الحياة وقوتها ، الايمان بالله هو الذى يجعل الجبان شجاعا والضعيف قويا . . الايمان بالله هو الذى يجعلنا نأتى بالمستحيل .. ذلك أن

أجدادنا الذين سبقونا فى هذا الايمان دكوا الامبراطوريات وحطموا الجيوش وأذابوا الحديد لأنهم كانوا يؤمنون بالله . . وكانوا يعرفون أن الله أكبر. وفوق كل كبير . وكانوا يعرفون أن غاية الحياة ارضاء الله والاستشهاد فى سبيله . . . فحكموا الدنيا وسادوا العالم . . . نحن أيضا يجب أن نؤمن بالله وبرسالته السماوية يجب أن نعبد الله كل صباح ومساء لأن الذى لاخير فيه لربه لا يمكن أن يكون فيه خير لوطنه أو لنفسه . . .

فاذا آمنا بالله وامتلأنا ثقة بأنفسنا فقد بقى علينا ان نطهر أرواحنا من الارجاس فلا نقامر ولا نزنى ولا نسكر ولا نكذب .. بقى علينا أن نتحلى بالأخلاق وأن نعرف الرجولة والشهامة والشجاعة والصدق والوفاء فاذا ما حصلنا على ذلك كله فقد كملت معنويتنا وأصبحنا ولنا ارادة تفعل كل شيء . . . اذا ما آمنا بالله ووثقنا بانفسنا وتحلينا بالاخلاق . . . فقد قطعنا أكبر شوط للحصول على الاستقلال والحرية والمجد .. ولا يبقى علينا بعد ذلك الا أن نخطوا خطوتنا الأخيرة لكى نحقق كل الذى نريده فى يوم وليلة . .

لا نشتر الا من مصرى

وهناك جهاد ثالث يتفرع من الجهاد السابق ويسير ، وإياه جنبا لجنب ، وذلك هو جهاد مادى معنوى للحصول على القوة المادية أيضا . . . وذلك هو السعى لاغناء مصر وتكديس الثروة بها عن طريق الاستقلال الاقتصادى فمصر التى بلغت معنويتها الى الأوج يجب أن يكون فى حوزتها مال كثير

تستعين به على تحقيق استقلالها وحريتها فى الخطوة الأخيرة يجب أن يكون لديها مال لنعيد لها بناء كيانها . لتستطيع فى زمن قصير أن تقفز الى الأمام وتحتل مركزها الطبيعى زعيمة للاسلام وسيدة للشرق .. ولا سبيل لنا الى توفير هذا المال الا عن طريق واحد وذلك باتباع مبدأ مصر الفتاة الثانى إلا وهو « لا تشتر الا من مصرى ولا تلبس إلا ما صنع فى مصر ولا تأكل إلا طعاما مصريا » .

وهذا المبدأ يحقق لنا استقلالنا الاقتصادى . . . هـذا المبدأ يلغى الامتيازات لأنها تصبح ولا قيمة لها .. هذا المبدأ يوفر لنا فى عشر سنوات كل المال الذى نريده لانشاء دولتنا العظيمة ..

لا تشتر الا من مصرى ... أتعرفون ما معنى هذا . . . معناه أن الوفا من المصريين الذين يعانون الفقر الان يحصلون على الثروة . الوفا من العاطلين يجدون مرتزقا .. والوف من الأجانب يرحلون عن هذه البلاد فلا تلبس الا ماصنع فى مصر ولا تأكل الا طعاما مصريا .. أتعرفون ما معنى هذا معناه ان من الاربعين مليونا التى تتسرب الى الخارج فى كل عام نقتصد نصفها ليبقى داخل بلادنا ففى عشر سنوات تكتنز مصر مائتى مليون من الجنيهات ...

وهذا مبلغ يجدد بناء مصر و يملأها مصانع ويجعلها سيدة فى الجو وفى البحر وفى كل مكان .. مائتى مليون تنظم مصر تنظيما جديدا وتعيدها الى مجدها القديم .. ولست أسوق القول جزافا فها هى ذى احصائية تنبئكم بمقدار ثروة مصر التى تحتفظ بها لو أنها نفذت هـذا المبدأ فمنذ سنة ١٩٢١ حتى

سنة ١٩٣٢ كانت مصر قد استوردت من الخارج بضائع أجنبية بمبلغ ٥٦٨ مليون جنيه وهو مبلغ مخيف لا سيما اذا عرفتم ان الصادرات كانت أقل من هذا المبلغ بخمسة عشر مليونا أى ٥٣٣ مليونا . أتعرفون لماذا كان الميزان التجارى هكذا فى صالح أوربا .. أتعرفون لماذا نبتاع بهذه الملايين. ذلك لأننا شعب لا يكاد يعرف كيف يعيش . شعب لا يعرف لنفسه حقها . . ذلك لأننا كنا نستورد من الخارج وما زلنا . جبنا وزبدا وسمنا. أتسمعون أيها السادة مصر البلدة الزراعية والتى لا تعيش الا على الزراعة تستورد من الخارج جبنا وسمنا فهل هناك مهانة بعد هذه المهانة .. والانحطاط كهذا الانحطاط . نحن الذين كان يجب ان نورد للعالم بأسره نستورد من الخارج. أفتعرفون لماذا .. لأن السيد المصرى لايحلو له إلا أن يتمشدق بالجبنه الرومى والفلمنك والشستر . بل أن مصر تستورد قمحا . مصر التى كانت تمد العالم فى يوم من الأيام بالقمح . التى كانت الشعوب تجىء اليها لتشترى القمح . انعكست الآية وأصبحت مصر تستورد قمحا . لا بل ان الهوس قد وصل الى ماهو أفظع من ذلك . وصل بنا الهوس أيها السادة الى درجة أن نستورد من الخارج صلصة . نحن الذين توجد الطماطم فى بلادنا عشرات الأرطال بمليمات معدودات . وما ذلك كله الا لتهاوننا فى حياتنا . فى كرامتنا . وفى ثروتنا أيضا . لا بل ماذلك الا لعبوديتنا لأوربا وكل ما هو أجنبى . ابطلوا ذلك كله لا تأكلوا الا طعاما مصريا ولا تلبسوا الا لباسا مصريا فتحصلوا على استقلالكم وكرامتكم أتسمعون . . ان الأجانب أسياد لهذه البلد لأنهم يملكون رؤوس الأموال . الأجانب أصحاب الامتيازات

والمحاكم المختلطة لأن المال فى يدهم . فجردوهم من هذا المال وهذه القوة بأن يكون لباسكم مصريا ومطعمكم مصريا ولا تشتروا الا من مصرى وبهذا تحتفظون بثروتكم التى سنحتاجها غدا عند ما نذهب الى ميدان القتال لندافع عن حريتنا واستقلالنا ..

هذا هو ماندعوكم اليه أيها السادة أن تؤمنوا بالله وأن تثقوا بأنفسكم وأن تطهروها من الأرجاس . وأن لا تشتروا الا من مصرى ولا تلبسوا الا ما صنع فى مصر وهذا هو ما ندعوكم اليه أن تقوموا بعمله كمصريين وهذا هو الطريق الذى نرسمه لكم فسيروا فى الطريق اذن على بركة الله مع مصر الفتاة أوضدها . . هذا لا يهمنا ولكن الذى يهمنا أن تسيروا فى الطريق . فان كان فى صفوفكم من يريد أن يقدم نفسه لينضم تحت لواء هذه الجماعة التى أخذت على عاتقها تنفيذ هذا البرنامج فنحن نرحب به كائنا من كان ولكنا ننذره منذ الآن أن طريقنا ليس مليئا بالورد والريحان . . بل ان ما فيه من شوك وعوسج ليطغى على كل شىء . ان آلاما كثيرة تنتظرنا . إن صنوفا من العذاب هى نصيبنا . فلن يرض الانجليز عن وجودنا وأذن فستضطهدنا الحكومات ارضاء للانجليز والأجانب من ناحية . وسيحار بنا الجهلاء بنوايانا من ناحية أخرى . فطريقنا كله جهاد وكفاح . ذلك أننا لن نصل فى يوم واحد الى ما نريد . ولن نصل فى هدوء ولكنا وطدنا أنفسنا على تحمل كل شىء . وطدنا أنفسنا على أن نكافح حتى نموت فاذا انتصرنا فهذا الذى نريد واذا متنا قلنا لمن يجيئون بعدنا كونوا أسعد حظ منا ..

نحن والوفد

ولست أريد أن أغادر هذا المنبر قبل أن أحدد علاقة جماعتنا بالوفد ذلك أن البعض منكم يريد أن يسأل هذا السؤال أو أن يعرض به . . . فأقول لكم اننا لا نعادى مصريا واحدا بل نحن نحب الجميع لأننا أول من يدعوا الى الاتحاد والتكاتف ونحن على استعداد أن نعمل تحت راية الوفد في حدود هذه المبادىء وبهذه الوسائل . وهكذا ترون أيها السادة أن كل ما تسمونه من أننا نخالف الوفد . أو أننا أعداء له فنحن براء من هذه التهمة وأننا نمد أيدينا تحت لوائه وكل الذى يهمنا هو تنفيذ هذه المبادىء واتباع هذا الطريق . . فنحن نريد وطنية عاملة تعتمد على التضحية اولا وأخيرا . . ونحن لا نؤمن بأن الاستقلال يمكن ان يشحذ . . ذلك ان الاستقلال كما قال المرحوم الملك فيصل يؤخذ ولا يعطى . . ومادام الامر كذلك فنحن نعمل للحصول على القوة اللازمة لادراك الاستقلال . . وهذا هو برنامجنا. نحن بعد ذلك ننظم الشباب الذى ينضم ونملأه رجولة وخشونة ووطنية ونؤلف منه جيوشا منظمة ليس لها الا هتاف واحد .. وهو الله اكبر والمجد لمصر

كونوا إذن خارج حظيرة مصر الفتاة ان اردتم واعملوا بمبادئها . . او ادخلوا الى حظيرتها ان كنتم على استعداد للتضحية والجهاد . . هذا آخر ما أقوله لكم . . فاذا كنت قد ظفرت فى نهاية هذا الاجتماع بأن أقنعت واحدا منكم ان يجاهد من اجل مصر وأن يفنى فى سبيلها فأنى اعد نفسى قد قمت برسالتى واستطيع ان اوى الى فراشى فى هذه الليلة وانا مطمئن الى انى قد اديت واجبى نحو مصر . . وذلك هو مبدأنا السادس .

بعد مرور عام

كيف احتفلنا بثانى أعياد مصر الفتاة

بين الاضطهاد والتضييق والنجاح والتوفيق

وليس هـذا الذي أعرضه عليك الآن خطابا بل قطعة وصفية فقد عادت القوة الغشوم تحول بيننا وبين الخطابة .. ضاق الانجليز وضاقت إدارة الأمن العام الاوربية بقبس الحرية الذى حدثتك عنه وأن مصر الفتاة قد نالته فى بداءة عهد الوزارة النسيمية .. ولما كانت وزارة نسيم باشا وزارة تدين بطاعة الانجليز وقد اتخذ رئيسها شماراً له الخنوع لأوامر الانجليز فقد شرع البوليس يطارد مصر الفتاة من جديد وفى هذه الصفحات التالية صورة من هذا الاضطهاد نثبته فى هذا الكتاب للذكرى والتاريخ وقد وقعت هذه الحوادث فى ثانى أعياد الفطر التى مرت فى حياة مصر الفتاة والذى وافق الايام الاولى من سنة ١٩٣٥



صورة تاريخية دقيقة تمثل محاصرة البوليس لمجاهدى مصر الفتاة فى سفح الأهرام ويرى الاستاذ احمد حسين بالقميص الأخضر وهو يحادث أحد رجال البوليس الذين كانوا يتعقبون المجاهدين

عيدانه هذا العيد الذى يمر على الناس هادئا ، بين الكعك والنوم ، أو بين المقهى والملهى أو بين الكاس والطاس ، أردنا أن نملأه حياة ، ومنذ سنوات ، يوم كنا ندعو لمشروع القرش ، قلنا للناس (اجعلوا العيد عيدين) . ومن هذا اليوم وعيدنا عيدان . عيد الفطر والسرور بعد الحرمان والصوم وعيد العمل والسعى للبلاد .

فى السنة الماضية ، مر أول عيد على جمعية مصر الفتاة ، فخرجت بكتيبة من كتائبها ، وأدت الفريضة فى مسجد السيدة زينب وسارت نحو الهرم ، معها علمها ، وجنودها فى القمصان الخضر ، ثم عسكرنا عند الهرم الثالث حيث أشهدنا الجدود الخالدين عند آيات خلودهم ان الاحفاد لا نزال الماضى الحافل يملأ رؤوسهم فكرا ويملأ نفوسهم عزما ويملأ قلوبهم نورا وعند الهرم اصطفت الصفوف ، وأنشدت الاناشيد وألقيت الخطب وعدنا الى القاهرة فى صفوف منتظمة ، بخطوة وطيدة قوية ، والناس من حولنا منهم من يسأل عن أمرنا ومنهم من يدرى شأننا ومنهم من تأخذه الحماسة ويستخفه السرور فيصفق ويهتف ويجرى وراءنا ، ونفسه راضية . .

كل ذلك كان فى عهد الظلم والطغيان .. عهد التضييق والحرمان . عهد الديكتاتورية التى لا تستند على غير حراب الانجليز .

أما هذا العام فالعيد لابد أن يكون أكثر جمالا . لانه أوفر حرية . ومصر الفتاة التى استطاعت أن تسير بكتيبة واحدة فى عهد عبدالفتاح يحيى لا بد قادرة على أن تسير بكتائبها جميعا فى عهد (نسيم) .

هكذا قلنا لانفسنا فكم كان نصيب هذا القول . من الحق ؟

البشير او النذير

قبيل العيد . زارنا ضابط من قسم الموسكى وأعلنا أن البوليس اليقظ الساهر علم (ولـكن علم من أين ؟) أن جمعية مصر الفتاة قد عقدت النية على الخروج بمواكب وأعلام . فى الشوارع والطرقات ثم صارحنا فى عبارة مهذبة أن ذلك ممنوع .

كان ذلك بشيرا بان الحـكومة . تلجأ الى التفاهم . وتحاول أن تأخذ الأمور بالملاينة . ولم نكن ندرى ان ذلك كان نذيرا بما سنلقاه فى أيام العيد

لم يكن في برنامجنا أن نخرج بهذه المواكب . ولذلك طمأننا الضابط وكتب الرئيس الى مدير الامن العام خطابا . بسط له فيه كل برنامجنا فى أيام العيد وحسبنا أن الأمر سينتهى عند هذا الحد .

اول الغيث

ولـكن بسرعة . عرفنا أننا تطوحنا مع الخيال . وان النصيب الذى كتب لنا من الشدة والارهاق . لا يزال حقنا فيه محفوظا . لم يسقط بسقوط الوزارة السابقة .

ففى يوم الجمعة . كان أربعة من جنود الجمعية . (اثنان منهما بملابسهما العسكرية واثنان بثيابهما المدنية) يسيرون فى شوارع القاهرة . فقادهم جندى الى قسم بوليس عابدين . فاستبقاهم حضرة الضابط هناك .

لم يكن هناك قانون واحد . يحرم على هؤلاء الجنود أن يسيروا حيثما أرادوا ولـكن ما حاجة رسل وكين بويد وأمثالهما من موظفى الحـكومة

المصرية الى قانون : ان مصر الفتاة تؤرقهم وتضايقهم ولا علاج لهذه الجمعية الا التضييق عليها فليفسح القانون الطريق للاضطهاد .

ليس هذا تجنيا ولا تطرفا فى القول فهذا هو دليلنا . أربعة من الجنود يسيرون فماهى تهمتهم ؟ الضابط لايعرف . والعساكر لاتعرف . والرؤساء المصريون جميعا لايعرفون . انما هناك منشور من الحكمدارية التى يرأسها رسل باشا الانكليزى والمنشور يقول . كلما وجدتم جنديا من جنود مصر الفتاة . خذوه واحبسوه . للتهديد والاخافة .

ليكن !

فى محطة مصر

وفى الساعة العاشرة والربع من مساء السبت ، وصل القطار ، الى محطة مصر ، يحمل فريقا كبيرا من جنود مصر الفتاة بشعبة الاسكندرية . جاءوا ليحتفلوا بالعيد مع اخوانهم . وليعينوا مجاهدين فى دار الجمعية ، وبحضور أعضاء مجلس الجهاد .

ولقد عرفنا أن البوليس أصبح حساساً ، وأنه سيضيق ذرعاً بجنودنا اذا خرجوا مجتمعين ، ولو قل عددهم عن خمسة ، فقد كانت سابقة الصباح درسا جديدا ، عرفنا منه أساليب البوليس ، وطرائقه . . نخرج جنودنا إلى محطة مصر ، متفرقين ، ليستقبلوا أخوانهم القادمين من الاسكندرية . ولقد دخلوا الى المحطة ، وتفرقوا على أفريزها ، فلما وصل القطار اجتمعوا فى الحال ، ووقف على رأسهم قائدهم ، واتجهت عيونهم نحو عربة القطار التى تضم أخوانهم ...

ووقف القطار ، وأطل جنود الاسكندرية من نوافذ العربة ، بقمصانهم

الخضراء ، وعيونهم تلمع ، وفرحهم يضيء فى وجوههم ابتساما وبشرا .
ثم تقابلت العيون ، فكأن تيارا من الكهرباء ، قد سرى بين جنود مصر وجنود الاسكندرية ، وهتفوا المجد لمصر ! مصر فوق الجميع ! ثم صعد اليهم الاستاذ فتحى رضوان ، وحى القادمين فى شخص رئيسهم المجاهد عبد الحميد المشهدى ، ثم نزلوا الى الافريز واصطفوا صفاً واحداً ومعهم علمهم . فهتف الجميع (المجد لمصر ! مصر فوق الجميع !)

هنا جاء الضابط ، وطلب الا يخرج الاعضاء مجتمعين ، فخرجوا متفرقين . ولكنهم ما لبثوا أن اجتمعوا فى شارع عمادالدين ، واصطفوا صفوفاً منتظمة . وساروا بين الجماهير التى صفقت وهتفت .

ووصل الاعضاء الى دارهم .

فى دار جمعية مصر الفتاة

وفى شرفة الجمعية الفسيحة ، اصطف جنود الجمعية ، صفين وانضم اليهم جنود القاهرة ، ثم دوى هتاف الترحيب بالضيوف (يا يعيش) . ثم رد جنود الاسكندرية التحية بالهتاف نفسه (يا يعيش) . خلع الجنود ثيابهم ، وانتشروا فى مكاتب الجمعية ، التى تحولت فى الحال ، الى أماكن للنوم . افترش الجنود الارض . والتحفوا ببطاطينهم ثم ناموا ، جنبا الى جنب .

حبذا لو جاء أحد الذين لا يفهموننا ، ليروا هؤلاء الاخوة المتعانقين المتصافين الذين لم يناموا على اسرة ولم يخرجوا ليلة العيد ليبحثوا عن اللذات التى أصبحت اليوم رخيصة . لم يجروا وراء اللهو ، ومنهم من لم يزر القاهرة من قبل .

لـكن الذين لا يفهموننا ، فى الحقيقة يفهموننا ولـكن لا يريدون أن يعترفوا حتى امام أنفسهم بهذا . دعهم ، سيعرفون اما يريدون أن يجهلوه !

فى مسجد الـكخيا

وفى صباح اليوم التالى — يوم العيد ، بكر الجنود الى المسجد — مسجد الـكخيا ، لاداء فريضة العيد ..

فـكان البوليس كعادته عند المسجد بجنوده واستحكاماته وبعدالصلاة كبر الأستاذ أحمد حسين ثلاثا ، فردد معه المصلون (الله أكبر)

من المنصورة الى مصر مشيا على الاقدام

وبعدالصلاة عاد الجنودالى دار الجمعية ، ومنها قصدوا المعسكرفى الجيزة

وفى المعسكر اجتمع الجنود وانضم اليهم شابان من جنود مصر الفتاة بالمنصورة جاءا الى مصر مشيا على أقدامهم . وبدآ رحلتهما فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فلم يبلغا القاهرة الا الساعة الخامسة مساء . وقداحتمل هذان الشابان السير ستةعشرة ساعة ، هازئين بالتعب ،وطول الرحلة ، ليظفرا بفرصة قضاء العيد مع اخوانهم فى مصر ، ولسنا نريد أن نستخرج من كل حادثة كل معانيها ، لأن من الحوادث مايكون من الفصاحة بحيث يصبح عبثا التحدث عن جمال معناه وجلال مغزاه فحسبنا أن نثبته وكفى

الى المعسكر

حانت ساعة الذهاب الى معسكر الجمعية بالجيزة . والمعسكر الذى وقع عليه الاختيار فى آخر خط ترام الجيزة ، معروف ومسور ، وقد آثرنة

الجمعية عن سواه ، لأنه مسور ، وليس هو فى الخلاء الذى يثير شكوك البوليس ، وليس هو عرضة للانظار ، الامر الذى تكرهه الادارة..

لقد حاولنا أن نرضي البوليس وندلله ، فهل رضي ؟؟

خرج الجنود من الجمعية بقمصانهم وفى صفوفهم ، وأرادوا أن يسيروا نحو المعسكر . فاقبل بوليس الموسكي ومنعنا من السيرمعا . فقلنا اذن نركب الترام فمنعنا من الركوب معا . فقلنا (سمعا وطاعة !) وانقسم الجنود فريقين ركب كل منهما تراما . وسار بنا الترام ونحن نهزج أهازيجنا ،ونحن ننشد أناشيدنا ، وتضييق البوليس قد ملأ النفوس سروراً ، وحماسة .

السير الى المعسكر

فلما بلغ بنا الترام كوبري الملك الصالح ، نزلنا منه واجتمع الفريقان ، وعدنا الى صفوفنا ، ورفعنا أعلامنا ، واتجهنا نحو المعسكر ، فى خطواتنا العسكرية والناس من حولنا ترفع أيديها بتحية (مصر الفتاة) والشباب يجرى فى أعقابنا ، والاهتمام بنا يتزايد .

اجتزنا بهـذا النظام الدقيق كوبري عباس ، وهناك كان البوليس بضباطه وجنوده فلما رأى أننا نسير ولا ينجم عن سيرنا مايقلق الناس أو يعكر الأمن ، ويدعو الى تدخل رجال الادارة . لما رآنا فى نظامنا سار وراءنا حتى وصلنا المعسكر .

فى المعسكر

وفى المعسكر ، انصرف الشبان فى الحال ، الى تهيئة خيامهم،فنصبوها وفرشوا هنا وهناك سجاجيد الصلاة . ثم التفوا حلقات ، ليتحدثوا سويا فيما رأوا من تصرفات البوليس ، وتضييق الادارة .

جلس شبان الاسكندرية مع شبان مصر ، والمنصورة والزقازيق ، ودار بينهم أحلى مايدور بين الأخ وأخيه من حديث فقال جنود الاسكندرية هل عرفتم ماذا فعل بنا البوليس عند المحطة . لقد حاول أن يمنع اثنين منا من السفر ، فمنعهما منعا ، فلما قاوما ، سحبهما على وجوههما سحبا أمتارا كثيرة ، فلم يضعفا ، وأبيا الا أن يكونا فى القطار الذى يقل بقية الجنود . لقد وقعت نقودهما ، وتسلخت أيديهما وأرجلهما ، ولكنهما فى النهاية استطاعا أن يلحقا بالقطار . .

وعند الظهر أذن المؤذن واصطف الجنود وراء إمامهم وأدوا الفريضة . أما إمامهم ، فقد كان الرجل الذى تقرأ على وجهه صفاء نفسه .. الرجل الشفاف النقى الطاهر .. عبد الخالق مدكور باشا . .

مأدبة مدكور باشا

لقد أدب مدكور باشا لجنود الجمعية المجتمعين فى المعسكر ، مأدبة من مآدب مصر الفتاة . ومآدب مصر الفتاة ، لايكون فيها الطعام دسما فاخرا بل يكون رخيصا مفيدا . فقد قدم للاعضاء الثريد والأرز وتناولوا الحلوى ولكن الشىء الذى كان يملأ القلب سرورا وبهجة ، هو منظر سعادة مدكور باشا ، وهو يروح ويغدو بين أبنائه من جنود الجمعية ، يحمل بيديه اليهم الطعام ، ويجلس معهم ليتناول الغداء ويلاطفهم ، ويتحدث اليهم ، وكأنه واحد منهم .

هذا الرجل الذى عاصر مصطفى وسعدا وعرفهما وعمل معهما ، يأبي الا أن يكون نصيرا عزيزا ، لكل حركة نبيلة تعمل للوطن ، وتجاهد فى سبيل الاستقلال . .

اهذه هى الحرية ؟

كنا نحسب أن البوليس يكره أن نخرج الى الطرقات فى مواكبنا وصفوفنا . كنا نظنه . حريصا على الأمن . فاذا هو يخرج عن مهمته . ويدوس القانون ويجعل من واجبه مطاردة الأحرار . ولكن فى أى عهد نحن ؟ كان هذا التضييق مفهوما فى عهد عبد الفتاح يحيى ، وفى عهد اسماعيل صدقى . ولكن بماذا نفسر التضييق علينا فى عهد نسيم باشا الذى بقيت فى أول عهده المظاهرات أياما تملأ الدنيا هتافا له وللحرية ؟ بماذا نفسر دخول البوليس الى مكان مسور . بعيد عن الانظار . له حرمة البيت لايجوز لأحد الدخول فيه ولا يجوز لرجال الادارة أن يخطو عتبة بابه الا ومعه أمر صريح من النيابة ؟ أنفسر هذا الذى وقع بنا . أن الحرية التى شملت الناس جميعا . ضاقت عن أن تشملنا نحن ؟

هم الانجليز : للناس كلها معاملة ، ولنا نحن قانون خاص بنا : شديد قاس . لايعرف العدل ، ولا يحترم المنطق .

لقد جاء الضابط وطلب الينا أن نحمل خيامنا ، وأن نعود الى دارنا فلما ناقشناه احتمى بالرد الأبدى الذى لانعرف كيف نفر منه ؟ فقد قال (هذه هى الأوامر) . فلما رفضنا أن نطيع هذه الأوامر . التى يصيح فيها التعسف . عاد الى البندر ورجع ومعه المأمور ودارت المناقشة من جديد . ولقد حاول المأمور والضابط ، أن يقنعوا الاستاذ احمد حسين بالعودة ، من غير اصطدام فكان رده «لا يوجد الا حلان . أما أن تعيدونا بالقوة ، وتقبضوا علينا ، وأما أن نبقى . من حقنا أن نبقى ودخولكم هنا تسامح منى فاذا أردتم أن تحرمونا حقوقنا ، فافعلوا ذلك أنتم بالقوة ، ولكنى لاأتنازل عن

حقوق لكم ، لأن هذا يخالف نظامنا ، ويكون اشتراكا منى معكم فى دوس القانون »

وبعد قليل جاء حكمدار البوليس وقال «ان المعسكر ممنوع». ثم ذهب البوليس فى اجراءاته التعسفية الشاذة الى حد تهديد مدكور باشا وهو صاحب الأرض التى عسكرنا فيها ، بسحب رخصة الارض منه ومعا كسته

الله أكبر ! العودة الى عهد الطغيان ومصادرة أموال الناس بلا حكم . والدخول الى بيوتهم بلا أمر ، والتضييق عليهم فى عهد الحرية ، وباسم العدل

الجهات العليا

فلما وصلنا الى دار الجمعية اتصلنا بالجهات الرئيسية لا لنشكو ، بل لنحتج ولنفهم . فاتصل الأستاذ أحمد حسين بيدوى بك خليفة ، وسأله هل علم بهذا الذى حدث . فقال « انه أصدر الأمر بابقائنا فى المعسكر اذا أردنا »

اذا كان مدير الأمن هو الذى أصدر هذا الأمر ، فمن الذى أصدر الأمر باجلائنا عن المكان . . اللهم قد حارت عقولنا .

برقية الى توفيق نسيم باشا

هنا قر رأينا على ارسال برقية الى دولة نسيم باشا ، ليعلم هذا الذى يحدث فى عهد وزارته ، فلعل هؤلاء الضباط يعملون بغير علمه . أو تنفيذا لأوامر جهات أقل شأنا من وزير الداخلية نفسه وهذا هو نص البرقية :

« الاعتداءات المتكررة من رجال الادارة حتى فى عهد وزارتكم المتصفة بحمايتها للحريات تجعلنا نلجأ : الى عدالتكم محتجين على تصرف رجال الادارة فى بندر الجيزة اليوم اذ أخرجونا من مكان خاص بنامسور كالبيت له حرمته .

ازاء هذا التصرف نتساءل أترضيكم هذه الاجراءات المخالفة لسياستكم المنافية لعهودكم طالبين الانتصاف للعدل وحماية القانون ونخطر دولتكم بعزمنا على زيارة الأهرام غدا فى ظل القانون والنظام والمجد لمصر

احمد حسين

رئيس جمعية مصر الفتاة

الى الهرم

ذكرنا كما ترون فى برقيتنا الى دولة نسيم باشا ، أننا ذاهبون الى الهرم كعادتنا كل عام . وان ذهابنا سيكون فى ظل القانون والنظام . وقد طلبنا الى دولته أن ينتصف للعدل وأن يحمي القانون ، وليس الانتصاف للعدل الا تركنا ، نقوم بأعمالنا التى لا تثير أحدا ، ولا تسبب شغبا . .

وفى صباح الاثنين . خرجت جموعنا من إدارتنا بالعتبة الخضراء . . ولكن البوليس كان فى انتظارنا . فلما رآنا منعنا من السير معا . فأردنا الركوب ، فمنعنا من الركوب معا . فانقسمنا الى قسمين . كل قسم ركب تراما . واتجهنا نحو الهرم .

ألف شكر للبوليس ! لقد كنا نريد أن نركب تراما واحدا . فنشرك ركاب ترام واحد معنا فى أناشيدنا وهتافاتنا . ولكن البوليس الذى قدم فى كل أطوار الجمعية خير وسائل الدعاية عنها ، سار على طريقته فمهد لنا السبيل لتسمعنا جماعة من الناس أكبر . وفعلا سار بنا الترام ، وانطلق جنودنا فى أناشيدهم . والناس من حولنا مأخوذة بحماسة هؤلاء الشبان الذين جاءوا من الاسكندرية والمنصورة وطنطا والزقازيق .

السير على الاقدام

وعند كوبرى الملك الصالح نزل جنود مصر الفتاة من الترام . وكونوا فى الحال (طابورا) وتقدم حامل العلم الصفوف وسار الى اليمين ضابطهم الممرن شاكر افندى احمد .

سار (الطابور) من هذا الكوبرى الى أن وصل الى آخر محطة فى ترام الجيزة . بل سار الى الأهرام .

أين هو الأمن الذى انقلب رأسا على عقب . اين هى الحوادث التى وقعت . والضحايا التى سقطت . والدماء التى سفكت . من الجيزة الى الأهرام . وجنودنا يسيرون ساعتين كاملتين . يسيرون والجموع من حولهم تتكاثف وتتضخم . ولكن نظامنا كان نموذجا حسنا . فالذين ساروا حولنا . انتظموا مثلنا . والبوليس سار وراءنا . ليشاهد ويتفرج وليتأكد أن الأوامر التى تصدر لمعاكستنا والتضييق علينا . ليست الا أوامر جائرة . ولم يسر جنودنا صامتين بل رددوا أناشيدنا الوطنية كلها . رددوا نشيد اسلمى يا مصر . وانهضى يا مصر . وكانا نحيى ونغنى للوطن .

وانتقلت العدوى من الجنود الى المارة . فرددوا الأناشيد .

سخرية الظلم

فى الوقت الذى كان البوليس يتحفز ليمنعنا من الصعود الى الهرم ، كانت دبابات الانكليز تسير من الهرم واليه . فتملأ الدنيا صخبا وضجيجا وتهز البيوت والعمائر هزا حتى لتكاد تقتلعها من أساسها . والبوليس يراها مطرقا ، والمارة من المصريين يرونها متململين . ثم يأتى الانجليز فمنعون

مائة من الشبان المصريين لا يحملون سلاحا ، ولا يشهرون سيفا ، انما يسيرون مسالمين ، لا يهتفون إلا لمصر ، ولا يرددون غير الدعاء لها .

نسيم باشا منا

نحن قوم متفائلون ، لانتخيل الشر ، ولا نخلق لأنفسنا أوهاما تعذبنا. ولقد ظننا متأثرين بطبيعتنا أن البوليس سيتركنا نتم احتفالنا السنوى . لما رأيناه يدعنا فى صفوفنا ، دون أن يتعرض لنا . بل أن أحد ضباط الجيزة قابلنا فى نقطة الوسط وهى أقرب ما تكون من الهرم ، وأخبرنا أن بوليس الهرم كان سيعترضنا ، غير أنه تكلم معه ، وأخبره أن يدعنا ، فزدنا تفاؤلا

وفيما نحن نسير ، مرّ علينا نسيم باشا فى سيارته فى طريقه الى حديقته التى تقع قريبا من الهرم . فرأينا أن نذهب لتحيته .

ولكن الأقدار أبت الا أن تتم هذه التحية بطريقة طبيعية لطيفة . فان نسيم باشا لم يطل مكثه فى الحديقة فخرج منها ، وعند خروجه كانت جنودنا قد وصلت الى باب الحديقة فحيته طويلا وهتفت له .

« ليحيى حامى الحريات . ليحيى منقذ الدستور » فرد على جنودنا التحية ثم ركب سيارته واتجه نحو القاهرة ، ولما كان الاستاذ احمد حسين يسير ومعه الاستاذ فتحى رضوان على بعد من الجنود ، فقد حياه الاستاذ احمد حسين بأن رفع يده بتحية مصر الفتاة . فما كان من نسيم باشا إلا أن رد التحية بالطريقة عينها . فرفع يده اليمنى الى أعلى محييا ووجهه يطفح بالبشر والسرور . لم نكن مخطئين إذ تفاءلنا ، فلا بد أننا سنلقى من البوليس معاملة حسنة ولا بد أن احتفالنا اليوم سيكون عظيما وجميلا . ولا بد أن تكون حريتنا كاملة وموفورة .

ألم يقل لنا الضابط انه أوصي بنا خيرا ؟
ألم يرد نسيم باشا على الجنود تحيتهم ؟
ألم يحينا رئيس الوزراء تحية مصر الفتاة ؟
ماذا نطلب أكثر من عطف رئيس الحكومة علينا . .

اكفهرار الجو !!

لكن أتعرف كيف تغيب الشمس فجأة . أتعرف كيف تنقلب السماء الزرقاء داكنة سوداء . أتعرف كيف تهطل السيول ، بعد جو صحو ، فيه حرارة ودفء ؟

هكذا انقلبت الأحوال معنا . فنحن لم نكد نصل الى فندق ميناهاوس حتى اعترضنا عسكرى مصرى ومعه كونوستابل أجنبي .. وقالا لنا أن أوامر صادرة لهم بمنع مسيرنا . لنعود فى الحال الى القاهرة . لم تبدد خيالاتنا فى الحال ، إذ قلنا للعسكرى أن هذه الأوامر لابد أن تكون قديمة . لأننا أرسلنا الى رئيس الوزراء برقية ، وخاطبنا مدير الأمن العام ، ولأن البوليس تركنا نسير من الجيزة الى الاهرام فأبى العسكرى أن يسمع لنا ، فقال ان الأوامر التى لديه لم تتغير . وطلب الينا أن نتصل بالرؤساء ، وأن نأتى له بأوامر جديدة .

مخابرات تليفونية

فذهب الاستاذ فتحى رضوان وطلب بدوى بك خليفه ، فلم يجده ثم جاء الاستاذ احمد حسين وطلب حسن بك فهمى رفعت وكيل الداخلية ودار بينهما حديث طويل ، ملخصه أن حسن بك قال أن صعودنا الى الهرم

ممنوع فطلبنا أن يسمح لنـا بالصعود متفرقين . فقال انه سيتفاوض مع المحافظة ، وسيتصل بنقطة الهرم بعد ذلك .

وذهب الأستاذ ليقف مع بقية الجنود فجاء عسكرى وطلب من الرئيس أن يتفضل بالذهاب لمقابلة الصاغ الذي يعمل فى نقطة الهرم كمأمور . فذهب الاستاذ احمد ومعه الاستاذان السكرتير العام واحمد الشيمى .

ادب انجليزي

فى حجرة الضابط — أو المأمور — أو سمه كما تشاء . وجدنا رجلا انكليزيا ، يلعب فى اسنانه بقطعة صغيرة من القش ، يخرج بها ما اجتمع فى فمه من بقايا الطعام

فمد اليه الاستاذ احمد حسين يده محييا ، ولـكن الصاغ الانجليزى كان منهمكا فى عملية تطهير وتنظيف فمه فلم يرد التحية . فرفع الاستاذ احمد يده محييا فأبى الرجل الانكليزى المهذب إلا أن يستمر فى العملية التى انهمك فيها .

ثم شاء له ذوقه أن يتحدث الى مصرى ، يرأس جمعية مصرية ، ويشغل فى المجتمع المصرى مركزا أدبيا . شاء ذوق حضرة الصاغ أن يقول لحام العبارات الآتية .

وياليته قالها بالعربيـة : بل ياليته قالها بالانكليزية . فقد كان يقول العبارة بالانكليزية أولا محترما لغته ، ثم يترجمها لنا :

أولا — إنته لازم ترجع مصر تانى

ثانيا — دى أوامر الحـكومة

ثالثا — إن مارجعتش حايجى لورى — وبعدين مش يحصل طيب .

رابعا — (يخاطب العسكرى) طلعهم بره .

ايه ايتها الحرية

كان مجهودا عصبيا هائلا هذا الذى بذلناه فى ضبط أعصابنا ونحن نسمع هذا الكلام يتفوه به حضرة الصاغ الانجليزي الذى جاء به الى مصر يعيننا على ضبط الأمن ومحاربة الجرائم ومكافحة الفساد .. عدنا نحن نسأل أهذه هى المقابلة التى أعدتها لنا الحكومة ، فى ثانى أيام العيد كدليل حى من دلائل الحرية ومظهر ملموس من مظاهر ، انقضاء عهد الطغيان .

مسكينة أيتها الحرية .

مظلومة ايتها الحرية . !

كم يرتكب باسمك ، وكم يمسح فى ردائك .

في انتظار المجهول

ذهب الأستاذ احمد ، وخطب فى الأعضاء ، واصفا لهم ماوقع من الضابط ، قائلا : انه لى الشرف ، الا يضع هذا الانكليزى يده فى يدى ، لأننى وأنا رئيس لمصر الفتاة ، أريد أن تمتلىء نفسى ايمانا بان الانكليز خصومنا ، وأنهم لايودون لنا الخير أبدا . انهم يعينوننى بهذا الجفاء ، وهذه المعاملة . حتى لانقول بعد اليوم شيئا عن اعترافهم بالقانون ، وتقديرهم للنظام .

فى اماكننا ولتفعل القوة ماتشاء

فى هذه الاثناء كان حسن بك فهمى رفعت قد أتم مفاوضاته وانتهى رأى المحافظة الى منعنا . فتكلم القلم السياسى مع نقطة الهرم ، وأخبرها بأنه يريد الرئيس .

ولكن الرئيس رفض أن يذهب الى النقطة ، وطلب من العسكرى

الذى جاء يكلمه : اذهب الى الصاغ وقل له يأتى الى اذا أراد أن يتكلم معى . أما أنا فلا أريد أن أكلمه ولا أريد أن أراه . فذهب العسكرى وقال أن المحافظة تريد من يتكلم معها فى التليفون .

فذهب الأستاذ فتحى رضوان وتخاطب مع القلم السياسى ، فعرف أن وكيل الداخلية يخطرنا بأن صعودنا الى الهرم ممنوع فأجاب الأستاذ فتحى ، واذا أصررنا على الصعود فكان الجواب نرسل لكم « لورى » بالحواذات والعصى يمنعكم ونطبق عليكم قانون الاجتماعات والمظاهرات ... الخ

فقال له الأستاذ فتحى : ونحن غير راجعين وتخاطبت المحافظة مع وكيل الداخلية وصدرت الأوامر بارسال « لورى »

علم الأستاذ أحمد ذلك ، فخطب فى الأعضاء ثانية قائلا : اننا سنبقى فى أماكننا ، حتى يأتى اللورى يحملنا الى القاهرة حملا . وانتظرنا اللورى ساعة وساعة ونصف ، وأصبحت الساعة الثانية فخشينا أن يكون البوليس قد مكر بنا ، وأراد أن يبقينا فى أماكننا ، وأن تكون «قصة اللورى» حيلة.

لم تكن غايتنا أن نشتبك مع البوليس المصرى ، ولا مع الضباط المصريين انما كانت غايتنا أن نسجل على الحكومة أنها تضن علينا بالحرية . فعدنا الى القاهرة ، وحينما وصلنا الى الجيزة ، رأينا « اللورى » وهو يكاد يفيض بالعساكر ، ومعهم عصيهم . فكان اللورى وهو يسير من القاهرة الى الأهرام دليلا على الحرية الفضفاضة ! !

اين ننام

أستنفد البوليس فى هذه الأيام كل ما كان فى جعبته . فلقد حرمنا أن نسير معا وأن نصعد الى الأهرام ، وان نتكلم بقى ان يحرم علينا النوم . وقد أقدم على الخطوة الأخيرة . .

ففى مساء يوم الاثنين ، جاء الينا ضابط من قسم الموسكى وأخبرنا أن هناك خبرا وصل الى علم البوليس بأن فى نيتنا عقد اجتماع فى ادارتنا .وانه يرى لهذا الخبر ظلا من الحقيقة لأن الدار حاشدة بالناس . فاخبرناه أن كل الذين يراهم هم جنود الجمعية . فهم أصحاب البيت . فاذا أراد البوليس أن يمنع أى قادم فليمنعه الااذا كان القادم عضوا .

فسألنا ، وما علة وجود كل هؤلاء ؟ فقلنا له ان هؤلاء الاعضاء ضيوف لأنهم قادمون من الاسكندرية ومن المنصورة ومن بلاد أخرى لقضاء عطلة العيد فى مصر . وليشهدوا احتفال الجمعية به وليتنصبوا مجاهدين . فسأل : وأين ينامون ؟

فقلنا : هنا وقد ناموا فعلا فى الليلة السابقة فى حجرات الجمعية . فسأل : ولكن هذه الحجرات غير معدة للنوم .

فاجبنا ولكننا نعدها للنوم عند الحاجة . وهم يحملون معهم أغطيتهم وبطاطينهم . فاقترح الضابط علينا أن يذهبوا الى الفنادق وأن يتركوا الدار . فأجبنا : بل سينامون هنا . الا اذا أردتم أن تستضيفوهم لديكم فى القسم . فانصرف الضابط واتصل برؤسائه وهو يحمل أمرا بالسماح لنا بالبقاء في دارنا ! وبالنوم فيها .

لقد أصبح النوم بامر من البوليس . وبقاء الناس فى بيوتهم بأمر من الادارة .

تنصيب المجاهدين

وبعد انصراف الضابط نصب الاستاذ الرئيس خمسة وعشرين مجاهدا من الاسكندرية والمنصورة والقاهرة وتنصيب المجاهدين كما هو واضح فى

قانون الجمعية يكون بان ينادى الرئيس أو من ينتدبه لذلك على المجاهـد . ويكون الاعضاء فى هذه الاثناء على هيئة مثلث فى احدى زواياه علم الجمعية الذى يقف الرئيس تحته وعند المناداة يخرج الجندى من بين الصفوف ، ويحى الرئيس بتحية الجمعية .

فيسأله الرئيس هل هو مستعد أن يوقف جهوده وحياته وماله للجمعية وأن يطيع رؤساءه ؟ فيقول المجاهد نعم .

فيطلب منه الرئيس أن يقسم . فيكرر المجاهد القسم ويده على المصحف او الانجيل . فيقبله الرئيس ويعانقه ثم يتقدم المجاهد الى العلم فيقبل طرفه ثم يهتف الرئيس باسم المجاهد الجديد (يا.. يعيش) . فيردد الجنود يايعيش، يعيش يعيش !)

نزهة فى رعاية البوليس

وفى يوم الثلاثاء قصد مجاهدو جمعية مصر الفتاة الى قلعة صلاح الدين لزيارتها وعلى رأسهم المجاهد عبد الحميد المشهدى . ولـكن قسم الخليفة قد تلقفهم ، وأبقاهم لديه سـاعة اتصل فى خلالها بالرؤساء . فاذن الرؤساء للجنود أن يشاهدوا القلعة . ولـكن فى حراسة البوليس السرى والعلنى وفعلا ذهب أعضاء الجمعية لزيارة الأماكن الأثرية التى جاءوا لمشاهدتها ، والبوليس يتبعهم . يتفرج معهم : يصعد كما يصعدون وينزل كما ينزلون . ويقف حين يقفون . ويتعب حين يتعبون !

وهكذا تمت هذه النزهة العجيبة فى رعاية البوليس وحفظه .

ختام !

لم نكن كاذبين اذن حين قلنا ان الحريات قد تشمل كل هيئة وكل

حزب إلا نحن . لم نكن كاذبين اذ قلنا أن زخيرتنا — نحن الذين رفعنا أمام الناس مشعل مصر الفتاة — احتمال المكاره ، والهزء بالصعاب .

فليفتن البوليس فى مطاردتنا والتضييق علينا . وليفكر الانجليز فى الف حيلة لما كستنا ، وليعلم الجميع أنهم لن يستطيعوا أن يدهشونا بكل الذين يعملون . فنحن نتوقع من الظلم كل شيء . نتوقع منه أن يثور وأن يغضب وأن يسخر القوات كلها لنموت أو لنفنى . ولكننا سنبقى ، لأننا نؤمن بأن مصر الفتاة رسالة إن لم نؤدها نحن أداها الذين يأتون بعدنا ، والذين نباركهم من اليوم ، ونقول لهم كونوا أسعد حظ منا.

اداء

الاستاذ أحمد حسين

فريضة الحج

حديث روحى دينى عن الحجّ وأسراره وما استفادته مصر الفتاة

نمضى سراعا على حوادث مصر الفتاة حتى نستقر على حادث هام فى تاريخها وذلك هو زيارة الأستاذ أحمد حسين للأراضى المقدسة للقيام بفريضة الحج . . فقد غادر الأراضى المصرية فى ٨ مارس سنة ١٩٣٥ . على الباخرة كوثر فى ضيافة بنك مصر . ومنذ اليوم الأول الذى وطأت فيه أقدامه أرض الباخرة قد صحبه توفيق الله . . . فعلى الباخرة كان يقوم بالدعوة الى مصر الفتاة حتى تأثر بها ركاب الباخرة وتوطدت أواصر الصداقة بينه وبين الكثيرين من الركاب وبالأخص الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية وفى كل بلد حل فيها فى الجزيرة كان محل التكريم والتعطش لسماع كل شيء عن مبادىء مصر الفتاة . . . وقد خطب أمام جلالة الملك عبد العزيز بن السعود فكان لخطابه أثر كبير فى نفس جلالة الملك . وقد توطدت بينهما صلات المعرفة على أثر هذه الخطابة حتى لقد دعاه جلالة الملك لزيارة المدينة المنورة فى ضيافته وقد لبى الدعوة فكان ضيفا على حاكم المدينة الذى أكرم وفادته . وفى هذا الخطاب الفذ فى اسلوبه التالى لهذه العبارات ناحية من نواحى الأستاذ أحمد حسين الروحية والناحية الروحية فى الأستاذ أحمد حسين هى سر قوته وهذا ما يكشف لنا عنه فى هذا الخطاب ويسرد لنا أخبار هذه الرحلة الموفقة من المبدأ حتى النهاية والتى كان لها أعظم الأثر فى مصر الفتاة .

خطبة عن الحج

للاستاذ احمد حسين

فى الاحتفال الخاص الذى اقامته الجمعية

بمناسبة عودته من الاراضى المقدسة



يا اخواني الحمد لله انعدنا نتقابل من جديد . وعدنا نتحدث من جديد وعدنا نكافح من جديد . الحمد لله على ما من على من إكمال ديني . ومنحني قوة على قوة . وإيمانا على ايمان . ونورا على نور . الحمد لله الذى وفقني للقيام بواجب الحج المقدس لاعود منه وقد عاهدت الله من جديد . أن أكافح من أجل الحق وفى سبيله . مضحيا فى ذلك بمالى ونفسي وشبابي حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا . الحمد لله ان منحنا نعمة الصحة والعافية . وان أبقى لى قلبي نابضا ولسانى ناطقا .

أما بعد فماذا تريدون أن تسمعوا منى ؟ . ماذا تريدون أن أقول لكم الا أن الله قد أراد لمصر الفتاة نصرا فهدانى إلى البلاد المقدسة . . . ماذا تريدون أن أقول لكم الا أن هذه السفرة كانت فتحا مبينا ... وكانت فوزا لمصر الفتاة ... أو بالأحرى فوزا للعصبة المصرية على العموم ... فهناك ...

هناك أيها الاصدقاء قابلت الحجازى والنجدى . . وهناك قابلت السورى والعراقى . . وهناك قابلت المراكشى والهندي والجاوى . . فاذا بالجميع يعرفون مصر الفتاة وجهاد مصر الفتاة . . واذا بالجميع يمدون ايديهم يعاهدوننى على العمل المشترك .. ماذا تريدون أن أقول لكم ؟ اننى لم أخط خطوة واحدة دون أن الق توفيقا . . ولم ألفظ كلمة ، الا ووجدت لها آذانا تنحدر منها إلى القلوب . ماذا تريدون أن أقول لكم إلا هذه الكلمة الصغيرة الكبيرة . الحمد لله .

كيف جاءت فكرة الحج ؟

تتساءلون كيف جاءت فكرة الحج وما هى الدوافع اليها ، وما هى النتائج التى أدت اليها . وانى محدثكم عن ذلك كله بصراحتى التى تعرفونها . لكيما تطمئن قلوبكم ولتعلموا أن وعد الله حق . وان الله ناصر عباده المخلصين .

قامت مصر الفتاة منذ عام ونصف وسط الزعازع والاضطرابات . قامت مصر الفتاة فتألبت عليها القوات وحاربتها الاحزاب ، وحاربتها الحكومة ، كنا نخرج من السجن لندخل اليه ثانية ، وكنا نسمع صراخ الناس على أبواب السجن ليسقط احمد حسين ، وكنا نعود إلى دورنا فلا نجد قرشا نبذله فى سبيل فكرتنا فلم يكن معنا إلا ايماننا ندافع به عن انفسنا . ندفع به التهم الباطلة ، ونحتمى به من بطش الحكومة القاهرة ونرضى به النفوس الخالصة وعلى هذا الشكل سارت مصر الفتاة بين الأشواك والادغال لاعدة لها الا ايمان بالله العظيم ولا رأسمال لها الا هذا الايمان. قلت لكم ان خصومنا ليسوا هم الانجليز فقط ، وليست هى الحكومة ، وليسوا هم

الأجانب ، بل خصومنا هم بعض الأحزاب التى أبت أن تصغى الينا ، بل خصومنا هم بعض الشباب المخنث الذى يدين باللهو والسينمات والعربدة فوجد فى دعوتنا طهارة لاعهد له بها ، وجد فى مطالبتنا بالتقشف والبعد عن الملاهى ، ما يسىء الى شهواته فغضب علينا وانضم الى خصومنا ، ، وهكذا كنا وحيدين فى الميدان : حقيقة كان ينضم الينا فى كل يوم أناس جدد ، فى كل يوم يحمل لنا البريد تأييدات جديدة ، فى كل يوم يزداد العطف علينا ، ولكن ذلك كله لم يقلل من قوة خصومنا : فانهم مازالوا هم . هم على خصومتهم وعدائهم ، سألت نفسى : هلا أكون مخطئا ، ؟ هلا أكون واهما ، هلا أكون مخطئا فى اختيارى لهذا الأسلوب من الكفاح والسير فى هذا الطريق وعلى هذه الصورة ؟

ان دعوتى تتلخص فى أن يحصل المصريون على استقلالهم بالقوة . والقوة التى يخلقها الايمان ، التى تخلقها القلوب المتحدة ، التى تخلقها الصفوف المتراصة ، سألت نفسى : أأكون واهما فى قدرة المصريين على الكفاح ، وأن ماأتعلق به هو نوع من الخيال . اننى اسمع هذه الكلمة من أفواه الكثيرين ، انها احلام انها أوهام ، انها خيالات ، والحق أننى لاأعبأ بهم ولست أقيم لقولهم وزنا فان ايمانى بما ادعو إليه عظيم ، ولكن من يدرينى ان هذه الثقة بالنفس ليست من قبيل الغرور ، من يدرينى انها على حق وان هؤلاء المعترضين هم المخطئون ، من يدريني ذلك . من يرشدنى ، من يعلمني ، سمعت صوتا خفيا يقول لى ، الله ، الله هو المرشد والله هو المعلم ، والله هو الملهم واذن فالى الله ألجأ ، والى الله أهرع استلهمه الصواب ، وأدعوه أن يعصمنى من الخطأ وأن يوفقني الى الطريق المستقيم

وأين أدعو الله ، ومتى وكيف ، أفى الصلاة ؟ وانى أدعوه فى الصلاة

دائما ، وإذن فليس فى دعائي له فى الصلاة شيئا جـديدا ، هل اعتزل الناس بضعة أيام أصلي وأصوم فيها ؟ ولـكن من ذا الذى سيسمح لى بالاعتزال فى وسط أصدقائى ، فى وسط أسرتى . فى وسط السياسة المصرية ، كيف أستطيع الاعتزال ، وفى وسط الحياة المصرية احداث تخرج العابد من صومعته ، وفي مصر حريات تهدر ، وخبير انـكليزي يعين ، وأزهر يغلق ، لا ، لا لن أجـد المكان فى مصر الذى أستطيع ان أعتزل فيه ، إذن ماذا أفعل ؟ أين ، أين يارب أتوجه اليك ، أين أتوجه اليك ، اليك وحدك ، بعيدا عن الدنيا ، بعيداً عن صحبتها ، بعيدا عن زخارفها ، أين أتوجه اليك بنفس طاهرة خالصة من كل ما يشغلها ؟ ارشدنى يارب وعلمنى يارب ،

ولم أ كن أيها السادة أول من وقف ، ولم أ كن ولن ا كون أول ولا آخر هؤلاء الباحثين عن ربهم ليستمدوا منه العون والرحمة والقوة ، ففى العالم ملايين ، وملايين الملايين ، كلها ، كلها تسعى الي الله ، وكلها ترغب فى التجرد لله ، ولقد علم الله ذلك من عباده فأعد لهم بيتا . ليقصدوه اذا ما اشتد بهم الأمر ، ليقصدوه اذا ما احتاجوا الى القرب من الله ، ليقصدوه اذا ما عجزت المادة عن غذاء نفوسهم وأرواحهم ، ولله بيت فى جزيرة العرب منذ أقدم الدهور هدى اليه ابراهيم خليله عليه السلام وطلب منه أن يطهره من كل شوائب المادة والزخرف وأن يجعله مثابة للطائفين والعا كفين والركع السجود : « واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الا تشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والعا كفين والركع السجود واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذ كروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » .

هكذا طلب الله من ابراهيم أن يؤذن فى الناس بالحج، بعد أن يبنى البيت فبنى البيت وصعد على جبل أبى قبيس ونادى يا أيها الناس ان ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج اليه ، فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجا به كل من أراد الله له الحج ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وكذلك صحت أيها السادة من أعماق نفسى ، لبيك اللهم ، لبيك ، لبيك اللهم لا شريك لك لبيك ، لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ؛ ذلك أن الدين الاسلامي كتب علينا الحج ، فالاسلام قد بنى على خمس أركان ، من بينها الحج فان لم تحج وأنت قادر على الحج كان اسلامك لم يكمل . وما أحرانا نحن الذين نتصدى للجهاد وندافع عن الحق ، ما أحرانا : نحن الذين ننزل الى الحياة العامة لندعو الناس للحق ولنقدم لهم القدوة والمثل الصالح ، ما أحرانا أن نكمل اسلامنا وان نتم ديننا . وما أحرانا نحن بصفة خاصة شباب مصر الفتاة ، نحن الذين بدأنا شعارنا باسم الله أن نلبى دعوته ، وأن نحج الى بيته . وان تنطلق قلوبنا بهذا الذكر الجميل ، لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، أجل هناك سأجد بغيتي المنشودة هناك سأتجرد من الدنيا وسأخلص الى الله ؛ هناك سأعبد الله وسأتقرب من الله ، هناك بعيدا عن مصر ، بعيدا عن كل شيء ، بعيدا عن الاصدقاء بعيدا عن الاعوان هناك بعيدا عن نسيم باشا ، وبعيدا عن الانجليز ، هناك فى هذه البلاد حيث انبثق النور على أرجاء العالمين ، هناك حيث يوجد بيت الله الحرام ، هناك سأسأل الله أن يرشدنى وأن يهدينى سواء السبيل .

واذن فقد اعتزمت الحج لاعرف أينا على حق ، نحن الذين ندعو

الامة الى توحيد الصفوف . وعبادة الله ومحاربة الموبقات . وملء الناس شجاعة وجرأة وتضحية . أم هؤلاء الذين يدعون الى التفرقة والى الجبن والى الشك والانانية ؟هل أنامغرور فيما أو من به من أن مصر ستبعث من جديد لتصبح فوق الجميع حرة وسيدة وزعيمة . أم هؤلاء الذين يصفون مصر بانها قد قضى عليها للأبد . وانلا مناص لها من الاستعباد والرضوخ لحكم الانجليز . أينا المغرور وأينا المخطىء ؟ اللهم ارشدنى واهدنى وعلمنى وها أنذا قاصدك من فج عميق . فخزمت متاعى وامتطيت السيارة الى السويس وأنا أصيح من الصائحين لبيك اللهم لبيك ،لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

الدين الاسلامى والحج

إلى هنا وبهذا الاحساس الذى خالط نفسى والذى ذهبت به الى الحج كنت قد اهتديت الى احدى الحكمتين المقصودتين من الحج وهي الحكمة الروحية . . فالحج ما هو إلا فترة من الزمن يترك فيها الانسان أوطانه وماله وعياله بل وليتجرد عن كل مظاهر الدنيا ويتوجه الى الله ليعبده عبادة خالصة . وليدعو الله ماشاءله الدعاء . فيذهب الانسان إلى الحج ممتلئاً بالذنوب والخطايا . . مثقلا بالهموم والمتاعب . ويعود طاهراً بريئاً . . ممتلئاً ايمانا وأملا ورجاء . يعود قوياً نقياً من الشوائب . لأنه يشعر أنه كان ضيف الله . وانه فى رعاية الله ، هل تتصورون أن هناك من المسلمين من يمشى على قدميه من بلاده حتى الكعبة ولقد تبعد بلاده طوال ستة أشهر أو سبعة ولكنه يسير قاصداً بيت الله الحرام ليعبد الله وليدعوه ، فاذا ما وصل الى هناك ، واذا مادعا الله وعبده . فماذا يكون هذا الشخص من الناحية الروحية الا فى الذروة العليا ؟والحق انهم لكذلك أجمعين .

الحكمة الاجتماعية من الحج

على أن للحج حكمة أخرى مشتقة من روح الدين الاسلامى الذي هو دين اجتماع وحياة . فالدين الاسلامى أيها السادة ليس هو بالدين الذى يقصر فى تعاليمه على الروحانيات . ليس هو بالدين الذى ينظم علاقة الفرد دون الناس . أو بالاحرى ليس هو كالدين المسيحى يقول لابنائه اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله .. أى أن المسيحية علاقة تربطك بالرب أما الدنيا والحياة فينظمها قيصر بما شاء ويريد .. لا لقد ذهب الاسلام الي أبعد من ذلك فهو ينظر للناس كجماعة وهو يهتم بالمسلمين كمجتمع فلله على الفرد حق . وللفرد على الفرد حق آخر . حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخية مايحب لنفسه » .. ولقد سن الاسلام لنا شريعة المعاملات التى تعلمنا كيف نبيع وكيف نشترى . وكيف نؤجر وكيف نحسن . وهو الذى يعلمنا أساليب الحكم والشورى والديمقراطية والمساواة والحرية والإخاء . وهو الذى يعلمنا الاشتراكية المنظمة الصالحة فى الزكاة . وهو الذى ينظم معاشنا وحياتنا كمجموعة فلا يرضى للمسلمين بالذل والهوان . ولا يرضى لهم أن يكونوا مستضعفين فى الارض أو مغلوبين على أمرهم . ولا يرضى لهم الدين إلا أن يكونوا أعزة أحرارا يخافهم أعداؤهم ويرهبونهم . لذلك قد حرص الاسلام على الجماعه والاجتماع فحث المسلمين على الاتحاد والتعاون والتآلف ليخلق منهم جميعا وحدة متماسكة ، وليس أدل على ذلك من أنه فرض على المسلمين الصلاة . والصلاة علاقة بين الفرد وخالقه ولكنه جعل الصلاة الفردية بثواب واحد وجعل صلاة الجماعة بسبع وعشرين ضعفا . فانت اذا صليت فى بيتك فانك لا تستحق من الثواب

الا واحـدا من سبع وعشرين أما ان تصلى فى جماعة فلك سبع وعشرون ضعفا . هذا الفارق العظيم بين الصلاة الفردية وصلاة الجماعة برهان قوى على نظر الاسلام للمسلمين كجماعة فهو يريد من المسلمين الاجتماع خمس مرات فى اليوم فيتعارفوا . ويتصادقوا . ويتعاونوا . ثم رأى الاسلام أن هذا الاجتماع لأهل الخط أو أهل البيت لا يكفى فجمع أهل الحى كلهم فى مسجد واحد مرة كل اسبوع وذلك فى صلاة الجمعة ثم رأى أن يجمع أهل المدينة كلهم فى صعيد واحد وذلك فى صـلاة العيد . ثم رأى الله سبحانه وتعالى أن يجمع المسلمين جميعا من انحاء الدنيا بأسرها فى مكان واحـد فكانت شريعة الحج يجتمع فيها المسلمون من انحاء الدنيا من مصر ومن انجلترا ومن الهند ومن العراق ... ومن كل ركن أذن فيه المؤذن ان لا اله الا الله .. من جميع انحاء الدنيا قاطبة ومن كل فج عميق يفد المسلمون ليجتمعوا وليشهدوا منافع لهم ... فما هى هذه المنافع ؟ أهى التعارف .؟ لا.. انها هذا وابعد منه .. أهي التآلف .؟ لا انها هذا وابعد منه . انها التعاون والتآزر .. انها العمل المشترك فى سبيل الاسلام والمسلمين .. انها المؤتمر الذى ينعقد كل عام ليتذاكر فيه المسلمون أحوالهم .. وأشهد لقد رأيت المؤتمر وأقسم لـكم ان الاسلام سيبقى بخير وان المسلمين مقدر لهم النجاح .. ما بقى هذا المؤتمر ينعقد .. وما بقى المسلمون يلبون دعوة الله من كل فج عميق ويأتون رجالا على كل ضامر ليشهدوا منافع لهم وليذكروا الله وحده . .

ثلاثة أيام فى منى وعدة أيام فى مكة وبعدها عدة أيام فى المدينة وخلال ذلك أيام وساعات يمتزج فيها الناس ويتقابلون ويتحدثون . لقد رأيت

المراكشي يقص نكبة بلاده الى العراق فيثور هـذا الأخير ويتوعد ويهيب بالمراكشي لم لا تثوروا لم لا تتمردوا ؟ ولقد رأيت الهندى يجلس الى المصرى يسأله ماذا يجب علينا أن نفعل . . وماذا فعلتم فى مصر . . ؟

ولقد تحدثت أنا بلسانكم وباسمكم الى المسلمين من جميع أقطار الأرض ان املأوا نفوسكم جرأة واعقدوا العزم وانصروا الله ينصركم وان ينصركم الله فلا غالب لـكم .

وثمة غاية اجتماعية أخرى توخاها الاسلام من الحج . ألا وهى تعويد المسلمين علي الجهاد ، فالاسلام كما قلت لـكم يحتم على كل مسلم أن يكون مجاهدا فى سبيل الله والحق ، الاسلام يحتم على المسلم أن يكون عزيزا قويا كما يكون الاسلام عزيزا قويا ، ولن يتأتي ذلك للمسلمين الا أن يكونوا شجعانا على أهبة دائمة للـكفاح والجهاد ، فشرع الحج ليكون فى أيام السلم جهادا لا قتال فيه وهكذا يبقى المسلمون دائما فى حالة جهاد فيخشاهم عدوهم ويرهبهم ، قالت السيدة عائشة لرسول الله مامعناه ان الرجال استأثروا بفضل الجهاد دون النساء فأجابها رسول الله صـلي الله عليه وسلم ان على النساء جهادا لا قتال فيه وهو الحج ، والحق أيها السادة ان الحج جهاد ، فالنفوس الضعيفة الخائرة لا تقوي عليه ، والنفوس الترفة المدللة لا تستطيع احتماله .

سافرت فماذا استفدت من هـذه الغايات الثلاثة ، وماذا فعل الله بايمانى وعقيدتى ؟

أما ايمانى فقد زاده الله قوة على قوة بما رأيت من توفيق عجيب فى كل

خطوة من خطواتى • وفى كل حركة من حركاتى • وبما شـاهدت من سريان روح مصر الفتاة فى الأقطار الشقيقة وفى بلاد المغرب • وبين الهنود • منذ وطأت أقدامى الـكوثر وأعنى بها باخرة مصر وبنك مصر. منذ وطأت أقدامي هذه الباخرة العروس التى تسير على وجه الماء باسم الله مجريها ومرساها• ترفع الراية المصرية • بل قل ترفع الـكرامة المصرية • بل قل تحقق حلم مصر الفتاة فى أن يكون لمصر اسطول يعيد اليها عزها ومجدها القديم ليس فقط فى عالم التجارة والمـال بل وفى عالم الدفاع العمومى وتحرير الوطن وكسر القيود وبلوغ المجد • • •

ماسارت الباخرة حتى بدأت أتعرف الى من فيها من الركاب ويتعرفون الى ، فاذا الجميع مابين مبايع للجهاد وما بين مناصر وما بين عاطف على مانبذله من جهود . لـكن الجميع يشتركون فى استعذاب جهادنا وفى التفاؤل بنتائجه القريبة . على ان ذلك لم يكن فى نظرى الا شيئا عاديا كثيرا ما صادفنى من قبل فى رحلاتى . ولـكن الجديد هم هؤلاء المراكشيون والهنود والتونسيون وغيرهم من المسلمين والعرب الذين كانوا يعرفون كل شيء عن الصرخة وعن مصر الفتاة . ويرون فيها الأمل المرجى لا لمصر فقط . ولـكن لـكل البلاد العربية والشرق . ومهما كان الانسان متفائلا وواثقا بالجهود فلم يدر بخلدى مطلقا ان جهودنا قد وصلت الى هذا الحد من التوفيق . وان صرختنا قد اسمعت كل هذه البلاد فوجدت فيها آذانا صاغية وقلوبا واعية • ماذا أقول لـكم وأنا لوقلت لما صدقتموني .

كيف أنقل لكم حديث المراكشيين عن مصر الفتاة ومكانتها فى بلاد المغرب . وكيف أحدثكم عن الصداقة التى نشأت بينى وبين كل هؤلاء الشبان المجاهدين .

حرارة الايمان

وقربت المركب من مقصدها وأعنى به البلاد المقدسة فحييناها بالاحرام.. والاحرام كما تعلمون هو التجرد من الثياب .. والاتشاح بوشاح من القماش الأبيض والاتزار بمئزر من القماش كذلك فى غير ماحياكة أوقيافة وما ذاك الا لأن الاسلام يريد اقامة المساواة بين المسلمين ·· يريد الاسلام أن يقف المسلمون هناك فوق الجبل بين يدى الله على قدم المساواة لافرق فيهم بين ملك وخادم لابل لافرق بل صينى ومصرى ·· لافرق بين من جاء من انجلترا ومن جاء من أحشاء جاوه ·· الجميع فى ملابسهم البيضاء لاتعرف منهم الاأنهم مسلمون مسلمون موحدون يقفون بين يدى الله متواضعين خاشعين · بعيدين عن زخارف الدنيا ومباهجها · بعيدين عن زينة الثياب وفخامتها · وانها لحكمة غالية ودرس خالد فى المساواة ليس فقط فى القدر والاعتبار · بل وفى الزى والشكل وهذا الذى كان فقد سارت الباخرة حتى الآن وفيها الباشوات وفيها كبار الضباط والموظفين والاغنياء وفيها البسطاء الفقراء ، وكنت تعرف هؤلاء وهؤلاء بملابسهم وحركاتهم . فهذا يرتدى الفرو الثمين وهذا يرتدى الحرير الفاخر أما هذا ففي لباسه الأزرق وطاقيته الصوف حتي اذا ما جاء الميقات . وأحرم الجميع اذا بكل من فى السفينة فى ثياب بيضاء بسيطة ·· ما أجمل المنظر وما أبهجه

وما أروعه ، لقد نسينا الباشا والبيه . ولم نعد نعرف الا حجاجا يلبون لله . ولا حديث لهم أو كلام الا هذه الأنشودة السماوية الطاهرة .

لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

أحرمنا اذن وتجردنا من الثياب الا قليلا . وهنا أريد أن أقف قليلا لأحدثكم على حرارة الايمان . حرارة الأيمان التى وقت النفوس من المرض ومن الألم . وهزأت بما اعتاده الناس من اصابتهم بالبرد والحمي والأوجاع لمجرد تعرضهم للهواء والبرد . كنا قبل الاحرام نرتدى ملابسنا التى خرجنا بها من مصر وكنا نرتدى الصوف طبقات فوق طبقات . ومنا من يخشى الهواء على كيانه . ومنا من يشكو الألم فى أمعائه وكبده . ومنا من يحتاج الى الدفء بل الحرارة . ومنا من أوصاه الطبيب بالاحتراس من الهواء . ومع ذلك فان هؤلاء جميعا تجردوا من ثيابهم فى عرض البحر . تجردوا من ثيابهم وارتدوا قطع القماش البيضاء . وكانت الريح قوية وكانت الرطوبة تملأ الجو اذا دخلنا فى جو رطب ومع ذلك فلم يصب فرد واحد من هؤلاء المترفين الأغنياء بأى ألم أو أذى . بل كانوا سعداء فى صحة وحيوية قوية وما ذلك الا لأن نفوسهم كانت تغلى بالايمان . ايمان بأنهم ضيوف الله . وأنه لن يصيبهم أذى أو ضرر لأن الله حافظهم وراعيهم حتى يعودوا الى بلادهم ولقد حفظهم الله وراعاهم جزاء لهم على ايمانهم . أما أنا فقد وقفت أشاهد هذه الآية فى نفسى لأنى أنا نفسى ممن يضرهم الهواء والبرد . أنا نفسى ممن يصابون بمغص حاد إذا ما تعرضت للهواء . ومع ذلك فما

أحسست بنفسي سليما احساسي بها وقتئذ ، بل وعلى الرغم من عناصر البرد حولنا كنت أشعر في نفسي بحرارة ولهيب ، هما لهيب الايمان وحرارته .

على أن هذا الذي حدثتكم عنه ليس إلا جزءا مما يراه الحاج ويتعرض له ويقيه منه الايمان . مثال ذلك مايحدث من تزاحم الناس وتكاثفهم حول الحرم وفي المسعى وفوق الجبل وفي منى مع ما عليه كثير منهم من القذارة والمرض فان ألوفا من الحجاج يخرجون من بلادهم وهي بعيدة وسحيقة ، قاصدين بيت الله الحرام سيراً على الاقدام فيسيرون شهرا وشهرين بل وأربعة وخمسة دون أن يقتاتوا إلا من خشاش الارض فتذبل أجسادهم وتمتلىء وسخا ومرضا .

وهم في طوافهم ومناسكهم يختلطون بالناس ويلمسون مايلمسه الناس ويقبلون مايقبله الناس . ويشربون مما يشرب منه الناس ، كل ذلك في تزاحم وتكاثر لو رآه طبيب بل انسان عادي لمات فزعا ورعبا وحسب ان الاوبئة التي يتحدثون عنها لابد منتشرة فما حقة الناس محقا وحاصدتهم حصدا . يالحكمة الله ومع ذلك فان الحجاج يسيرون جنبا الى جنب في سعادة وحبور لايشكون مرضا فحسب بل لايشعرون باشمئزاز أوسخط . لابل ان الجميع ليحدثونك كيف شفيت أمراضهم . كيف كانوا يتألمون فسكنت آلامهم . كيف كانوا يتوجعون فاحسوا بالراحة . أما الأوبئة أما الأمراض . فاين هي . لقد سحقها الايمان لقد طردها لقد سخر منها لأن الأمراض ليست الامن قبيل الماديات ، والايمان لون من ألوان الروح . وفي الصراع بين الروح والجسد لا يمكن الا أن تنتصر الروح ، ذلك ان الجسد من تراب أما الروح فهي من أمر الله ، أقسم لقد تعرضنا لمحن ومتاعب ما كان يتخيل الانسان أنه يلاقيها ، وانه اذ يلاقيها فلا بد ملاق حتفه ، ومع ذلك فقد

كنا نخرج منها دائما لا فى صحة فحسب بل وفى بشاشة وارتياح ، فطالما قلبت السيارات ونجا أصحابها ولطالما كان مقضيا علينا أن نبيت فى الصحراء بغير عطاء أو فراش وكنا اذ نستيقظ نجد اننا فى نشاط وحيوية غريبين ،

هذا هو الايمان ، هذا هو الايمان ياجنود مصر الفتاة الذى طالما حدثتكم عنه وأحدثكم عنه واحاول أن أملأ نفوسكم به ، هذا هو الايمان الذى يفعل كل شيء ويوقف كل شيء ويسوى كل شيء ، الايمان . الايمان . هو قوة الروح والروح هي كل شيء .

فى الطريق الى مكة

ولقد تعارفت فى الباخرة بعالم من فضلاء العلماء فتصاحبنا واتفقنا أن نسير سويا وكان ممن يعرف فضلاء الحجاز ، وعلماءهم ففى جدة أضافنا السيد محمد افندى نصيف عين أعيان الحجاز ، وفى بيته وجدت الصرخة وحدثنى ابنه السيد حسين نصيف عن تفاصيل ، ما كان يخطر فى بالى ان يعرفها أحد فى مصر بله الحجاز فقد كتبت مقالا فى كتاب صغير عن الحركة العمالية بعنوان الاضراب ولم أوقع عليه ولكنى أذكر ان الصرخة أشارت إلى ذلك فاذا بحسين افندى نصيف يحدثنى عن مقالى ويقدم لى الكتاب ويخبرنى اننى كاتبه . وسرنا الى بيت الله فى أحشاء الليل رافعين أصواتنا بالتلبية فكنت كلما اقتربت من مكة أحس من نفسى برغبة فى الاسراع وكنت أحس بمشاعر مختلفة تدور فى روحى ، وكنت فى نشوة وسعادة لا اتمالك نفسى معها من أن أحمد الله وأكرر له الحمد أن وفقني للسير على الأرض التى طالما سار عليها سيد الخلق صلوات الله عليه، احقا أنا مقدم على بيت الله حيث يستجيب الله الدعاء . وكان كل شيء يصيح بى

ان نعم انك فى الحجاز . وأنت فى الطريق إلى مكة وهذا هو كل شىء يدلك على ذلك ، هذه الملابس وهذه السيارة ، وهذه الرمال وهذه الجمال ، على أن ذلك كله ما كان يقنعنى ، لو لم تكن روحى تتحدث بأبلغ من ذلك كله ، فقد كانت فى نشوة وكانت تحلق فى عالم لست أحسب أنه من طبيعة هذه الأرض .

انتهينا من مناسكنا ونزلت فى ضيافة الشيخ عبدالظاهر ابو السمح امام الحرم المكي وخطيبه ومدير دار الحديث فى مكة ، وهو من علماء مصر الذين هاجروا الى البلاد المقدسة واستعان بهم ابن السعود فى اقرار الدين الصحيح ونشر العلم فى بلاد الحجاز ، حيث يندر العلم ويندر العلماء ، ولقد قام الشيخ عبدالظاهر بواجبه خير قيام مما يجعله مفخرة من مفاخر مصر ، وما يجعلنا نصرخ فى وجه هؤلاء الأغرار الذين يتشككون فى مصر ، انها ما كانت وما تزال وستبقى للابد منبع النور والعرفان لكل الشرق القريب والبعيد .

اللهم انصر مصر الفتاة

وكنا جلوسا عقب الصلاة فى مجلس عام فاذا بالشيخ عبدالظاهر يتحدث عن مجلة جاءته من مصر ولكنها أثرت فى نفسه تأثيرا كبيرا . لقد قرأ منها ثلاثين عددا فكان فى كل مرة يطالعها يذرف الدموع فرحا ان فشت مثل هذه الدعوة فى مصر . وكان يمتلىء بالحماسة ويغلى الدم فى عروقه . فقلت فى نفسى لعلها احدي المجلات الاسلامية فسألته عن اسمها فاذا به يقول

انها تدعى «الصرخة» وهى لسان حال جمعية تدعى مصر الفتاة . الله أكبر
لقد وجمت ووقف الكلام فى حلق بينما تطوع صاحبى بأن يقول له وهذا
هو احمد حسين صاحب الصرخة ومصر الفتاة ، ومنذ ذلك الوقت وقد
نشأت بينى وبين الشيخ صداقة ، بل قل عهد الجهاد فى سبيل الله والوطن .
كنا نتذاكر فى كل مساء ماذا يجب أن نفعل ، وكنت أصلى خلفه
مباشرة بين هذه الألوف التى اجتمعت من أقاصى الدنيا ، وفى الليل كنت
أجلس مع الجالسين نسمع الى درس الشيخ الكبير والذي كان يفيض حبا
بمصر ونقمة على الاستعمار والمستعمرين ، حتى اذ كنا وقوفا على عرفات
حيث يضج المسلمون بالدعاء ، وحيث يجيب الله الدعاء ، إذا كنا فى
عرفات وقد شارفت الشمس الزوال ووقفنا خلف الشيخ عبدالظاهر لندعو .
اذا بصوته يرتفع رنانا اللهم انصر احمد حسين ، اللهم انصر مصر الفتاة .
اللهم زد ابناءها ايمانا ، زدهم ثباتا وصبرا . اللهم رد كيد أعدائهم فى نحورهم
اللهم انصرهم على الانجليز . وعلى الأجانب . اما الذين معى فقد كانوا
يؤمنون على قول الشيخ الكبير ، أما أنا فقد طفرت الدموع من
عينى وسجدت لله شكرا لهذه الآية الكبرى والتى خرجت على فم
هذا الشيخ الكبير ، لم أكن أعرفه ولم يكن يعرفنى . لقد كانت معرفة
يوم أو يومين وها هو يدعو ليردد كل من يسمعه ، اللهم انصر مصر الفتاة .
احمدك يارب ، احمدك وأشكرك بل ما اعجزنى ، عن حمدك وشكرك .
سبحانك يارب جاءت قدرتك ومشيئتك ، ولقد كنت منذ الظهر أدعو
الله منفردا بمثل مادعا الشيخ ، فلما أن دعا الشيخ من تلقاء نفسه فى آخر
النهار أيقنت أن هذا بشير بسماع الله الدعاء

مع المسلمين من جميع أنحاء الارض

ولما أفضنا من عرفات بتنا ليلتنا فى مزدلفة وفى الصباح المبكر نزلنا الى منى وهناك يمكث المسلمون ثلاثة أيام ينعقد فيها المؤتمر العظيم ، مؤتمر المسلمين من جميع أنحاء الدنيا ولعمرى لن أنس ماحييت مناظر هذه المضارب التي لايكاد يدركها البصر ، لن أنس ماحييت هذا الطوفان من الناس والخيام ، ثلاثة أيام هي أيام العيد الثلاث لاعمل للناس فيها الا التزاور والتعارف والتآلف ، بل والتعاون ورسم الخطط ، ولقد كانت هذه الأيام الثلاث نصر لمصر الفتاة مابعده نصر ، فقد سمعت جميع الطوائف رسالة مصر الفتاة وأيدوها وتعاهدوا على العمل لنصرها وقد كان فخر البدء لاخواننا العراقيين ، ذلك ان العراق أوفد زهرة شبابه الى الحجاز هذا العام لتأدية فريضة الحج ، وهؤلاء لم تطأ أقدامهم أرض الحجاز حتى كان من أول غايتهم التعرف الى وسماع كل شيء عن مصر الفتاة ، ولقد دعيت الى مخيمهم فى اليوم الأول من أيام مني وهناك طلب الى التحدث عن مصر الفتاة ، ولم يكن الجمع قاصرا على العراقيين بل كان هناك عديد من الجنسيات الأخرى ، لقد تحدثت معهم ، حدثتهم كما أحدثكم الآن برسالة مصر الفتاة والتى تتلخص فى كلمتى : الجهاد والكفاح ، حدثتهم عن ضرورة التعاون بين الأمم الاسلامية بصفة عامة والامم العربية بصفة خاصة

ذلك الغرب بالرغم من قوته فانه يوحد صفوفه فى مهاجمتنا نحن الضعفاء ، يوحد صفوفه وخططه لتنظيم طريق القضاء على استقلالنا وكرامتنا ، فما أحرانا نحن الضعفاء المغلوبين على أمرنا ، ما أحرانا نحن الذين انتهكت حرياتنا وشعائرنا أن نوحد صفوفنا وأن ننظم خططنا ، فان جهادنا مقضى

عليه مابقينا ولا وحدة بيننا ولا تعاون، فان الثورة تقوم فى الهند فتخمدها انجلترا لأنها لاتقوم فى الهند بل فى جانب من الهند ، حتى اذا خمدت هذه الثورة قامت من ناحيــة أخرى فتخمدها من جديد ، فتقوم الثورة فى فلسطين ، وما أضعف فلسطين إذ تواجه انجلترا فلا تلبث الثورة أن تندحر فاذا ماقامت ثورة فى مصر بعد ذلك فانه مقضى عليها بالفشل

اذن فلا مناص من تنظيم الجهودفى الشرق العربى بأسره ليعمل بخطط مشتركة وبهذا فقط نستطيع الضغط على انجلترا . . وبهذا فقط نستطيع أن نحقق الوحدة المنشودة ، وليس كالحج فرصة ذهبية لتنظيم هــذه الجهود حيث يجتمع الزعماء من كل البلاد ليتعاونوا ويرسموا الخطط ، فهلموا نتعاون وهلموا نتآزر ، ولنستفد من هــذه الأيام التى جمعنا فيها الله ، وليكن بيننا موعد للعام القابل والذى يليــه ان نجتمع لنبحث قضايانا ولننظم الجهاد المشترك .

هذا ما حدثتهم به أيها الرفاق فضجت جنبات الوادى بندائكم الداوي ان : الله أكبر ، وبحياة مصر الفتاة .. وفى هذا المكان المقدس أقسم الجميع على التعاون والتآزر لخير العرب والاسلام ، وهكذا سرت دعوة مصر الفتاة وأصبحت أمانة كما قلت لكم فى اعناقنا للشرق والغرب العربى باسره . وللمسلمين قاطبة .

توفيق الله

ولم يكن هذا التوفيق هو كل شيء ، بل ان الله انعم على نعما أخرى لا أكاد أحصيها ليشد من عزمى وليثبت ايماني وليهديني سواء السبيل . فقد تقابلت وجلالة الملك بن السعود مرات ومرات كنت فيها دائما محل

عطفه وكرمه وأن أنس لاأنسى كلماته الذهبية لى ألا وهى أن نجاحكم فى مصر هو نجاح للعرب باسرها فان لديكم الأموال والرجال وأنتم بلاد العلم والمعارف فنحن نرقب تقدمكم بكل اغتباط وسعادة ، ونحن ننتظر الساعة التي نري فيها الدولة المصرية فى مقدمة دول العالم طراً لن أستطيع مهما طال بى المقام ان أصف لكم ضروب الحفاوة التى تفضل جلالته وأحاطنى بها فلقد دعانى لزيارة المدينة فى ضيافة الحكومة فكانت رحلة عظيمة لزيارة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولقد كنت أحسب اذ انتهيت من الحج انني صرت الى حالة روحية عظيمة فاذا بى فى طريقي الي المدينة احس بإعانى يتضاعف واذا بى كلما اقتربت من المدينة المنورة أزداد حنينا وهياما ، صدقونى انني وأنا فى المرحلة الأخيرة لدخول المدينة كنت أود لو استطعت أن أقبل كل ما يحيط حولى ، ان أقبل السماء وأن أقبل الجبال ، أقبل الرمال . وأن أقبل هذه الابل الجميلة ، والتى تسير فى هذا القطارالطويل تحمل فوق ظهرها الناس تلهو وتلعب وتنام ، بينا تنطلق هذه الابل جادة فى السير لا تشكو ، ولا تتململ ، لا تطلب ماء أو طعاما ، انها تسير فى صبر وأناة وتسير لتوصل الناس الى حيث يقصدون ، هناك ، هناك فقط أيها الزملاء ستعرفون معنى هذه الآيات الجميلة وتحسون روعتها « أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » ،أجل هناك ، هناك سترون السماء المرفوعة . وسترون الابل المخلوقة والجبال المنصوبة ، والأرض المسطوحة ، هناك ستشعرون انكم تتنشقون الهواء الذى تنشقه النبي ، وتشربون الماء الذى شرب منه . وتملأون أبصاركم بالمناظر التى ملأ بها ناظريه . أية سعادة .

ومن انى لى أن أعبر لـكم عما كان يخالجنى من الاحساسات . وكيف أصور لـكم دخولى الى المدينة ، ووقوفى فى حضرة المصطفى ، كيف أصور لـكم جلستى ، هناك فى الروضـة حيث يقول رسول الله « ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة » أني لاحتاج الساعات الطوال لأشرح لـكم ذلك كله ، وأذن فانى أمر عليه مرا سريعا وموعدى معكم صفحات جريدة وادى النيل .

غزوة بدر وأحد

ولطالما دعوت الله أن يلهمنى مايطمئننى على نتيجة جهادنا. وأن يشعرنى الانتصار الذى ينتظر مبادئنا وبرامجنا. حتى إذا كنت هناك. وكنت أشاهد آثار أحد وغزوة أحد وغزوة الخندق ، وكان لا يوجد حولى إلا القفار . فعدت بذاكرتى الى هذه الواقعة الأولى • واقعة بدر حيث كان المسلمون يتقاتلون بثلاثمائة رجل والمشركون بتسعماية فكان نيف وألف رجل هم مجموع الجيشين المتحاربين • فمن كان يتصور ساعتئذ • من كان يتخيل أن هـذه المعركة التى تدور بين هذا العدد الضئيل من الأقارب • ان هذه المعركة التى تدور فى جوف الصحراء • هذه المعركة التى لا يكاد يحس بها الأهل المجاورون • من كان يتخيل أن هذه المعركة الصغيرة كانت معركة فاصلة فى تاريخ البشرية بأسرها • معركة فاصلة بين الظلام والنور ، بين الـكفر والايمان • ومع ذلك فهذه هى غزوة بدر والتى خرج منها الاسلام ليحيي الى الأبد • وفى هـذا الوقت كانت جيوش قيصر تقاتل جيوش كسرى بالملايين من الجند ومع ذلك فلسنا نذكر أن معركة من المعارك كانت تؤثر فى حياة العالم كتأثير هذه المعركة الصغيرة معركة بدر • سبحانك يارب

جلت قدرتك . انها مشيئتك أن يبدأ الكفاح هكذا صغيراً ثم يكبر حتى يعم الدنيا بأسرها . ولقد أسعدنى هذا التفكير وهذا النظر بالنسبة لمصر الفتاة . فمصر الفتاة التى لا يتورع خصومها عن قذفها بكل ما يحقرها أو يهون شأنها . مصر الفتاة التى يحاولون خنقها فى المهد . ليست الا هذا الايمان بالله الذى ينمو وسينمو . حتى يملأ السهل والجبل . وستأتى هذه الساعة التى تصبح مصر الفتاة هى كل شىء . عندئذ يولى أعداؤها الأدبار وتدرك مصر حريتها ودستورها وتشرق من جديد كزعيمة للشرق وسيدة للعالم .

وحيث وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهزيمة الأحزاب . حيث يدعو ربه أن ينصره على هذه القوى التى تألبت عليه . صليت الى الله صلاة لا أظن انى صليت مثلها صلاة فى عمقها . حيث كانت روحى ساجدة لله تدعوه أن يؤيدنا وأن ينصرنا . بينا كانت ترن فى أذنى بل فى أعماق نفسي هذه الكلمات المأثورة عن رسول الله « لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده » فاللهم آتنا ماوعدتنا ولك علينا أن نقدم من أجلك كل شىء: نفوسنا وأرواحنا ودماءنا وأموالنا وأولادنا . انها قربان لك يارب . وفى سبيلك وفى سبيل الحق .

شواظ من نار

يرسلها الاستاذ أحمد حسين

على دولة نسيم باشا فى ابان سطوته

ما كاد الاستاذ احمد حسين يعود من الحجاز حتى نشط لعمل جرىء وصفحة رائعة من صحائف جهاد مصر الفتاة ... وذلك هو اصدار جريدة وادى النيل اليومية لتكون لسان حال لمصر الفتاة فى الاسكندرية ... وقد سافر الاستاذ الى الاسكندرية واتخذها مقرا له وبغير سابق تجربة وبغير رأس مال وبغير أعوان الا شباب مصر الفتاة : صدرت وادى النيل فى اثنى عشر صفحه ووالت صدورها فى قوة وثبات واستمرار مما راع خصوم الجمعية وحاروا فى تعليله .. وقد أرادت جمعية مصر الفتاة عقد اجتماع عام للاحتفال باصدار جريدة وادى النيل فى يوم الخميس ٢٣ مايو سنة ١٩٣٥ .

وأعدت الاجراءات اللازمة لعقد الاجتماع ولـكن وزارة الداخلية رفضت التصريح بعقد الاجتماع وحاصرت دار الجمعية ودار الجريدة ومنعت دخولهما لـكائن من كان وفى يوم الجمعة ٢٤ مايو سنة ١٩٣٥ صدرت جريدة وادى النيل وهى تحمل فى صدرها الخطاب التالى والذى لا يمكن التعبير عنه الا بأنه شواظ من نار ... وقدحمل فيه الاستاذ احمد حسين على نسيم باشا حملة شعواء وفضح سياسته وادعاءاته فى أنه سيعيد الدستور والحرية وقد تحقق كل ماجاء فى هذا الخطاب ولم تمض عليه ستة أشهر حتى انفجرت جموع الشباب فى ١٣ نوفمبر هذا الانفجار المشهور ضـد نسيم باشا والانجليز وقد تحقق فيما بعد ان نسيم باشا بسياسته الخرقاء سياسة التسليم والضعف كان السبب الأول والأخير فى كل ما أصاب مصر من تأخر فى عهده .

خطبة

الاستاذ احمد حسين
بمناسبة الاحتفال بوادى النيل
ومنع الحكومة له

الاضطهاد والايمان — كفاح الرسل — كفاح المصلحين — كفاح الامم المستعبدة — ايرلندة — بولندة — فرنسا — كفاح مصر الفتاة — هل نسى نسيم باشا مكافحته للثورة ؟ — نسيم باشا والدستور — نسيم باشا والاستقلال — نسيم باشا والمحكمة المختلطة — الوفد وتأييده للوزارة — الانجليز لاتريد الدستور — نداء للوفد — وادى النيل — خطتنا وبرنامجا الحرب القادمة — كلمة أخيرة

أيها السادة . .

محال أن يقهر الحق أو يغلب . . محال أن تطفأ الشمس أو تحجب . كذلك الايمان نار مشتعلة يزيدها الاضطهاد إضطراما ، وتزيدها المقاومة شدة ، سنة من سنن الله (ولن تجد لسنة الله تبديلا) . قلبوا صفحات التاريخ وحدثونى ماذا أجدى الظلم وماذا أجدى الاضطهاد فى مقاومة مبدأ من المبادىء الخالدة مبادىء الحرية والنور والعلم ، أى مصلح قاومه معاصروه ولم ينتصر فى نهاية الأمر . أى رسول لم ينكل به قومه وحاربوه فماذا أجدى عليهم الحرب . وماذا كانت النتيجة . نتيجة هذا التنكيل . ماذا

كانت نتيجة فرعون عند ما اندفع خلف موسى بجيشه وسحرته ليطفىء نور الله الواحد القهار ، لقد هزم وابتلعه اليم ، وشهد أن لا إله إلا الله . ماذا أفاد اليهود من مطاردتهم للمسيح حتى هموا بصلبه لولا أن رفعه الله من بين ظهرانيهم وبدل لهم بشخص آخر ، ماذا أفاد الرومان عند ما كانوا يقذفون بالمسيحيين الى السباع الجائعة والحيوانات المفترسة تفتك بأجسادهم هل أوقفوا سير المسيحيه أو أعاقوا نموها وانتشارها ، لمن كان النصر فى معركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقريش ، ألمحمد اليتيم الفقير الوحيد أم لقريش ذات العدد والعدة وذات العصبيات والحمية ، هل أخاف ابو جهل محمداً صلى الله عليه وسلم ، وهل أفزعه اضطهاد ابى لهب ، وعند ما نثرت عليه القاذورات . وعند ما تآمرت على قتله وتعاهدت فيما بينها على الفتك به واجتمعوا أمام داره لاغتياله ، لمن كان النصر فى نهاية الأمر ، وماذا كان أثر هذا الظلم وهذا الاضطهاد .. لا شىء .. لاشىء .. استغفر الله . بل كان له أثر وأى أثر ، كان له أثر هو أعظم الأثر ، كان أن زاد المؤمنين إيمانا وزاد المسلمين تشبثاً بدينهم واستماتة فى الدفاع عنه ، حتى إنتصر الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

كفاح أصحاب المبادىء والعقيدة

وهؤلاء الذين فى مرتبة أدنى من مراتب الرسل ، هؤلاء القادة والزعماء أصحاب المبادىء والعقائد ، أو لم يحاربوا ، أو لم يضطهدوا ، فلمن كان النصر فى النهاية ، لقد كان دائما فى جانب الحق والمبدأ والعقيدة ، هذه الدول التى كان مستعبدة بدول أشد منها بطشا . وأشد منها قوة وذخيرة . عندما

قامت تطالب باستقلالها وحريتها . أو لم تحصل على هذا الاستقلال وتلك الحرية فى نهاية الأمر ، رغم الألوف الذين أزهقت أرواحهم ، رغم الملايين الذين زج بهم فى السجن ، لقد استقلت ، لقد تحررت دائما هذه الدول التى تطلب الاستقلال بيقين وعزم

ايرلنده وبولنده

ماذا كان فى ايرلندة ، ماذا كان فى بولندة ، أى لون من ألوان الشدة لم تصطنعه انجلترا ضد ايرلنده ، او لم تضع لها المدافع فى الشوارع أو لم تكتسح عاصمة ايرلنده مرة ومرتين وأسالت الدماء مدراراً فى شوارع دبلن فماذا كانت النتيجة ، كانت النتيجة استقلال ايرلنده .

وبولنده . بولنده التى حاربتها ثلاث دول عظام ، بولنده التى مزقتها روسيا والنمسا وبروسيا ، التى تحالفت عليها الاعداء والمصائب والنوائب عندما طالبت بحريتها ، عند ما كافحت طوال مائة سنة بأسرها عندما كانت تندلع فيها نيران الثورة فترسل روسيا بجيوشها تحصد الأرواح حصداً وتقود الملايين الي مجاهل سيبريا ، ماذا أفاد ذلك كله ؛ لقد انتصرت بولندا وانتصر ايمان بولندا

وهى اليوم إحدي دول اوربا العظمى والتى يخشى الروس بأسها

وفى فرنسا هل استطاعت الملكية أن تحمى نفسها من الثورة ، هل استطاع الأشراف أن يوقفوا الروح الجديدة والتى كانت تنذرهم بالفناء . لقد كان الباستيل يبتلع كل من تحدثه نفسه بالحرية ، وكان الرصاص يذاب فى الأفواه والآذان . والنار تكوى الجباه والصدور . وكانت الطواحين

تهشم العظام ، فماذا فعلوا ،ماذا أنتجوا لمن كان النصر ، للروح الجديدة ، للمبدأ الجديد

فالحق : الحق لا يغلب . الحق لا يغلب فهو اسم من أسماء الله . وهو مشتق من ذات الله . فكيف به يغلب ويقهر . حاشا وكلا . ومعاذ الله .

كفاح مصر الفتاة

هؤلاء الأغرار الذين يقاومون مصر الفتاة . أهم الى هذا الحد جهلاء ، فلم يطالعوا كتابا واحدا من كتب التاريخ ،أهم الى هذا الحد عمى فلم ينظروا الى ما يحيط بهم فى مختلف الأمم . أهم الى هذا الحد صم فلا يسمعون هذه الدروس وهـذه العظات . أهم الى هذا الحد فى غفلة فلا يلتفتون لدوران الأفلاك وحوادث الدهور .

أى والله انهم لكذلك ، والا لما قاوموا مصر الفتاة ، ولما اضطهدوا والا لما حاولوا أن يبدأوا التجربة التى أثبتت الأيام فشلها واندحارها .

عند ما نفى الانجليز سعد زغلول ، أو لم يخلقوا الثورة المصرية وعندما كان الرصاص المسموم يجندل المئات أمام الأزهر ، وفى ميدان محمد على فى الاسكندرية ، أو لم يضاعف هذا فى لهيب الثورة :

هل نسى نسيم باشا مقاومته للثورة

وما لنا نذهب بعيدا . . ورئيس الوزارة الحالى بنفسه قد جرب هذا الاسلوب وقد أحس بأنه عقيم . . عند ما كان رئيسا للوزارة ابان الثورة

وكان يطلق أعوانه من أمثـال حيدر وشاهين يفتكون بالابرياء . ماذا كانت النتيجة ، ولمن كان النصر

ترى هل نسى دولة نسيم باشـا ذلك كله . وهو مايزال فى حاجة الى درس جديد ؟ مرحبا إذن . . وسيأخذ نسيم باشا الدرس الجديد .

نسيم باشا والدستور

يدعى نسيم باشا انه سيرد الدستور لمصر . هل يتفق هذا أيها السادة مع هذه الحـالة التى نعانيها الآن . . ها انا أخطبـكم من فوق منبر وادى النيل . . بينا كان يجب ان أخطبـكم وجها لوجه . . وعينا لو أن نسيم باشا سمح لنا ان نجتمع اذن لـكان بدأ خطابى هو الشكر والتقدير . . اذن لـكان بدأ خطابى . . تحية أبعثها لنسيم باشا . . أما اليوم . . فان بدأ خطابى هو شواظ من نار (اذا جاز ان أستعير هذا التعبير من الجندى المجهول) هو شواظ من نار أرسلها لتحيط بالوزارة ورئيسها .

يقول نسيم باشا انه سيرد الدستور ، انه الامين على الحريات . دعونى أسخر من هذه الدعوى ، دعونى أضحك وأغرق فى الضحك . لأن الامين على الحرية هو الذى أرسل خلفى وقبلى الى المحلة الـكبرى سيارتين من اللورى مكتظة بالجنود تحمل العصى والسياط ، لا لشىء الا لاننى فكرت ان أزور المحلة الـكبرى لافتش على مكتب الجريدة هناك .

يدعى نسيم باشا انه سيرد الدستور وأنه الامين على الحريات دعونى أسخر من هذه الدعوى وأضحك وأغرق فى الضحك لان نسيم باشا هذا هو الذى حرم علينا الاجتماع لنحتفل باصدار جريدة يعرفها جيدا ويعرف صوتها الداوى فى خدمة مصر والقضية المصرية منذ ربع قرن ونيف . .

جريدة وادى النيل يعرفها نسيم باشا ويعرف جهادها ومع ذلك فهو الذى يرفض اليوم أن يسمح لنا بالاجتماع اجتماعا عائليا صغيرا لنحتفل بها أهذا هو الذى سيرد الدستور ، أهذا هو الأمين على الحريات ، دعونى أضحك دعونى أضحك وأسرف فى الضحك .

نسيم باشا والاستقلال

يدعى نسيم باشا أنه الحريص على استقلال مصر وأنه الأمين على سيادة مصر ، فليحاسبنا ماذا فعل بهذا الاستقلال منذ ولى الحكم وماذا تم بسيادة الدولة على يده ، فليحاسبنا حفظه الله وأبقاه ومتعنا بنزاهته وعفته واخلاصه ، فليحاسبنا ونحن مستعدون أن نحنى الرأس اجلالا لعظمته وجهاده ، استلم الوزراة من وزير لم ينلنا على يده الا كل اضطهاد وتعذيب. حبسنا فى عهده وصودرت حريتنا ، واعتدى علينا ، ومع ذلك فلا نستطيع اليوم الا أن نعترف . أنه تمسك باستقلال الوزارة المصرية ولم يسمح لانجلترا أن تلقى له رغبات أو أوامر هـذا هو عبد الفتاح يحيى باشا ومن قبله صـدقى باشا . مهما قيل فيه فقد أرسل فى يوم ما بلاغا الى الانجليز يقول لهم أن ليس لهم الحق فى التدخـل فى شئون مصر الداخلية وأنها مستقلة فلا يسمح لهم بهذا التدخل . مهما قيل فى هـذا البلاغ وأنه كان موضوعا بالاتفاق مع دار المندوب الانجليزى . وأنه ليس إلا كلاما أجوف .

أجل أيها السادة مهما قيل فيه فانه مظهر حسن من مظاهر الاستقلال ، لست أحاول أن أدافع عن صدقى باشا وعن شخصيته ، وأرجوا أن تفهموا ، بدقة ، وجهة نظري أن الوزارتين اللتين لم تكونا من صميم الأمة . بل كانتا حربا على الأمة . حافظتا على مظاهر الاستقلال على أقل تقدير . فكم كان

بالأحرى واجب نسيم باشا وهو الذى ارتفع على أكتاف الشعب ، أن يكون موقفه من الانجليز قويا وأن يصول ويجول دفاعا عن الاستقلال ومظهرية الاستقلال

نسيم باشا والمحكمة المختلطة

وتولى نسيم باشا الحكم ، وفى الدولة مشاكل ،على رأسها مشكلة المحاكم المختلطة . . فماذا فعل فيها . . ماذا فعلت فيها الوزارة لترد لمصر كرامتها . . لا شيء . . لا شيء . . رغم أن الدول كلها . . قالت لها مالك لا تنقذين كرامتك ، وتقررين العربية كلغة رسمية حيث أن اللائحة تنص على ذلك . . لا ،فان هذه مسألة تتعلق بالكرامة المصرية والسيادة المصرية .. والكرامة المصرية والسيادة المصرية يمكن . . أن تنتظر . حتى تحل المطالب العليا مطالب الانجليز . . أسيادنا الانجليز . .

أشهد أنى أكاد أجن . . وأجن بالاكثر من هؤلاء الذين ما زالوا يؤيدون الوزارة ويولونها ثقتهم وتشجيعهم .

الوفد وتأييده للوزارة

اللهم اني لا أستطيع أن أفهم تأييدهم هذا رغم كل هذا الذى تأتيه الوزارة النسيمية . . الا أنه حرص على الحكم وكراسى الحكم بأى ثمن من الأثمان . . نسيم باشا هو القنطرة التى سيعبر عليها الوفد الى الحكم وبدون نسيم باشا لا يمكن أن يمهد الطريق لوصول الوفد الى الحكم . . اذن ليعمل نسيم باشا على هذه الغاية . . وليدفع ثمنا لذلك كل ما يطلب

منه . . حتى ولو كان هذا الثمن تفريطا فى استقلال مصر . . حتى ولو كان الثمن اعتداء على سيادة مصر . . حتى ولو كان الثمن تأجيل الدستور الى أجل غير مسمى . . واذا أجل الدستور فما الذى بقى للوفد إذن . . وما الذي ينتظره اذن . . أفهم أن يكون الوفد مهادنا للوزارة . . أفهم أن يكون للوفد ثقة فى شخصية نسيم باشا . . وان تكون هناك صداقة بين نسيم باشا ورئيس الوفد . . أفهم ذلك ولكن الذى لا أفهمه بل أستنكره هو هذا المبدأ الخطر . . وهو أنه مادام نسيم سيرد الدستور فيجب أن تترك له الحرية ليفعل كل شيء فى هذا السبيل وليدفع أى ثمن يريده الانجليز حتى ولو كان باهظا تتقاضاه انجلترا من كرامة مصر ومالية مصر . . أو لا يحس الوفد معى بخطورة هذا الثمن . . كلنا نحب الدستور . . كلنا نهفو لعودة الدستور . . ونحن من الطالبين بعودة دستور سنة ١٩٢٣ . . ولكنا نريد الدستور دون أن نخسر فى سبيله كل شيء . . دون أن نفقد استقلالنا وكرامتنا .

مبدأ خطر أيها السادة . . بل هو مقامرة خطرة ان نعطي الانجليز كل شيء لكى نأخذ الدستور .. اذ ماذا تكون النتيجة اذا نسى الانجليز وعودهم وتنكروا للدستور بعد أن يكونوا قد حصلوا على كل شيء . .

الانجليز لاتريد الدستور

ومالى أتحدث بصيغة الفرض .. وهذا هو الواقع فعلا .. وهذه هى الكارثة التى حلت على مصر فعلا . . فالانجليز اليوم لايريدون دستورا . . لايريدون دستورا بل يريدون حكما مباشرا وطاعة عمياء .. وتركيز السلطة

والسيادة والتشريع وكل مظاهر الحكم فى يد المندوب البريطانى حتى يصبح حاكما بأمره ، كحكام الهند أو خط الاستواء ،

وكيف يقع الساسة المصريون فى الغفلة وينتظرون من انجلترا دستورا ، كيف يخيل إليهم أن انجلترا حريصة على حريتهم وارضائهم ، فتعيد لهم الدستور ، وتعيد الوفد الى الحكم ،

أجل أسائل نفسى ، كيف ينخدع بعض الساسة المصريين حتى اليوم بهذه الترهات والآمال الفارغة ، سيقولون أو لم تعط انجلترا الدستور لمصر فى تصريح ٢٨ فبراير ، فلم لا تعطيه مرة ثانية ، ولكن أيها البسطاء السذج ، لقد أعطتكم انجلترا الدستور فى تصريح ٢٨ فبراير لأنكم كنتم تطالبون بكل شىء ، كنتم تطالبون بالاستقلال التام لمصر والسودان أو الموت الزؤام ، فرمت لكم الدستور لتشغلكم به ولتحطم وحدتكم عليه ، فكان الدستور وكان لانجلترا ما أرادت ، فتحللت معنويتكم وذهبت ريح جهادكم ، وامتلأتم بالزهو والشغف بالحكم والمناصب ،

أما اليوم بعد أن تمزقت أوصالكم ، بعد أن تضعضعت قوانا وامتلأت قلوبنا بالشك والتشاؤم والجبن والضعف ، لم لا يسترد الانجليز الدستور ، لم لا يستردونه ويستردون كل مظهر من مظاهر الاستقلال ، لم لا يعودون للحكم من جديد ، ما داموا يجدون وزراء يقبلون منهم هذا التحكم ، ويرون الوفد يؤيدهم بثمن بخس ، وهو الأمل بعودة الدستور ، أو ليس من المضحك أيها السادة أن يكون جهاد نسيم باشا فى هذه الأيام ، لا يدور حول اعادة الدستور ، لا ، فان هذا الرجل متواضع ولا يرتفع الى هذا الطلب ،

كل الذى يطلبه ، أن يسمح له المندوب البريطانى باصدار بلاغ يعد فيه الأمة بقرب عودة الدستور ومع ذلك فان المندوب يرفض .

يالسخرية الأقدار ، اذاً لم يعد الدستور هو البضاعة التى يساوم عليها الانجليز ، لا بل أصبح الوعد بالدستور هو البضاعة التى يبيعها الانجليز ويشتريها المصريون ، سامح الله الانجليز ، وماذا عليهم لو أرضوا الرجلين وسمحوا لنسيم باشا باصدار البيان ، فيملأ البلد آمالا ووهما لمدة ستة أو سبعة أشهر أن سيعود بعدها الدستور ، حتى اذا جاء ميعاد الدستور ، أسقطوا وزارة نسيم باشا وجاءوا بوزارة أخرى لا تعرف شيئا عن الدستور ثم تعد الأمة من جديد بدستور منتظر بعد أن تسلخ فى الحكم عاما أو عامين ،

ماذا ضرهم ،سامح الله الانجليز ، لو استغلوا أحلام هذه الأمة فساقوا لها الوعد خلف الوعد حتى تكل وتمل وتلين ، ترى أيخشى الانجليز أن ينكثوا بالعهد ، ولكن متى حافظوا على عهودهم ، ومتى كانوا يعرفون معنى لتنفيذ التعهدات ، وقد أقسموا بالشرف نيف وستين مرة أن يغادروا مصر ، وكلما طولبوا بتنفيذ الوعد ساقوا وعدا جديدا

واليوم وقد كسبوا الاحتلال نهائيا ، ولم يعد فى مصر بأسرها من يطالبهم الجلاء ، اللهم إلا جمعية مصر الفتاة وهذه جماعة كما يرى الانجليز هين شأنها فى الوقت الحاضر

اليوم وقد حقرت المطالب الوطنية وانكمشت ، ماذا على الانجليز لو نقلوا ميدان الوعود الى الدستور ، يؤجلونه من عام الى عام ، لا ولكن

انجلترا الجبارة لم تعد ترى فى الشعب المصرى ما يستحق حتى أنها تضحك عليه وأن تضيع وقتا فى العبث به ، بارك الله فى نسيم باشا ، وبارك الله فى النحاس باشا ، وما وصلت اليه مصر على أيديهما

نداء للوفد

أننى أبعث بنداء حار من أعماق قلبى . للوفد ولزعيمه ، لقد عشتم طوال عشرة سنوات علماً على الكفاح . فلا تهنوا ولا تلينوا . ان كان ولا مناص من مصانعة الانجليز والانخداع بوعودهم فاتركوا ذلك للوزارة ، اتركوا ذلك للوزارة ، أما أنتم ، فالى الصفوف من جديد ، ، وآمنوا بانه لادستور واحتلال ، فليكن كفاحكم هذه المرة لاللدستور فقط بل للدستور والاستقلال والسودان، أثيروها على الأنجليز حرباً شعواءلا تبقى ولا تذر ، حرباً معنوية ، فى خطبكم وصحفكم ، تعالوا ننظم مقاطعتهم ، تعالوا نكافح تعالوا نكافح ،

ووالله لو فعلتم ذلك لعادت القلوب تمجدكم من جديد ، والتفت الأمة حولكم من جديد اما ان واصلتم هذه السياسة التى تسيرون عليها ، سياسة المداورة والملاينة والانخداع للانجليز فاني أنذركم أن الامةستنصرف عنكم ، الامة التى هتفت باسمائكم بالأمس ، ستهتف باسماءأخرى ، لأن الأمة لاتخدع والأمة لا تعرف السياسة ، والشعب يريد الكفاح

وادى النيل

وبعد أيها السادة : صفينا حسابنا مع الوزارة والوفد، صفينا حسابنا مع

الظلم والاستبداد فلنعد الى موضوع احتفالنا ولنحدثكم عن مصر الفتاة وخطتها وآمالها .

لعلكم اقتنعتم من هذا العرض البسيط الذي استعرضناه الآن عن موقف رجال السياسة فى مصر انهم أفلسوا وعما قريب يعلنون افلاسهم - ولكننا لسنا فى حاجة الى انتظار هذه الساعة التى يعلنون فيها افلاسهم . . ذلك انا نحس هذا الافلاس من الآن ونلمسه . . . لا بل نحس هذا الافلاس منذ عامين عند ما نادينا بمصر الفتاة ، لقد كنا نناصر الاحزاب المختلفة ، وفجأة اكتشفنا أنه لا يوجد حزب واحد فى مصر له من مبادئه ، أو من رجاله ما يمكن أن يحقق لمصر استقلالها وحريتها المنشودة ، فقد تراموا جميعا على الحكم وأصبحوا عبيده ومحاسيبه . . ومردوا على النفاق والخيانة والاستهانة بارادة الامة . . واعتز فريق منهم بنفسه فركب رأسه وراح يضع نفسه فى موضع الألوهية فلا يناقش ولا يحاسب ولا يراجع والا فالويل والثبور وعظائم الأمور . . ووسط ذلك كله كان كل شيء يتدهور فى مصر كرامتها . . شخصيتها . . اخلاق بنيها وروحهم المعنوية . . حتى وصلنا الى درجة الانحطاط فى كل ميدان . . وعدنا الى الوراء عشرات الاعوام ، فكان لا مناص من حركة جديدة تخرج من أعماق الشباب مخلصة بريئة طاهرة لم تتلوث بعد بالسياسة الانجليزية ، وليس لها مطمع فى الحكم أو مغنم تصبو اليه فيتلف عليها جهادها . . كما تكافح من جديد وباسلوب الكفاح الحق . . لكي تندفع الى الأمام غير هيابة ولا وجلة تطالب فى غير ما هوادة أو لين أو تعقل باستقلال مصر ومجد مصر ، لا يفزعها سجن أو موت ، وترحب بكل اضطهاد وعذاب وتشريد .

وهذه هى جماعة مصر الفتاة . . خرجنا الى الحياة منذ عامين فتوالت علينا الأحن والويلات ، ولـكنها مرت بنا دون أن تترك بنا أثرا ، أو تفل من عزائمنا .

ولقد حاربنا الانجليز عن طريق كوين بويد واضرابه . . وحاربتنا الوزارة التى آذاها أن ترى شبابا متطرفا ينقدها فى غير رحمة . . ولقد كان أمر الانجليز والحـكومة هينا . . وسـيبقى هينا دائما أبداً . . ذلك أنه لايتطلب منا الا أن نحتمل الاضطهاد والعذاب . . ونحن قد وطدنا العزم على ذلك

على أن مصر الفتاة قد قوبلت باضطهاد أقوى وأعظم . . وذلك هو اضطهاد الاغلبية وقذفها بالتهم الباطلة واحدة خلف أخرى . . قالوا عنا تارة أننا صنائع الانجليز ، ثم صنائع الحزب الوطني .. ثم صنائع الابراشى باشا

ولقد مضينا فى طريقنا لا نلوى على هذه السخافات والتى كانت تتلاشى واحدة بعد الأخرى ، حتى كان سقوط الابراشى باشا ، فسقطت آخر هذه الدعاوى الى غير عودة .. وها نحن أولاء وقد فهمتنا الأمة وقدفهمت جهادنا ، ننزل الى الميدان بجريدة هي مفخرة الجرائد المصرية الصميمة فلقد أسسها صاحبها منذ سبع وعشرين سنة بمشورة مصطفى باشا كامل وظل يعمل على رأسها طوال هذا العمر الطويل فى جد ونشاط ، وجاءت أيام كانت وادى النيل هى الجريدة التى كان يقرأها كل مصرى . . وفى الوقت الذى كانت الجرائد تصدر فى صفحتين اثنتين . . كانت هى تصدر فى ثمانى صفحات وكانت تصدر مرتين فى اليوم الواحد . . أقص عليكم ذلك لتعرفوا أن جريدة وادى النيل علما من أعلام الصحافة فى مصر واذا كانت قد ركدت

ريحها فى المدة الاخيرة فما ذلك الا لأن الاستاذ الـكلزة شفاه الله وعافاه . .
أصابته بعض الأمراض التى جملته وقد بلغ هذه السن التى وصل اليهاغير
قادر على مواصلة الـكفاح . . فى قوة ونشاط . . فاذا تقدمت مصر الفتاة
لتتخذ من وادي النيل لسان حال لها . . اذا نزلت مصر الفتاة وفى قلبها
ايمانها . وفى يمينها وادى النيل فان هذا هو عصر جديد من عصور
مصر الحديثة بل هو فجر يشرق على الظلمات التى سربلت مصر سربالا . .
فحق لنا أن نبتهج وأن نحتفل وأن نتخذ من أول مايو عيدا عظيما نحتفل به
فى كل عام مرة . . لأنه من أيام مصر البيضاء .

خطتنا و برنامجنا

بقى أن تتساءلوا : وما هى الخطة وما هو البرنامج . . أما خطتنا فطالما
كررتها فى خطبي ومقالاتي . . وهى اعادة الروح . . نريد أن نعيد الروح
الى الشباب المصرى . . فيمتلىء ايمانا وعزما ، ويقدس الرجولة والاخلاق
ويعد من نفسه فارسا مقداما .. نريد أن ننشىء الجيل الجديد واثقا بنفسه
معتزا ببلاده فخورا بتاريخه ، نريد أن نملأ النفوس جرأة وشجاعة وتضحية

الحرب العالمية القادمة

ونريد أن نهيىء أنفسنا للحرب العـالمية القادمة . . لأنها هى . .
المخلص . . وهى المنقذ ، لا أمل لنا فى الاســتقلال أو التخلص من يد
الانجليز الا فى الحرب القادمة فيجب أن نتهيأ لها منذ الآن وأن نستعد كى
لا نؤخذ على غرة ، ولـكي نقوم بواجبنا فى الساعة المناسبة ، لطالما قلت
لـكم ما أقوله اليوم . . وهو أنا لن نحصل على استقلالنا بمنحة من الانجليز
أو بدهاء نسيم باشا ، أو مصانعة النحاس باشا لهم ، لن نحصل على شيء

بهذا الاسلوب ، ومن السفه بل من الجنون التعويل على هذه الخطة ، سنحصل على استقلالنا عند ما نصبح قادرين على أخذه عنوة ، وسنحصل على حريتنا عند ما نستطيع أن ندفع ثمنها .

واذا كان لا مناص من انتزاع الاستقلال بالقوة كما يعلمنا الله فى كتابه العزيز بقوله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل »

فالفرصة ستتاح لنا فى الحرب القادمة والتى ستقع من غير شك ، أجل ستندلع نيران الحرب مافى ذلك شك أيها السادة ، وان كان هناك ما يمكن أن يكون محلا للخلاف فهو موعد حصولها ، أهو بعد ثلاثة أعوام أم خمسة أم عشرة ، أجل قد يختلف المختلفان فى تحديد التاريخ أما فى أنها ستقع ، فقد أصبح ذلك حتما لا شك ، فيه فان أوربا قد اندفعت نحو التسليح بدون قيد أو شرط ، قد اندفعت نحو التسليح وابتكار المدمرات والمخربات ، ، وغدا عند ما ترى كل دولة نفسها وقد تدججت بالسلاح وأنها من القوة والمناعة بحيث تحطم جاراتها .. غدا عند ما يمتلىء كل شعب بالزهو والخيلاء ، ورغب فى الفتح والاستعمار والثأر

غدا ستقع الواقعة . فتشتعل النار التى ستلتهم أوربا بأسرها ، وذلك من رحمة الله ومن نعمته ، لكى يتحرر الشرق ولكى ينهض ولكى تحطم هذه المدنية القذرة الدنسة ، مدنية الذهب والحديد والمادة ، مدنية الفسق والدعارة والالحاد ، وحتى تحق كلمة الله سبحانه وتعالى

« حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون »

أجل فقد طغى الأوربيون وبغوا وحسبوا أنفسهم أنصاف آلهة . .

وعبدوا عقولهم وعبدوا شهواتهم وأعمتهم مخترعاتهم ، فظنوا أنهم قادرون على الأرض والسماء ، وغدا سيجيئهم أمر الله فى هذه الحرب ،فعلى الشرق بصفة عامة وعلى مصر بصفة خاصة أن تتربص لهذه الحرب وأن تعد نفسها لهـا ، اما أن تترك انجلترا لمصر حريتها كاملة واستقلالهـا غير منقوص ، وتسحب جيوشها وتجلو عن مصر ، وعندها نقف الى جانبها موقف الحليف من الحليف ، واما أن نناضل عن حريتنا باعلان الحرب على انجلترا ، ونكافح كفاح المستميت فاما موت وفناء فى ظل الشرف والكرامة واما انتصار يعيد الى البلاد حريتها ومجدها

كلمة اخيرة

فمهمتنا أن نعد جيلا جديدا وأن نهيىء النفوس والشعب للحرب القادمة فاذا انتصرنا فان لنا برنامجا واسع النطاق ينفذ فى عشر سنوات ومن شأنه أن يبعث كل مجد مصر الماضي وأن يخلق منها دولة شامخة تتألف من مصر والسودان وتحالف الدول العربية وتتزعم الاسلام ، برنامج يقضى على الأمية ويقضي على الاستعباد الاقتصادى ويبعث روح النبوغ والعبقرية فى العلوم والفنون والآداب ويملأ مصر نورا من جديد لتضىء على العالمين ولتحمل لواء السلام والايمان

هذه خطتنا وهذا برنامجنا وتلك آمالنا

نتحدث بها اليكم مجددين العزم والميثاق من جديد أن نكافح من أجل تحقيقها وأن نموت فى سبيلها غير راجين جزاءاً أو شكورا من مخلوق بل رضا وحبا من الله وعلى بركة الله نسير وباسم الله نبتدىء الكفاح وبعون الله نجابه الشدائد والصعاب والله يوفقنا والله يهدينا سواء السبيل والمجد لمصر

فى مفترق الطريق

وقفة وتساؤل ..؟!

واصل الأستاذ احمد حسين اصدار جريدة وادى النيل فى صبر وثبات على الرغم مما يحتاجه اصدار جريدة يومية من رؤوس أموال طائلة لم يكن يملك منها قليلا أو كثير ولكنه ايمان يعمر به القلب وعون من الله وتأييده .. وقد صدرت وادى النيل أول ماصدرت فى أول مايو وظلت تواصل صدورها وسط ظروف قاسية اضطرت الأستاذ احمد حسين أن يقف قليلا فى يوم الأربعاء ١٩ يونيه سنة ١٩٣٥ وأن يتساءل فى عدد جريدة وادى النيل الصادر فى ذلك اليوم بنمرة ٧٦٤٢ « هل يجب أن نراجع وسائل كفاحنا ..؟ فانى أخشى أن يكون قد أصابها الافلاس أو أنها صارت عقيمة » ذلك أن الجريدة كانت تطبع كيما يتلقفها متعهدوا توزيع الجرائد ليقذفوا بها فى أعماق مخازنهم حتى اذا انقضى عليها أسبوع أعادوها الى الادارة لم يبع منها عدد واحد ولقد كانت الجريدة تتكلف فى اليوم الواحد عشرة جنيهات فلا تباع الابجنيه واحد .. فلا عجب أن عجز الأستاذ احمد حسين عن متابعة الجهاد المالى والذى لا يملك أسبابه فكان المقال التالى هو اخر عهده بجريدة وادى النيل

ولن نذكر جريدة وادى النيل الا وسوف نذكر معها هذا المجهود المضنى الذى قام به الأستاذ فى اخراجها .. فقد كان يواصل الليل بالنهار فى العمل كاتبا ومصححا وجامعا الحروف ومحاسبا العمال .. فهو تارة الرجل الفنى الذى يشرف على تنظيم الجريدة .. وهو من يجب عليه أن يكتب لها فى كل يوم بضعة مقالات وأن يجمع موادها .. وهو المضطر الى الاشتراك فى تصحيحها .. وعليه فى اخر النهار أن يحاسب العمال وأن يقدم أجورهم وأن يشرف على شراء الفاز والحبر والدوبار والورق .. كم من الليالى مرت عليه لم يخلع فيها حذاءه ولم يغمض جفنـاه .. وهو وسط ذلك كله يصوم أياما متصلة ليستعين بالصوم على هذه المشاق المادية .. حتى اذا جاء الصباح فى كل يوم رأى أكداس الجريدة المطبوعة وهى تعود الى المخزن وهى كما هى لم تقع عليها عين ولم يتصفحها انسان

تلك كانت أيام عاصفة ومخيفة .. ولعل المراره التى تتجلى بين سطور المقال الآتى تصور نفسية الأستاذ فى هـذه الايام .. وغدا عندما يوارى الموت رئيس مصر الفتاة وقادتها ستعرف الأجيال القادمة مقدار هذا الجهد الذى بذله هذا النفر من الشباب من أجل احياء مصر وبعث مجدها القديم وتكوين أمبراطوريتها

يجب أن نراجع[1] وسائل كفاحنا

فإلى أمتي أن يكون قد أصابها الافلاس أو أنها صارت عقيمة

لم تعرف مصر حتى اليوم من أساليب الكفاح الا الخطب والاجتماعات والصحافة والا أن تجمع الجموع ، حيث يصفق الناس أو يستنكرون والا أن ترسل البرقيات تحمل الاحتجاج أو التأييد ، واذا كان العصر من عصور الحرية . فان الكفاح يأخذ شكلا (عنيفا وقويا) ، فتسير الجموع فى الطرقات صاخبة داوية تهتف لزيد وتناصر عبيد .

وتظل سائرة كالبحر الزاخر حتى تصطدم بالبوليس ، أو تشم رائحة البوليس فتتفرق وتفور ، وتذوب فى الهواء ، وهذه هى كل أساليبنا .

ومنذ اللحظة التى كرست فيها حياتى للكفاح من أجل مصر ومجدها منذ اللحظة التى اتخذت لنفسى برنامجا أن أعيد الروح الى المصريين فابذر الأمل محل اليأس وأملأ الشباب قوة وعزما وايمانا ، بدل هذا الضعف وهذا الاستخذاء وهذا التخنث ، منذ اللحظة التى اجتمعت فيها مع اخوانى الأطهار الأمجاد وتعاهدنا ، على الكفاح المستمر الذى لا يعرف هوادة ولا لينا ، لا يعرف حكمة أو تعقلا الا خلاص الوطن من ربقة الاستعباد وبعث ماضيه المجيد ، منذ هذه اللحظات وأنا أتقصى الوسائل ، وأبحث عن الوسائط التى تحقق لنا غايتنا وبرنامجنا .

---

(١) كأن هذه المقالة التى كتبت فى هذا التاريخ القديم هى المذكرة التفسيرية لرحلة الاستاذ الى الصعيد فقد انتهى فى آخرها الى ضرورة الاتصال بالفلاحين فى بلادهم وقراهم وهذا هو مانفذه بعد عام واحد بسيره على الأقدام مخترقا الصعيد فى ثلاثة شهور .

ولقد آمنت مذ آمنت بأن هناك وسيلة واحدة هى كل شىء فى حساب الكفاح وانها الثمن للحصول على أى غاية من الغايات وتلك هى الايمان ..
ايمان بالله عظيم ، وايمان بالوطن وحقوقه وقداسته ، وثقة بالنفس وقدرتها على تحقيق عظائم الأمور ، فالايمان هو كل شىء ، هو سر الحياة ولبها هو الذى يحركنا وهو الذى يوقفنا وهو الذى يمرضنا وهو الذى يشفينا وهو الذى يمنحنا السعادة والشقاء وليس فى تاريخ العالم والمجتمع ، والبشرية بل ليس فى كتب الله السماوية ، بل ليس فى صفحة من صفحات القرآن الاحديث عن الايمان وقوته فالذين آمنوا وعملوا الصالحات هم دائما الفائزون ، هم دائما المنصورون هم دائما الزعماء والقادة ، والعلماء ، وهم ، هم أسياد البشرية وأنوارها

ولقد جاءت أقصر سورة فى القرآن وأجمعها ، لمحور الحياة الانسانية ، جاء فى هذه السورة هذه الآيات «والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »

فالانسانية فى خسران مبين مالم تؤمن ، وتشفع ايمانها بالعمل الصالح تلك هى سنة الله والتى لن تجد لها تبديلا .

ومن هنا كانت وسائل مصر الفتاة التي سجلها برنامجنا الأول ، هما هاتان الكلمتان (الايمان — العمل)

الايمان ثم العمل همـا وسائل مصر الفتـاة وهما من قبل وسائل كل مجاهد وكل مصلح وسيظلون الى الأبد الأسلحة الخالدة البتارة والتى تحقق كل شىء وتفتح الأرض فاذا فتحت الأرض ، فقد بقيت كواكب السماء وأبراجها ليفتحها الايمان والعمل ايضا .

فاذا عرفنا ذلك فلا تحسبن أن المهمـة قد أصبحت سهلة أو أنها قد صارت هينة لينة .

لا وربي . فان نقل الأيمان الى النفوس هو فى ذاته عمل وأي عمل .
وهو فى ذاته يحتاج الى الوسائل . ويحتاج الى الأسباب .

أما نحن ، نحن دعاة مصر الفتاة فمؤمنون كل الايمان، بغايتنا وبرنامجنا مؤمنون بالله ، وبمصر ، ومؤمنون بأنفسنا فى نهاية الأمر ، واذن فقد بقى أن ننقل هذا الايمان الى مجموع الأمة ، بقى أن نملأ بهذا الايمان كل قلب وأن نسكبه فى كل روح ، وأن نمزجه بكل دم ، فما هو الطريق الى ذلك ،

فكرنا فى الصحافة ، وفكرنا فى الخطابة وفكرنا فى الاجتماعات ، فاخرجنا مجلة داوية وأتبعناها ، بهذه الجريدة العتيدة ، ووزعنا عشرات الألوف من المنشورات والنداءات والمبادىء ،

واعتلينا المنابر العامة عندما سمح لنا بذلك وخطبنا فى الألوف من الشباب،

وسمعنا صرخاتهم الصادرة من الأعماق ان المجد لمصر ، ولما أن حالت القوة بيننا وبين الاجتماعات الخاصة ، فكنا نتحدث الى العشرة والعشرين وكنا ننتقل من حى الى حى ، ونتحدث فى كل مسجد وفى كل مصنع فما هي النتائج التى حصلنا عليها حتى اليوم ، وهل أجدت هذه الوسائل فنواصلها أم أعلنت افلاسها وقصورها ، واذن فقد وجب أن نبحث عن بدايتها وعن وسائل أشد مفعولا منها

لقد أظهرت لى هذه الفترة القصيرة أن كل ماتفعله الخطب كل ماتفعله الصحافة فى مصر ، كل ما تفعله الاجتماعات لا يعدو أثره فريقا ضئيلا من المصريين وأعنى بهم المتعلمين وقراء الجرائد وأنصاف المتعلمين وجماعة الموظفين والطلاب وسكان القاهرة والاسكندرية على العموم ، وهؤلاء لا يؤلفون من الأمة الا جزءا من خمسة عشر جزءا ، وأى جزء هذا الذى يؤلفونه انه الجزء الذى أصابه الفساد وأتلفته الدنيا انه الجزء المقضى عليه بالاعدام

والذى لا مناص لمصر ، من بتره ان أرادت الحياة أو الارتقاء ،

هذا الجزء هذا الذى نخطب فيه ونكتب له ونتحدث واياه انه الجزء الذى أعمته الشهوات وامتلأ بالغرور ودنسته المطامع وعبد المرأة والمال والوظيفة ، انه الجزء الذى اشتهر بكل شيء فنسى الشرق ونسى الكرامة وجهل الحرية ،

انه الجزء الذى روضته الانكليز على عبوديتها ورهبتها ، انه الجزء الذى يتألف من بعض الوزراء والساسة والقادة ، وزعانف الأحزاب ومحاسيب الكبراء ، ومخنثى الشباب والفتيات . أنه الجزء الذى خسر كل ما هو جليل ورائع فى النفس وارتمى فى أحضان المقاهى . وأحضان الخمر وأحضان القمار . انه الجزء الذي يمثل فى تاريخ الاسلام قريش ، وفى تاريخ المسيحية الفرنسيين من اليهود أنه الجزء الذى هاجر منهم كل رسول وكل نبي لأنه لم يلق منهم الا كل كنود وجحود ، انه الجزء الذى يضع أصابعه فى آذانه ، ويغمض عينيه ويتجاهل الرشاد ، أنهم الشيوخ الذين انطفأت أبصارهم وقلوبهم وجمدت أرواحهم فلم يعودوا صالحين الا للمأكل والمشرب والمنادمة . .

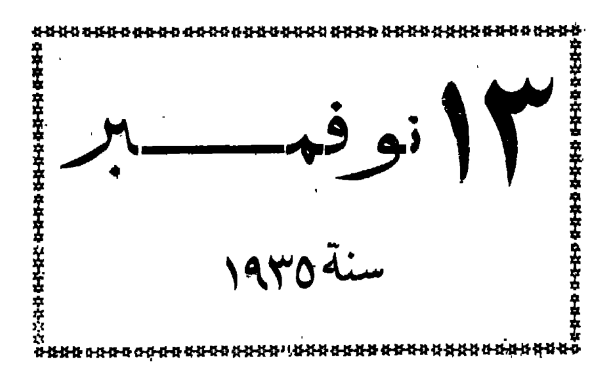
هذا هو الجزء الذى نخطب له ، ونكتب له ، هذا هو الجزء الذى نصدر صحافتنا ليقرأها وهكذا لم نستطع حتى الآن أن نؤثر عليه أو نقوده ، لأنه قد ضل الطريق الى غير رجعة فى الوقت الحاضر أو لست ترى كيف تهدد البلد فى استقلالها وكرامتها وسيادتها ، أولست ترى كيف أن الحماية ستعلن على مصر ، والرأى العام فى القاهرة والاسكندرية ، ما زالت تغص به السينمات والملاهي ، وما زال الشاطىء يغص بعراياه من الجنسين ، أو لست ترى الوفد يمالىء الوزارة ، وفريق من الناس راض ويسمون هذا

هو الوطنية انه عنصر انقلاب الاوضاع ، انه الافلاس الروحى والخلق ، ولـكن مصر بأسرها ما زالت بعيدة عن أن تسمع صوتنا وصوت غيرنا مصر بأسرها لا تعرف دستورا ، ولاتعرف استقلالا .. ولا تعرف وفدا ، ولا تعرف سياسة ، مصر باسرها تـكد من أجل القوت فتحصل عليه بشق الأنفس ، وليس هناك من يحدثها وليس هناك من يحبها أو يعطف عليها صحافتنا لا تصل اليها مع أن مافيها لم يكتب الا لهم . . خطبنا لايسمعونها مع أنها لا تقال الا لهم .. أحاديثنا لاتنفذ اليهم ، مع أنه لن يفهمها الا هم ، لأنهم الاطهار الأبرياء الذين مازالوا على الفطرة والذين يهزهم الايمان ، وتحركهم العقيدة . .

ميداننا فى الريف اذن ، ورسالتنا للثلاثة عشر مليون فلاح لن يسمعها الا هم . .

واذن فعلينا أن نبحث عن الوسائل التى توصلنا اليهم وتقربنا لهم علينا أن نبحث عن الاسلوب الذى يخاطبون به وليست الاجتماعات ، وليست المقالات بالاسلوب المنشود ، ولـكنها الروح والـكفاح الروحى المجرد من كل مادة والمجرد من كل مظهر ، هذا هو الاسلوب الجديد ، الذى يجب أن ننحو نحوه ، وهو ما أسأل الله أن يوفقنى اليه وأن يقدرنى عليه ، أريد أن أبارح المدينة الي الريف ، وأريد أن أترك القلم ، وأترك النوادي . . وأترك الاجتماعات ، وأن أهرع الى الفلاحين أعيش معهم ، واشتغل واياهم جنبا الى جنب ، وأدعو الله كل صباح ومساء وأصوم وأصلى ، أريد أن أكافح من أجل الروح وفى سبيل الله ، فاللهم وفقنى ، واللهم قدرنى ، واللهم أرشدني وانر لى الطريق

الكتاب الثانى



اندلاع الثورة

الكتاب الثانى

انتصار روح مصر الفتاة

فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥

انفجار

كان آخر عهدنا بجريدة وادى النيل وكفاحا على صفحاته هذا المقال السابق .. وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ انفجرت عناصر السخط فى أوساط الشبان فقابلها نسيم باشا بالرصاص والارهاب فلم يزد ذلك النار الا اضطراما وتحول السخط الى ثورة ... بدأت فى صفوف الشبان وبدأت تنتقل منهم الى بقية عناصر الأمة رويداً رويداً ... وفى أيام قليلة تحول سكون مصر الى حركة عنيفة وتضرجت شوارع القاهرة بدماء عشرات من الطلاب وشباب الجامعة وغصت المستشفيات بمئات وألوف من المقبوض عليهم وفى عشية وضحاها سرت فى مصر هزة قوية أو قل روح عنيفة تأبى الذل وتتمرد على خنق الحرية وتطالب بالدستور ولا ترضى بأقل من الاستقلال.

فوجئت الحكومة بهذه الحالة وفزع الانجليز من نتائجها ولم يستطيعوا تحليلا لعناصرها ... وعجزوا عن تفسير ما خيل لهم انه جاء مفاجأة غير منظورة ... وقد شاطر الحكومه والانجليز كثيرون من المصريين أنفسهم فى اعتبار ان ما حدث كان مفاجأة غير متوقعة ... وأنه مقطوع الأسباب عن مقدماته ... فهل كان هذا الحكم صحيحا ... وهل لم يسبق هذه الحركة القوية مقدمات تؤدى لها ؟ هذا هو ما سأحاول تحليله هنا فى هذه السطور للذكرى والتاريخ ... والدرس والعبرة ...

ولست أحسب أن هناك قارىء واحد قد طالع كتابي هذا حتى أدرك هذه السطور الا مبادر بالقول أن مصر الفتاة هي خالقة هذه الحركة وانها قد مهدت لها بهذا الجهاد الطويل فى بحر ثلاثة أعوام تعرضت فيها لشتى صنوف الاضطهاد والتعذيب ولم تفتأ ترددفي أثنائها مبادىء الوطنية الصحيحة وتحض على الجهاد فى غير ما خوف أو جزع . . . والواقع أن هذا الحكم من القارىء هو الحكم الصحيح الصادق فى غير مغالاة أو اسراف . ذلك ان الايمان الذى كان يملأ صدورنا والذى ما زال يملأ صدورنا بل والذى ازداد اضعافا مضاعفة . . . هذا الايمان الذى يحركنا والذى يغذينا والذي يدفعنا دائما الى الأمام ... هذا الايمان الذى يهون لنا الشدائد لا يمكن الا أن يكون قوة مؤثرة تأثيرا ماديا فى البيئة المحيطة بنا .. وانى لأكاد أتخيل الايمان قوة خفية كقوة المغناطيس أو الكهرباء تلك التى تملأ الجو من غير أن يكون لها مظهر مادى ومع ذاك فانها موجودة وهى تؤثر وهى تنتج . . . بمعنى أن الشخص المؤمن يستطيع أن يؤثر بايمانه ولو كان فى حجرة مغلقة الأبواب موصدة النوافذ وهذا ما يدل عليه سجن المجاهدين فهو يزيد فى قوة عقيدتهم وبالتالى فى عقيدة زملائهم وأتباعهم ، واذا بالقوة الغشوم سرعان ما تهزم أمام المجاهد السجين ، فاذا بالأبواب تفتح والسلاسل تحطم ويستأنف المجاهد جهاده والناس من حوله أشد ايمانا واصرارا على الكفاح .. هذا هو أثر الايمان الكامن فى نفسى ونفوس أصدقائى .. فقد كان قوة مؤثرة فى البيئة التى تحيط بنا سواء اتصلنا بها أو لم نتصل .. فما بالك ونحن لم نترك دقيقة واحدة فى هذه الثلاث سنوات لم نتصل فيها بجموع الشباب والطلاب بصفة خاصة . . فليست هذه السنوات الثلاث الا عملا

متصلا فى قوة وعنف ضد مظاهر الضعف والتخنث والجبن الذى ران على القلوب . . . ولقد طالعتم فى الصفحات السابقة كيف كنا نقابل السجن بالابتهاج . . . ونحتمل الشدة فى سرور . . . ورأيتم فى الصفحات السابقة كيف كانت حياتنا سلسلة من السجون والاعتداء والايذاء . . . ورأيتم كيف أرسلنا الصوت داويا من أعماق السجون ومن أقفاص الاتهام ندعو الشباب الى التضحية والكفاح فى غير ما وجل أو تردد . . . وفى هذه السنوات الثلاثة لم يمض يوم واحد لم نكن فيه نتحدث ونخطب ونعطى القدوة للشباب . . . فى هذه السنوات الثلاثة ذرعنا القطر شمالا وجنوبا وغربا وشرقا ناشرين ايماننا وعقيدتنا . . ومقدمين المثال لهذه الجرأة التى تسخر من الظلم وتهزأ بالاستبداد . . ولم يكن ذلك كله بغير أثر . . . بل على العكس فقد ترك أثرا عميقا فى نفوس الشباب الذين أحاطوا بنا . . . وفيما سبق أسماء خمسين شابا دخلوا السجن فى شجاعة وجرأة . . وخرجوا منه أشد مضاء وقوة وبسالة . . . فلا عجب أن أثر ذلك كله فى نفوس زهرة الشباب وأعنى بهم طلاب الجامعة وليس فى قادتهم الا من هو صديق شخصى لى أو عضو فى مصر الفتاة . . . واذن فقد تهيأت أذهانهم بروح الكفاح والتضحية . . . روح العمل من أجل مصر أولا وأخيرا ، مهملين الأشخاص ومقدسين العمل الصالح . ولقد كمنت هذه البذور فى قرارة نفوس الطلاب وأخذت تنمو وتزدهر يوما بعد يوم . حتى كانت الحرب الايطالية الحبشية وقامت الحبشة تدافع عن استقلالها وعزتها ووقف العالم بأسره الى جانبها يتحدث عن سيادتها وقداسة حريتها . . وشرعت جرائد الدنيا تتحدث عن وطنية الأحباش وبسالة الأحباش . . . وتستعرض

صورا من كفاح أبطالها ورجالها ونسائها بل وأطفالها . . . وأخذت رائحة البارود تملأ معاطس المصريين والدم المهراق يوقظ حواسهم . . . ورؤية الكفاح تثير غريزة الكفاح . . . فلا عجب ان امتلأت نفوس الشباب المصرى بالرغبة فى الكفاح . . . وككل عاطفة قوية ان لم تجد من ينظمها فى بداية أمرها انحرفت عن طريقها الطبيعى وتبددت أدراج الرياح ولربما تحولت الى قوة مخربة كالنار ان لم تنظم أصبحت أداة خراب ودمار . . . وقد كاد ذلك يكون النتيجة المحققة لعواطف الشباب المصرى فى تلك الأيام . . . فقد اندفع بعض الشباب وفى مقدمته الصحافة تدعو للتطوع للدفاع عن إستقلال الحبشة وحرية الحبشة وسرعان ما تألفت اللجان وانهالت الوف الطلبات وتقدم مئات الشبان وقد امتلأت صدورهم بحماسة عجيبة فكنت تراهم والدم الحار يملأ شرايينهم ... واللهب المقدس يشع من أعينهم ... فأما السذج والبسطاء فقد خيل لهم أن المصريين يريدون الدفاع عن الحبشة ويتحمسون للحبشة فراحت الصحافة تطبل وتزمر وتهاجم الايطاليين وتناصر الحبشة وتستحث الشباب لنصرة الحبشة حتي امتلأت البلد بروح غريبة روح الدفاع عن الحبشة واستقلال الحبشة أما أنا فلم أرى كل ذلك الا رغبة الأمة فى الدفاع عن نفسها وأن هذه الروح القوية والتى تريد متنفسا لها وجدت فى الحبشة فرصة لاظهار هذه الروح ومنذ الدقيقة الأولى فهمت احساس الشباب الحقيقى . . . ومنذ الدقيقة الأولي عرفت ماذا يجب على أن أفعل وماذا يجب على كل هذا الشباب أن يفعل فاذا كان للحبشة استقلال قد حطم . . . واذا كانت للحبشة كرامة ينبغى ان تصان فان لمصر كرامة يجب أن تسترد واذا كان فى عروق الشباب

المصرى دم يجب أن يراق فان مصر به أولى... واذا كان هناك مايجب أن يقوم به المصريون فهو انتهاز هذه الفرصة للمطالبة بحقهم واحراج الانجليز واسماع العالم صوت مصر والكفاح فى سبيل الاستقلال!
واذن فقد عملت جاهدا على اعادة العواطف التى تملأ صدور الشباب الى طريقها الطبيعى . فناديت قومى وناديت الشباب . . . وانبث جنود مصر الفتاة يدعون فى كل مكان ... أن على هؤلاء الذين يريدون الدفاع عن الحبشة أن يدافعوا عن مصر . وهؤلاء الشجعان فليبرزوا شجاعتهم فى مصر . والراغبون فى التضحية . . أمامهم الميدان متسعا فى مصر . . ولقد بدت هذه الدعوة فى وقت اندفعت فيه العواطف الى مناصرة الحبشة وتأييدها بدت دعوة غريبة شاذة . . فأخذ الرأى العام يهجس بأنها دعوة مدسوسة وان للايطاليين فيها دخل.. حتى لقد أشارت الى ذلك مجلة اللطايف المصورة اشارة صريحة على الرغم من خصومتى للطليان خصومة عنيفة ولعل القارىء قد لمحها فى كل سطر من سطور مرافعاتى وخطبى وأحاديثى . . ذلك أن الامبراطورية الرومانية التى يريد أن يمثلها موسولينى انما ترتكز فى مصر .. والبحر الأبيض الذى يريد أن يجعله بحيرة رومانية لا يمكن أن يتم ذلك الا اذا كانت مصر رومانية كذلك . واذن فايطاليا الجديدة ذات البرامج الاستعمارية هى خطر على مصر أى خطر يجب أن تتهيأ له مصر وأن تستعد وأن تكون منه على حذر .. على أن هذا لا يعنى مطلقا أن تنسى مصر أنها واقعة حالا فى براثن مستعمر آخر وأن عليها أن تعمل لفك أغلالها الحالية قبل أن تخشى أغلالا مستقبلة قد تقيد بها بالغة مابلغت هذه السلاسل المقبلة من حيث الخطر والأهمية ... وماهى الوسيلة لانتزاع استقلال مصر

الا بانتهاز الفرص واستغلال الخلافات الدولية بين انجلترا وغيرها من الدول .. فمصر فى سنة ١٩٣٥ ما كانت تكسب قليلا أو كثير فى معاداتها لايطاليا واظهار خصومتها المنيفة في وقت كان الاستقلال فيه أثرا بعد عين والانجليز يتحكمون فى كل شىء . . . ويضغطون على العرش ويرفضون الدستور .

ولقد أدركت الأمة كل هـذه الحقائق بعد حين ، فبدأت الأحزاب السياسية تنشط بعد تخاذل الوفد وتأييده لسياسة نسيم باشا المدمرة وخرج الاستاذ العقاد على سياسة الوفد والحكومة وواصل كتابة هذه المقالات الصادقة والتى ليست إلا تكرارا لما سبقتة اليه مصر الفتاة . . أو بمعنى آخر ليست إلاوليدة روح مصر الفتاة . . . روح الكفاح والمقاومة والاستبسال والايمان . . وفى وسط هذا الجو عاودت مصر الفتاة نشاطها المادى والروحى فعاودت الصرخة صدورها بقوة وتقابلت مع الاستاذ العقاد فى منتصف الطريق وأفسح لى صدر جريدة روزا اليوسف أسجل على صفحاتها روح مصر الفتاة ونشاطها واذن فقد بدأ تيار الحماسة نحو الحبشة يعود الى مصبه الطبيعى وأعنى به القضية المصرية والدفاع عن استقلال مصر .. وهذه القلوب الفتية بدأت تتطلع باحثة عما تفعله من أجل مصر .. وأينعت تلك البذور التى غرسناها فى النفوس ، لا بل بدأت تثمر وتنضج حتى إذا بدأ شهر نوفمبر ، بدأت الحوادث تتوالى بسرعة فقد كانت حملة العقاد على سياسة الضعف فى أوجها ودعا دولة محمد باشا محمود رئيس حزب الاحرار الدستوريين الى سياسة التعاون بين الاحزاب والائتلاف

وتوحيد الصفوف واقام اجتماعا فى ٧ نوفمبر شهدته كل رجال الاحزاب ما عدا الوفد وللاول مرة عقد اجتماع سياسى فى يوم وليلة وزاد حاضروه على بضعة عشر الف جلهم من الشباب وشوهد رجال الأحزاب المختلفة يجلسون جنبا الى جنب يكرمهم الشباب ويهتف بأسمائهم فكان ذلك ايذانا بغليان الأفكار وارادتها فى توحيد الصفوف استعدادا للكفاح . .
حتى إذا ما اقترب يوم الاربعاء ١٣ نوفمبر أعلنت مصر الفتاة عن اجتماع ضخم أخطب فيه باسم الجيل الجديد ويخطب معى سعادة محمد على باشا علوبة والأستاذ العقاد والاستاذ عبدالرحمن عزام ... ولقد كان معينا لمكان الاجتماع مسرح برنتانيا فطبعنا من التذاكر ضعف مايسع من الحضور فاذا بها تنفذ فى دقائق واذا بنا مضطرون أن نطبع من التذاكر الوفا تلو ألوف..
واذا بجموع الشباب تضغط على دار الجمعية ضغطا عظيما تطالب بشهود الاجتماع فاذا بنا ننقل الاجتماع الى سراى آل لطف الله بالجزيرة كيما تتسع لهذه الألوف . . . على الرغم من أن الوفد كان قد دعا الى اجتماعه السنوى المعتاد وقد اضطر تمهيدا لانجاحه أن يعلن تخليه رسميا أى فى الظاهر عن تأييد وزارة نسيم باشا ... فكان ذلك أول ثمرة لضغط الرأى العام وهكذا بلغ الغليان الفكرى أشده . . . على أن الشبان كانوا هم كل شىء فى هذه الحركة هم الذين نشروا السخط ضد وزارة نسيم وسياسة الاستخذاء . . .
وهم الذين دعوا لتوحيد الصفوف واعلان سياسة الكفاح ... فلما كانت صبيحة يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر كانت القاهرة فى جو مكهرب ملبد بقوى غير منظورة ..! وفى آخر دقيقة منعت الحكومة اجتماع مصر الفتاة بعد أن اتخذنا له كل المعدات على الرغم من سماحها بعقد اجتماع الوفد فسرت

فيمن يحمل اليه الخبر روح سخط جديدة واستنكار شديد .. وخرجت جموع الطلاب من الجامعة تزحف نحو القاهرة هاتفة متظاهرة فاشتبكت مع البوليس وكانت معارك في قصر النيل وفي ساحة عابدين أطلق فيها النار وأصيب عشرات من الجرحى .. وأحاطت الحكومة مكان اجتماعنا بصفوف متراصة من البوليس يحول بين الجموع وبين عقد الاجتماع . ولما هممت بالاقتراب من مكان الاجتماع وفيما أتحادث مع بعض الضباط إذا بأمر البوليس يقضي بالاعتداء علينا فانهالت على عصى البوليس ولكماته وأخذت الى مركز البوليس وهكذا لم ينقض هذا اليوم العصيب في حياة مصر دون أن آخذ منه بنصيب .. حقا أنه لنصيب تافه بضع كدمات وضربات عصى .. ولكنه نصيب على كل حال يعتز به اليوم وغدا وإلى الأبد ، انني لم أكن في هذا اليوم العاصف قعيد بيتي . أو ممتطيا سيارة والجرحى تتساقط من حولي . . بل كنت فيه المجاهد الصغير الذي أخذ نصيبه من المعركة . ولم أتردد في قبول اعتذار البوليس ساعة أن قدم الى في مركز البوليس ولقد كان بودى أن يجرى تحقيق على يد النيابة وأن يعلم الرأى العام ماوقع ولكن الحوادث الدامية التي كانت تحدث من دقيقة الى أخرى .. جعلتنى أنسى هذا الحادث أو أتناساه لاشتغل بما هو أهم وأروع . وفي نفس اليوم حدث اصطدام بين البوليس والجموع المحتشدة لدى بيت الأمة وقد أصيب فيه عشرات الجرحى واقتيد الى السجن مئات الشباب .. وهكذا انفجرت روح الشباب وسرت هزة الكفاح في أنحاء الوادى .

وكان اليوم التالى ١٤ نوفمبر هو بدأ اعلان الثورة بمعناه الرسمى فقد انحدرت جموع الطلاب من الجامعة قاصدة القاهرة كما فعلت بالأمس

فتصدى لها عند كوبرى عباس بعض أفراد من رجال البوليس الانجليزى.. وفى دقائق قليلة أردوا بعض القتلى والمصابين من طلاب الجامعة وسقط عبد المجيد مرسى والجراحي وابراهيم شكرى ... مات الأول سريعا وعاش الثاني أياما ... بعث فيها الحياة فى اخوانه وملأهم ايمانا وعزما أما الثالث فقد برأ من جراحه وظل حيا يعمل كما عمل دائما تحت لواء مصر الفتاة ليكون مثلا حيا على أثر مصر الفتاة فى هذه الحركة العنيدة ...

كان فى نفوس الشباب سخط . . . وفى نفوس الشباب ارادة وفى نفوس الشباب أمل . . .وبحث شباب الجامعة عن شعار يلخص حركته ويعمل بروحه ... بحث شباب الجامعة عن لواء يلتفون حوله ويسيرون فى ظله . . . بحث شباب الجامعة عن المبدأ الذي يكافحون من أجله ويسقطون فى سبيله ويسجلونه بدمائهم . . . فأسعفهم قادتهم من شباب مصر الفتاة بهذا المبدأ وذاك اللواء ... أسعفهم شباب مصر الفتاة بالمبدأ السامى الذى يلخص لهم كل شىء سخطهم وعقيدتهم وايمانهم وآمالهم ... أسعفهم شباب مصر الفتاة فهتفوا لهم مصر فوق الجميع . . . فاذا بالجموع تردد من أعماق أرواحها . . . مصر فوق الجميع . الله أكبر هـذه هى مصر الفتاة تنتصر . . . هذا هو ايمانها وهذه روحها . . . هذا هو كفاح مصر الفتاة مصر فوق الجميع . ذكرت فرجعت . . وفى دقيقة كانت شعار الحركة فى مصر كلها من الاسكندرية حتى اسوان فأخفتت كل صوت وقضت على كل روح سواها حاولت أن ترفع رأسها . .

وقاد الحركة فى عنفوانها طراف[1] ومحيي الدين وحماده ومكى وشكرى وشافعى وسعد وغيرهم من زهرة مصر الفتاة وقوادها الذين تغذوا بلبانها وامتزجت بدمائهم . . هؤلاء الذين قادوا هذه الحركة هم جنود مصر الفتاة وعند ما مات الجراحى كانت آخر كلماته مصر فوق الجميع فسطر بدمه رسالة مصر الفتاة . . وعند ما حاول نسيم باشا أن يفزع الحركة برصاصه وسجونه أجابوه بكلمات مصر الفتاة .. وما السجن وما الموت .. وما الحياة فى ظل الذل . .

فتعاليم مصر الفتاة هى التى انتصرت . . وروح مصر الفتاة هي التى سادت . . وشباب مصر الفتاة هو الذى تزعم . . وجمعية مصر الفتاة هى التى لبت ارادة الشباب والأمة بعد ذلك فنفذت ما رغبت الأمة فى تنفيذه وسافرت الى أوربا وزميلى فتحى للدعاية لقضية مصر فى انجلترا وأوربا .. لاسماع صوت الضحايا وصوت الشباب للدنيا باسرها . . وفى أيام قلائل كنت أحزم أمتعتى . . وفى أيام قلائل كنت مسافرا الى أوربا وفى نفسى ايمان بالله وفى جيوبى مائتين من الجنيهات لا تكاد تكفى نفقات لسفر واحد من أغنيائنا يرغب فى النزهة ولقد جمعت هذه الجنيهات من اكتتاب عام فتح على صفحات الجرائد وأقبل عليه الناس رويدا رويدا . وهكذا سيطرت روح مصر الفتاة على الموقف ابتداء من المقدمة وتدرجا مع الحوادث . . فما كان انفجار ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥ بحادث مقطوع الصلة

---

(١) نور الدين طراف الطب — محيي الدين عبد الحليم دار العلوم — حماده الناحل الحقوق — محمود مكى الزراعة — ابراهيم شكرى الزراعة — محمود شافعى معهد التربية — كمال سعد الزراعة

وهؤلاء جميعاً أعضاء فى مجلس جهاد جمعية مصر الفتاة قبل هذه الحركة

بجهود مصر الفتاة فى مثل هذا اليوم من عامين سابقين على هذا التاريخ أى فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٣٣ قبض على لأول مرة وزج بى الى السجن عقابا على صرختى الاولى والتى كان عنوانها « يا شباب عام ١٩٣٣ كن كشباب سنة ١٩١٩ .. كن كهذا الشباب الذى أشعل الثورة فى وقت لم يتوقع الناس فيه الثورة » فاذا كان الشباب قد لبى هذه الدعوة بعد عامين واتخذ شعارا لها ما أردت أن يكون له شعار .. فماذا أستطيع أن أقول وأن أسجل الا أن مصر الفتاة هى التى انتصرت فى ١٣ نوفبر سنة ١٩٣٥ ..

ولنرجع اذن الى أسلوب الكتاب فأترك البيانات والخطب التى أذعتها أو القيتها تؤرخ الحوادث العامة وكفاح مصر الفتاة

سفر وفد جمعية مصر الفتاة

الى أوروبا

تطورت الحوادث كما سبق وشعرت الأمة بضرورة ارسال وفد للدعاية الى أوربا وفيما كان رجال الأحزاب يتناقشون ويتداولون فى تحقيق هـذا المشروع كان الأستاذ احمد حسين قد حزم أمتعته برفقه صديقه وسكرتير الجمعية العـام الأستاذ فتحى رضوان وقد غادرا محطة العاصمة فى مسـاء الأربعاء ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٥ وقد اجتمع لوداعهما مئات من شباب الجامعة وجنود مصر الفتاة وعلى رأسهم صاحب السعادة محمد على باشا علوبة والأستاذ الـكبير محمد عبد القادر حمزه وقد القى علوبة باشا كلمة يودع بها الوفد وعندما أوشك القطار أن يتحرك هتف الأسـتاذ احمد حسين « نريد الحياة — من حقنا الحياة — وسوف ننتصر » فرددت الجموع هذه الهتافات وانطلق القطار بعد ذلك والجميع يرددون نشيد اسلمى يا مصر ..

وقد أذاع الأستاذ قبل سفره عهدا وميثاقا شرح فيه غاية الوفد وبرنامجه وناشد الأمة فى ختامه بأن توحد صفوفها وتؤلف جبهة مشـتركة ضد العدو المشترك .. ولم تـكن هذه الدعوة الخالصة لتذهب هباء .. فلم يكد يمض على سفره بضعة ايام حتى تألفت الجبهة المنشودة وعاد الدستور بالتالى فورا .. وهكذا كان ذلك ابتداء موفقا لهذه الرحلة وفيما يلى نص العهد والميثاق

من احمد حسين الى الشعب المصرى

عهد وميثاق

أيها الشعب المجيد . . .

فى الساعة التى نحزم فيها أمتعتنا للسفر الى عواصم أوروبا كيما ندافع عن القضية المصرية أمام محكمة الرأى العام الدولى . . . وفى الساعة التى تخفق فيها قلوبنا لذكرى مغادرة الوطن العزيز الجريح ، أرى لزاماً على أن أعاهد الأمة على برنامجى ، وأن أطلع الرأى العام على آمالى وغايتى .

لسنا ندعى أننا سنحصل على استقلال مصر ، واننا سنحل القضية المصرية بمجرد ذهابنا الى أوروبا .. ولسنا نجرأ على القول أننا سنعود الى مصر وفى جعبتنا معاهدة تحقق المطالب المصرية والأمانى القومية .

لا . . لسنا ندعى شيئاً من ذلك فان القضية المصرية ستحل هنا فى القاهرة وليس فى أوروبا .. ستحل القضية المصرية بأيدينا نحن المصريين وليس بأيدى الانجليز ولا بأيدى أى نوع آخر من المخلوقات ، سوف تحل القضية المصرية عندما يؤمن المصريون بأنفسهم وقدرتهم على الكفاح والاستبسال فى سبيل النصر . . سوف تحل القضية المصرية عندما يمتلىء المصريون بالعزم والجرأة والشجاعة .. عند مايسترخصون الحياة ، ويحتقرون المناصب ويطأون أعراض الحياة . . سوف تحل القضية المصرية عندما لايهاب الشباب المصري أعماق السجون ولا طلقات الرصاص .. ولا صنوف

الحرمان . . سوف تحل القضية المصرية عندما نقف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص أمام العدو المشترك . . عندما نفهم دسائسه وأساليب استعماره وعندما نحتقر مؤامراته وصنوف اغرائه . . سوف تحل القضية المصرية عندما نعرف كيف نطهر أنفسنا ونصونها من العبث والاسراف فى الشهوات والملذات . . عند ماننخلق بالأخلاق الحسنة ونعتنق الثبات ونتعلم الصبر ونصمد للشدائد . . سوف تحل القضية المصرية عند مانعرف كيف نقاطع كل دخيل وكل ماهو أجنبي وكيف لانأكل الا من طعام بلادنا وكيف لانلبس الا من صنع بلادنا ولا نحترم الا ماكان مصريا صميما من أعماق المصريين .

سوف تحل القضية المصرية عند مانرفع الرؤوس افتخاراً واعتزازاً بقوميتنا وثقة واعتداداً بأنفسنا عند مايحب بعضنا بعضاً ونترك الحسد والبغضاء والحقد ونتعلم التسامح والوفاء والاخلاص . . وأخيراً سوف تحل قضيتنا عند مانعرف كيف ننظم صفوفنا وكيف نعد أنفسنا بحيث نكون أقوياء ونكون أقوياء أولا وأخيراً . فالحياة صراع وجلاد ينتصر فيها القوي الصالح ويندحر فيها الضعيف الطالح ، لاتفاهم فى الحياة بين السيد والمسود ، لاتفاهم بين القوى والضعيف سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ، فقضيتنا ستحل بأيدينا نحن ، والاستقلال يؤخذ ولا يعطى ، والحرية تروى بالدم ويطفئها الجبن والكسل والتفرق :

لاأيها الشباب المجيد ، لاياسليل الفراعنة والعرب إنما أهيب بك أنت أن تحقق استقلالك وحريتك ، أهيب بك أنت أن ترغم الانجليز على احترامك وصداقتك ، واذا كنا نسافر اليوم كيما نرفع الصوت عالياً فى أنحاء العالمين

بما يقع علينا من ظلم واعتداء ، فليس ذلك إلا سلاحا من أسلحة الكفاح ، وليس هو كل سلاح .. اذا كنا نسافر فما ذلك الا لنصرخ فى وجه الانجليز إن مصر لم تغفل عن حقوقها وكيانها ، ولنطالب العالم المتمدين أن يكون منطقيا مع نفسه ومع موقفه فى الحرب الحبشية الايطالية فيميز مصر وقضيتها مايستحق من رعاية وعطف ، فاذا كانت الحبشة تستحق الحماية فان مصر تستحق المجد ، اذا كانت دويلات العالم الصغيرة تتمتع بسيادتها الكاملة واستقلالها العتيد ، فان مصر معلمة الانسانية بأسرها :

مصر التى قادت الدنيا طوال مئات القرون . مصر التى أخرجت الأديان جميعا وحمت الأديان جميعا . . ومجدتها جميع الكتب السماوية . . مصر التى حاربها الزمان فارتد وانهزم .. وحاربتها الويلات والاحن فخرجت مصر من المعركة ظافرة أشد مضاء وأكثر لمعانا ومجدا .. مصر التى قامت منذ نيف ومائة عام فهزت الدنيا هزاً وشيدت امبراطورية تزرى بالامبراطوريات وأخيرا مصر التى تتزعم الدول العربية اليوم وكعبة الاسلام من حقها التى تعيش سيدة لنفسها .. من حقها أن ترفع الرأس عالية وأن تتبوأ مقعدها تحت الشمس كما كانت دائما منارة وهدى للعالمين .

لاسلام للعالم إلا إذا أعطيت الشعوب الضعيفة حريتها . . لاتوازن بين الأمم إلا إذا استقل كل شعب . . الويل ثم الويل لأوربا ان لم ترحم الأمم الضعيفة وتتركها تعيش فى سلام .

تلك هى الرسالة التى نحملها معنا لنبسطها على العالم باسم مصر . . وسوف يستمع العالم لنا وسوف يشد أزرنا الكثيرون وهذا هو كل الذى نطمع فيه .

ونحن اذ نسافر من مصر لا ندرى ما الذى تخبؤه لنا الأقدار . . ولكن الذى نؤمن به أننا سنجاهد من أجل مصر حتى النفس الأخير، سنجاهد من أجل مصر حتى ولو لم نجد القوت الذى نتبلغ به .. سنجاهد من أجل مصر وهذا عهد وهذا قسم أن نفنى من أجل مصر ومجدها . وأن نكرس لها شبابنا وحياتنا وأرواحنا . . انه عهد وانه لقسم أن نكون للمصريين جميعا وليس لحزب من الأحزاب .. لا وليس لأشخاصنا . . انه عهد وانه قسم أن نحب المصريين جميعا وأن نخلص للمصريين جميعا وأن نمجد المصريين جميعا .

أيها الشعب المصرى الخالد . . .

قد أكون شابا وقد أكون صغيرا ولكن ايمانى واخلاصى يشفعان لى أن أتوجه اليكم بنداء فى هذه الساعات العصيبة وهو أنه لن ينجينا إلا الائتلاف والاتحاد . . كونوا صفا واحدا أحبو بعضكم بعضاً . . أنسوا الخلافات والأحقاد . تصافحوا وتعانقوا واسدلوا ستاراً على الماضى . . وانظروا الى النسر المحلق فى الفضاء والذى يرف بأجنحته فتدوى فى أنحاء العالمين .. انها مصر .. مصر العزيزة الغالية .. انها تناديكم أيها الأبناء . . انها تصرخ بكم أن تتصافحوا أيها الاخوان فماذا أنتم قائلون . . كأنى بكم وليس لكم الا شعار واحد يهز الارضين . . .

المجد لمصر ومصر فوق الجميع

في عاصمة الانجليز

بارحت النيل ميناء الاسكندرية فى يوم الخميس ٥ ديسمبر ووصلت مرسيليا فى يوم الثلاثاء التالي . . . وقد بارحها الأستاذان مباشرة الى باريس . . . ولم يكادا يمدان برنامجا ويشرعان فى تنفيذه حتى جاءت الأخبار بتأليف الجبهة الوطنية ، وعودة الدستور بالتالى ولقد كان هذا أول بادرة من بوادر انتصار ارادة الأمة وقد وحدت صفوفها وعلى ذلك فلم يسع الاستاذ الا أن يعدل برنامجه وأن يقصد لندره فبارح باريس بعد أربعة أيام من حلوله بها . . . .

وفى لندن كان أول عمل للوفد هو الاتصال بالشباب المصرى المقيم فى عاصمة الانجليز فعقد اجتماعا فى يوم السبت ٢٠ ديسمبر فى مطعم فلورنس حضره الطلبة المصريون المقيمون فى لندن والبلاد المجاورة . . وقد ألقى فيه الأستاذ أحمد حسين كلمة استعرض فيه الموقف السياسي وحوادث الثورة ومطالب شباب مصر الفتاة . .

اخوانى الأعزاء

في كفاحى الطويل الذى بدأته منذ خمس سنوات عندما ناديت بمشروع القرش وكنت طالبا فى كلية الحقوق . . منذ ذلك الوقت الطويل أيها الاخوان ولم يمض على أسبوع واحد دون أن ألقى خطابا . . بل قد لا يمضى يوم واحد لا أكون فيه وسط جماعة من الجماعات أشرح مبادىء مصر الفتاة وأدعو لهم وأتكلم عن الوطنية وبرنامجها . ولكن صدقونى أن اجتماعا من هذه الاجتماعات لم يشعرنى بخطورته ولم يملأنى هيبة له الا هـذا الاجتماع فما هو السر فى ذلك وما هو تعليـله ألأننا بعيدون عن الوطـن العزيز وأن بيننا وبينه الوفا من الأميال مابين بر وبحر وسهول وجبال . أم لأننا نعيش فى جو مكفهر بالعواصف والثلوج والأمطار والضباب . . أم لانا نقيم فى عاصمة الامبراطوريه الانجليزية الضخمة والتى جئنا نطالبها بالحـرية والاستقلال فلا عجب اذا أحسسنا ونحن فى قلبها بشعور جديد يخالف هذا الذى اعتدناه .

الحق أيها الاخوان أن لـكل هذه العناصر أثرا الى حد ما فى جعل هذا الاجتماع يمتاز عن مئات الاجتماعات التى نعقدها . . على أن العنصر المهم الذى يكسب هذا الاجتماع خطورة هو الأفراد الذين يتكون منهم ، فقد اعتدنا فى مصر أن نخطب لبعض أفراد الشعب وقد نضطر أنفسنا اضطرارا للهبوط الى مستواهم فى التفكير . . وقد نخطب شيوخا مفكرين من رجال السياسة فتبرد عواطفنا ونصطنع الحـكمة والتدبير اصطناعا ، وأخيرا قد نخطب وسط شبان ثائرين فتجرفنا حماستهم وتلقينا فى لجة من

الثورة . أما اجتماع الليلة فهو يأخذ بطرف من كل هذه المزايا ، مزايا الشباب المتحمس والشيوخ العاقلة والعامة المؤمنة .. فكل قوى مصر المختلفة تتركز فيكم أنتم .. أيها المجاهدون الذين جئتم الى هنا تقاسون الحرمان والأهوال من أجل تحقيق مثل أعلى لأنفسكم ولأوطانكم أولا وأخيرا .. ليس فيكم الا من كان نابغة فى فنه فبعثت به الحكومة الى هنا أو مغامرا مقداما متطلعا للمعالى فجاء من تلقاء نفسه . . وأنتم تعيشون فى بيئة خلقت المجد خلقا .. تعيشون وسط شعب لايتمالك الانسان من أن يبدي اعجابه بمزاياه العظيمة بالرغم من كل مابيننا من خصومة ونضال .

فلذلك ولهذا قد جمعتم نبوغ المصريين وعبقريتهم . وقد اكتسبتم مزايا الانجليز وصفاتهم العالية ولهذا ستعودون الينا لتكونوا قادة ولتكونوا زعماء .. ولترتفعوا فى مصر بمستوى الادارة والحكم والسياسة والاقتصاد والأخلاق . وسوف تكونون نواة مصر الفتاة الحقة والتى تريد لمصر مجدا تضيق به الدنيا بأسرها ..

ماذا تريدون أن تسمعوا

وبعد أيها الاخوان ماذا تريدون أن تسمعوا منا : أتريدون أن أحدثكم عن بلادكم العزيزة هل لايزال النيل يجرى عذبا رقراقا تجرى فوق صفحاته الزوارق والأعلام وفى طياته الذهب والثروة . . ويحمل لمصر فى كل عام الخصب والنماء والسعادة أي والله انه لكذلك . . وهل تشكون فى النيل وفى وفائه .. وهل تشكون فى النيل وفى عطفه ، ونحن الذين نعيش فى فيض كرمه وظل ثراه منذ عشرات الألوف من السنين . . أم تريدوننى

أحدثكم عن السماء الصافيــة والشمس المشرقة .. أم أحدثكم عن نسيم الاصيل الذى طالما أنعش أرواحكم ونفوسكم المتضجرة من حرارة النهار .. أم أحدثكم عن الأهرام الخالدة رمز المجد والعظمة وناقوس اليقظة فى كل عصر وأوان . . أم أن أحـدثكم عن بلادكم بلدا بلدا وقرية قرية . . أم نتـذاكر سويا تاريخ مصـطفى . وفريد وسـعد العظيم . وثروت . ؟ ! لا . . انـكم لاتريدون أن تسمعوا مني حديثا فى هذه الناحية لازهدا فى الحديث ولـكن لأنه حديث الأرواح ، والأرواح تتناجى بغير الكلام فان مجرد وقوفى بينكم وأنا القادم حديثا من مصر بعيدالى ذاكرتكم كل هذه المناظر الحبيبة الى نفوسكم فيختار كل منكم مايحـلو له من ذكريات . . ويستلهم الخيال هذه الصور التى يعشقها أكثر من غيرها ويحن اليها حنين الطفل الى أمه .

مصر العاصفة

أفتريدون اذن أن أحدثـكم عن مصر العاصفـة التى تقرأون عنها فى الجرائد . مصر التى قامت شبابا وشيبا تدافع عن كرامتها المهدرة واستقلالها المجروح . مصر التى التأمت ساعة الخطر فادهشت الدنيا بأسرها وجعلت الانكليز يعملون لمصر حسابا وأي حساب . . مصر التى قام شبابها الغض يقابل الرصاص من جديد ويهتف فى أنفاسه الأخيرة مصر فوق الجميع .. شباب مصر الذى اندفع يوحد الصفوف وينظمها ويعد أساليب الـكفاح ولـكنكم تطالعون الجرائد فى كل يوم وهى تحمل دائما عن مصر كل جـديد وتطالعون الجرائد المصرية وهى تمدكم بكل تفصيل . . وماذا

حدث فى مصر غير ما يتوقعه أى واحد منكم .. يقول البعض أن ماحدث فى مصر لم يكن متوقعاً .. انه جاء مفاجئاً .. ولكن هؤلاء الذين يعتقدون ذلك أحري بهم ألا يكونوا مصريين . . أو أن يكونوا جاهلين بتاريخ مصر .. وهل كانت ثورة ١٩١٩ ثورة متوقعة .. هذه الثورة التى هزت انجلترا هزا والتى أيقظت الشرق بأسره هل كانت متوقعة من قبل ؟ أو لم يخيل للانجليز أنهم فرغوا من القضية المصرية وأن الحماية التى كانت علاقة مؤقتة يجب أن تنظم بحيث تصبح علاقة دائمة تمهيداً لضم مصر للتاج البريطانى ..؟ ثورة سنة ١٩١٩ وما أدرا كم ما هى أيها الاخوان . . أو لم تتألف المظاهرات من الوزراء والمستشارين هل كانت انجلترا تتوقع ذلك .. هل كان العالم بأسره يتوقع ذلك .! لا .. ولكنها مصر الخالدة ذات الحيوية الكامنة .. (١) . . . .

هذه الحيوية الكامنة هى التى ثارت فى الأيام الأخيرة عندما خيل للانجليز أن مصر لم تعد فى عالم الحياة . وأنهم يستطيعون أن يتصرفوا بمصيرها كما يشاء لهم الهوى .. وأنهم يستطيعون أن يستردوا ما لمصر من حقوق كانوا هم أول من اعترفوا بها فيحولون بينها وبين الدستور . . ويحولون بينها وبين أن تدافع عن نفسها .

---

(١) كان الخطاب يستعرض فى هذا الموضع صورا من الحيوية المصرية مأخوذة من تاريخ مصر وقد سبق سردها فى أكثر من خطبة ماضية ولذلك فقد استغنى عن اثباتها هنا

عدوان الانجليز على مصر

خيل للانجليز أن الشبان قد امتلأوا جبناً وفزعاً وأنهم قد فرغوا إلى شهواتهم فاذا بهم يزأرون ويزمجرون وإذا بهم يستقبلون الرصاص ويكللون الأرض بدمائهم ليسجلوا على الانجليز العدوان والاستبداد ·

وخيل للانجليز أن الموظفين قد استناموا وحرصوا على مناصبهم وعلى طعامهم . فاذا القضاة وأساتذة الجامعة فى طليعة الثائرين الناقمين

وأخيراً خيل للانجليز أن الهوة قد اتسعت بين المصريين فلن يتقابلوا أبداً وأنهم قد نجحوا في تمزيق الوحدة الوطنية .. فاذا بالمصريين فى عشية وضحاها يتقابلون بنعمة الله اخوانا وإذا بالنحاس وصدقى ومحمد محمود وحافظ رمضان وعلى الشمسى وعبد الفتاح يحيى يعلنون الملأ بأمره أن مصر تريد .. وإذا أرادت مصر فان ارادتها من ارادة الله لأنها كانت دائما الأرض المقدسة التى تحمل نعمة الاله ..

هاجت مصر وماجت ولم يكن هياجها كما خيل للانجليز أو لبعض المصريين من أجل دستور يرد أو من أجل وزارة تسقط ووزارة تجىء ولكن مصر هاجت لأنها تريد استقلالا كاملا وحرية مطلقة تريد أن تتمتع بحقوقها فى الحياة فى الوقت الذى يعلنون فيه حمايتهم للأمم الضعيفة واحترامهم للعهود والمواثيق .. فى الوقت الذى يدافعون فيه عن سلامة الحبشة واستقلال الحبشة يطالبوننا بأن ننسى استقلالنا ويستخدمون أرضنا وهواءنا وأموالنا من أجل الدفاع عن هذا الاستقلال . .

ونحن . نحن أيها المواطنون أو ليس لنا استقلال نحن أيضا . . أو ليست لنا كرامة نحن أيضا . . فأية مهانة أن يطلب منا أن ندوس كرامتنا كما ندافع عن كرامة الآخرين .. أي مهزلة أن يطالب منا أن نترك أرضنا للاستعمار والاحتلال من أجل الدفاع عن استقلال الآخرين .

من ذلك الغر الذى يخيل له أن مصر ما كان يمكن أن تثور على هـذه الأوضاع المقلوبة وتحنق . . من ذلك الجاهل المفتون الذى يعتقد أن مصر لاتفهم مايجرى حولها . لم يكن عجبا أيها الاخوان أن تثور مصر بل كان العجيب غير ذلك . . لم يكن عجيبا أن يتمرد المصريون بل كان العجيب أن لايفعلوا ذلك . . وهل يعوزكم الدليل على قوة المصريين وعلى شجاعتهم التى لانظير لها فى الدنيـا بأسرها . . هل تريدون الدليل الذى يجعلكم ترفعون رؤوسكم افتخاراً واعتزازاً بمصريتكم . . هذا الذى حدث فى مصر انه أعظم برهان وخير دليل .. فقد وقعت الثورة فى مصر فى وقت تقود فيه انجلترا العالم جاءت فى وقت يرابط فيه الأسطول الانجليزى بأسره فى ميناء الاسكندرية . . بينما كان يخيل للانجليز أنهم يخيفون مصر بارسال بارجة أو بارجتـين . . فلما امتلأت مصر بالجنود البريطانية . . ولما وفـدت الأساطيل الانجليزية كلها الى مصر قامت مصر تدافع عن كرامتها ولا سلاح لها إلا أن تموت من أجل حقها . . ولا سلاح لها الا دم يجرى فى عروق أبنائها نارا وهم على استعداد لاراقته من أجل بلادهم .

انتصار مصر

ولقد هزت مصر انجلترا هزا . . ولقد أحرجت مصر مركز انجلترا

احراجا . . ولقد اضطرت انجلترا أن تتراجع واضطرت انجلترا أن تسحب اعتراضاتها واذا كان المصريون هم أول من صاح يسقط هور فانه لم تمض بضعة أيام على هذه الصيحة حتى سقط هور سريعا ألم أقل لكم أن ارادة مصر من ارادة الله .

ائتلفت الأحزاب فى مصر اذن .. وعاد الدستور بالتالى .. ووقفت مصر جبهة واحدة تطالب بالاستقلال الكامل والغاء الامتيازات وتعزيز الدفاع الوطنى والدخول الى عصبة الأمم .. وسوف تدرك مصر كل هذه المطالب بالايمان والعزيمة . . وسوف تدركها حتما ان اليوم أو غداً . . سواء رضيت انجلترا أو لم ترض .

دور الشباب فى الحوادث المصرية

بقى أن نعرف من هو مؤسس هذه الحركة الأخيرة ومن هو مشعلها بقى أن نعرف من هم الذين ظفروا لمصر بكل هذا الانتصار وكل هذا الربح .. أهم رجال السياسة والحكمة واللباقة . أم رجال الايمان والتضحية والتهور .. انهم الأخيرون أيها السادة . انهم الشباب الذين قادوا الموقعة وانتصروا انهم الشبان الذين أملوا ارادتهم فى مصر وانجلترا فحق لنا الانتصار . . أنهم الشباب الذين ماتوا وهم يصرخون مصر فوق الجميع . فهتافا للشباب واكبارا . .

هذه حقيقة يجب أن تسجل كيما نرسم برنامجنا على ضوئها . . هذه حقيقة يجب أن تستقر فى كل نفس كيما نبنى المستقبل على أساسها فالشباب

اليوم هو كل شيء.. . ولا نجاة لمصر إلا أن تسلم مقاليدها للشباب . .
والشباب هو وحده الذى لم تلوثه المطامع والشهوات وهو وحده الذى
يرغب فى الجهاد من أجل الجهاد . . وهو وحده الذى يموت سعيداً
ما دامت آخر كلماته المجد لمصر ومصر فى حاجة الى كفاح طويل وتضحية
وقوة والشاب هو وحده القادر على الكفاح لأن قناته لم تزل صلبة وهو
وحده القادر على التضحية لأنه لا يملك شيئا يخاف عليه أو يحرص على
اقتنائه لا أولاد ولا مناصب ولا رتب ولا جاه والشباب هو وحده الذى
يقدر على القوة لأنه قوى بإيمانه وقوى باعصابه وعضلاته وهو القادر لأنه
فى كل يوم يزداد قوة بعكس الشيوخ الذين ينحدرون الى هوة الفناء والضعف.

مصر الفتاة والكفاح الجديد

وتلك هى مصر الفتاة أيها الاخوان . . أنها الشباب أنها الكفاح
والتضحية والقوة وهذه هى القواعد الثلاثة التى ترتكز عليها حركتنا
الجديدة فقد انقضى الوقت الذى كان يخيل للمصريين ان كل ما يريدونه
هو استقلال محدود فى حدود الأمبراطورية البريطانية انقضى الوقت الذى
كان يخيل فيه للمصريين أن قدرتهم على مجابهة الأمبراطورية الانجليزية
قدرة محدودة وأننا ان شئنا الاستقلال أو الحرية فلا سبيل لنا إلا
الاستجداء والاستخذاء والتمسح باعتاب الانجليز . . لا أيها الاخوان لقد
انقضى ذلك الوقت وقت الجهل والخمول فان الاستجداء لا يليق إلا بالشحاذين
لا بشعب عريق يريد الحياة والتمسح بالأعتاب والاستخذاء لا يليق إلا
بالعبيد لا بشعب حر سوف يقود العالمين ومتى كان الاستخذاء والضعف

سبيلا للحصول على الاستقلال . . متى كانت هذه هى أسلحة الجهاد والكفاح . لا . . أيها السادة إنما ينال الحرية من يشترى الحرية . . والحرية تشترى بالدماء . . وينال الاستقلال من يحقق الاستقلال، والاستقلال يحقق بجلائل الأعمال . . أى دولة من دول أوربا قد اشترت حريتها واستقلالها بغير الحديد والنار وبغير الدم والتضحية . . أما بولاندة والتى تقاسمتها ثلاث دول عظام فقديما قال عنها نابليون أن حدودها سترسم حيث يسيل الدم البولونى . .

أما ألمانيا فقد قال عنها بسمارك أن وحدتها ستحقق بالحديد والنار لا بمناقشات فى البرلمان . وأما ايطاليا فقد كافحت وحاربت حتى انتصرت وأما تركيا فقد ظفرت عندما عرفت كيف تطرد الغاصب من بلادها

نحن أيضا لا سبيل لنا الى الحرية والاستقلال إلا بأن نكافح وأن نقوى وأن نجاهد وأن نضحى وأن نعمل وهذا هو كفاح مصر الفتاة. نريد أن نحصل على حريتنا وان لا نبخل بأى ثمن فى سبيل هذه الحريـة ونريد أن نحصل على استقلالنا بأن نعمل فى كل يوم من أجل هذا الاستقلال وذلك بأن نبنى فى كل مكان ونعمر فى كل مكان

برنامجنا الانشائى

وفى الميدان الاقتصادى نريد أن نحصل على استقلالنا الاقتصادى فلا نلبس إلا ما صنع فى مصر ولا نأكل إلا طعاما مصريا ولكى يتحقق ذلك نريد أن نشجع المصانع المصرية والصانع المصرى ونريد أن نؤسس الشركات والبنوك الصناعية لخلق المصانع . . وفى الاجتماع نريد أن نقضى على الأمية

وأن نعلم الفلاحين وأن ندخل النور والسعادة الى القرية المصرية وأن نعيد بناءها ونريد أن نصلح مناهج التعليم كيما نخرج رجالا وجنودا عاملين، وليس كما تفعل الآن تخرج عاطلين ونريد أن نتطور بالزراعة وأن نضاعف كميات الأراضي المزرعة وأن نستغل كنوز الثروة المصرية وأن نخرج من مصر الحديد وأن نولد الكهرباء ونريد أن نشجع التأليف والاختراع والأبحاث وأن نجند الشعب فى الميادين الرياضية ونريد أن ننظم المدن المصرية من جديد وأن نعود الشعب النظافة ونريد أن نعيد السلام الى الأسرة وأن نقوى دعائمها وأن نشجع على الزواج

وفى كلمة أيها الاخوان نريد أن نبنى استقلال مصر بأيدينا وعزائمنا ولكن دون تنفيذ هذا البرنامج وغيره عقبات وعقبات هى قيود الاستعمار والامتيازات وكلا من الاستعمار والامتيازات يجب أن يحطما وسريعا فلسنا نطيق بعد اليوم أن تكون انجلترا محتلة لمصر وأن نرى فى القاهرة والأسكندرية جنودا انجليزية تخترق الشوارع المصرية . . وان كان ولا مناص من ذلك البلاء فى الوقت الحاضر فليكن على أساس من التحالف والصداقة لا على أساس من القهر والغلبة ولسنا نطيق بعد اليوم أن نرى أجنبياً يرفع الرأس شامخاً بأجنبيتــه ويحتمى بالامتيازات والمحاكم المختلطة فلا أقل من أن يتساوى الأجنبي والمصرى فى بلاد المصرى ويكون الأجنبي بذلك ممتازاً عن أى مكان آخر فى الدنيا بأسرها حيث لا يتمتع الأجانب بحقوق الوطنين . . فالامتيازات يجب أن تلغي وحالا والمحاكم المختلطة يجب أن تدك من أساسها والاحتلال البريطانى وكل تدخل بريطانى فى الشؤون المصرية الداخلية يجب أن ينتهى وحالا وأن يحل محل ذلك كله تعاون ودى

صادق بين البلدين فى شبه معاهدة دفاعية هجومية وبهذا يكسب الانجليز صداقة المصريين وصداقة المصريين ليست بالشىء الذى يستهان به بل انها ألزم للامبراطورية الانجليزية من كل قواتها فى طريقها الى الهند لأن مصر اذا انضمت الى أعداء انجلترا فى أى حرب قادمــة فان هذا معناه أكبر خطر يهدد انجلترا . . واذن فنحن نريد السلام بيننــا وبين الانجليز نريد التعاون والصداقة . . ولا تعاون ولا صداقة إلا إذا أعطينا حريتنا كامــلة وأطلقت أيدينا فى استقلالنا وفى زيادة جيشنا بحيث يتناسب مع مطالب مصر والدفاع عنها

وسائلنــا

هذه هى مصر الفتاة أيها السادة وهذا هو برنامجنــا فاذا ما سألتمونى وما هو الطريق الذى نسلكه للوصول الى كل هذه الغايات فانى أجيبكم أن الطريق هو الايمان ثم العمل

أما الايمــان فهو أن نؤمن بالله وأن نخلص له وأن نعتقد بقدرته ورعايته للمؤمنين فنستمد منه العون والتأييد فطوبى لهذا الذى يكون الله فى عونه وضلة لهذا الذى تتخطاه العنــاية الالهية . . فالايمان بالله هو رأس مال الــكفاح وهذا الذى لاخير فيه لخالقه لا يمـكن أن يكون فيه خير لوطنه

ومن ايماننا بالله نستمد ايماننا بأنفسنا . . واحقيتنا فى الحياة وايماننــا بماضينا الذهبى وحاضرنا الفتى ومستقبلنا المشرق

طريقنا هو الايمان فـكل هؤلاء الذين حققوا استقلال بلادهم . . ومن قبلهم كل هؤلاء الرسل الذين حملوا للانسانية مشعل النور لم يكن لهم من

رأس مال إلا الايمان . . فالايمان يفعل المستحيل . . أنه يدك الجبال ويذيب الحديد . . فاذا ما آمنا فسيتبع الايمان العمل .. والعمل والايمان متلازمان دائما « ان الذين آمنو وعملوا الصالحات الآية » وهذا العمل الذى نعده هو أن ننظم جموع الشباب فى جماعات شبة عسكرية تخضع لتعاليم ونظم عسكرية تفهم معنى الجهاد وتتدرب عليه وتنفذ كل ما يأتى لها من تعاليم. هذه الجماعات المنظمـة وما نسميها فى جمعيتنا كتائب المجاهدين هى التى سوف تحقق استقلال مصر : لا بل وسوف تعيد بناء الامبراطورية المصرية وترفع مصر فوق العالمين

سوف نعيد بناء الامبراطورية المصرية التى تألفت على مر الدهور والتى تتألف من مصر والسودان وتحالف الدولة العربية وتتزعم الاسلام .

أسئلة ؟ . . .

لا تسألونى وكم عدد الأعضاء الذين انضموا الى الجمعية وكم عدد الذين يلبسون الأقمصة الخضراء والى أى مدى نجحتم فى مصر لا تسألونى عن ذلك كله ولكن اسألوا انفسكم هل أنتم مستعدون أن تشاطرونا هذا الجهاد وان تشاطرونا ايماننا أم لا .. هل تعملون و ايانا على بناء الاستقلال أم لا .

مهمتنا فى لندن وفي اوروبا

بقى أن تتساءلوا سؤالا واحدا وهو ما الذى نبغيه من حضورنا الى هنا وما الذى فعلناه حتى الآن .. وليس فيكم من لم يقنع من كل هذا الذى قدمته اننا أكثر الناس اقتناعا بان قضيتنا ستحل بايدينا . . وستحل

بجهودنا لا باستجداء الانجليز والتمسح بأعتابهم .. ولذلك فنحن لم نأت الى هنا كما نشحذ الأستقلال أو نتمسح بأعتاب أحد ولـكننا جئنا بكل اخلاص لنعرض قضية مصر على الانجليز جئنا نقول لهم اننا ونحن أكثر الناس تطرفا من وجهة نظرهم ونحن أكثر الناس كفاحا من أجل الاستقلال نستطيع أن نضـع أيدينا فى أيديهم باخلاص اذا ما احترموا اسـتقلالنا وحريتنا .. أما اذا لم يفعلوا ذلك فيجب أن يضعوا فى حسابهم أن مصر بشبابها تعمل فى كل يوم وتجاهد من أجل غايتها وهي سوف تحصل على هذه الغاية رغم أنف الجميع وعندئذ تشعر انجلترا انها قد أخطأت وانها قد أساءت التصرف يوم لم تصغ لصوت التعاون والصداقة والحرية .

وأحمد الله انى وأخى فتحى كنا امينين على هذه الرسالة فى أحاديثنا مع بعض النواب الانجليز .. مثل ما فى الـكراسة التي نعدها للطبع مثل ما فى خطاباتنا التى سـوف نلقيها على مسـامع النواب المسؤلين تحدثنا وسوف نتحدث بهذه الصراحة التى حدثتكم عنها الآن وبوجهة النظر هذه . وكم يسعدنى أن أقول لـكم أن كل من حدثتهم قد أحلوها محـل الاعتبار

وسوف نبارح لندن الى جنيف عندما نرى أن وجودنا فى لندن لم يعد مثمرا .

وسوف نبارح جنيف الى مصر عندما نعرف أن وجودنا فى جنيف لم يعد مثمرا وهذا هو كفاحنا أيها السادة لا نضيع دقيقة واحدة من حياتنا لا نستغلها من أجل كفاحنا .. وليس هذا بعجيب لأن مبدأ مصر الفتاة يقول :

« حاسب نفسك كل ليلة ماذا قدمت من أجل بلادك »

وهذا ما نفعله بالليل وبالنهار وفى كل دقيقة ان نحاسب انفسنا ماذا فعلنا من أجل بلادنا واستقلال بلادنا .. والله يوفقنا والله يرعانا

والمجد لمصر

قرار المجتمعين

وعقب سماع هذا الخطاب قرر المجتمعون ارسال البرقية التالية لرئيس وزراء انجلترا ووزير خارجيتها وزعماء أحزابها .

البرقية

« الطلبة المصريون فى جامعات انجلترا الذين يرمزون إلى التعاون الودى بين الأمتين الانجليزية والمصرية والمجتمعون بحضور الأستاذين أحمد حسين وفتحى رضوان مندوبى مصر الفتاة يلتمسون من الحكومة الانجليزية أن تشرع باجابة المطالب القومية بابرام معاهدة التحالف بين البلدين وتعزيز الدفاع الوطنى ، والاعتراف بحقوق مصر الكاملة فى السودان وانهاء الاحتلال وعدم الاعتراض على الغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة وبهذا تستطيع انجلترا أن تكون واثقة من اخلاص المصريين ومعونتهم الصادقة المثمرة وتحية للامبراطورية العظيمة » .

والمجد لمصر

الكفاح فى لندن

واصل الأستاذ احمـد كفاحه فى لندن هو وزميله الأستاذ فتحى فى نجاح عظيم فاتصل بعشرات من النواب والرجال المسئولين وتبادل معهم الرأى والاحاديث

ولقد كان من بين من قابلهم السير جون واردلوملن رئيس اللجنة المصرية وقد جرت بينهما فى مكتب السـير مردوخ مكدونالد وهو نائب آخر من أشهر نواب الانجليز .. جرت بينهم محادثات فى القضية المصرية تناولت أدق تفاصيلها مما أعطى الأستاذ احمـد صورة واضحة مما ستكون عليه المفاوضات بين مصر وانجلترا . . وكان من بين الذين قابلهم غير من تقدم الميجر اتلى زعيم حزب المعارضة .. وقد تمت المقابلة رسميا بمجلس النواب .. كما قابل كثيراً من وزراء العمال السابقين ونوابهم كالمستر جرينود ولانسبورى الزعيم السابق للعمال واللورد لامنجتون وكثيرون من النواب غير هؤلاء وقد قابل كذلك جميع رؤساء تحرير الصحف الكبرى فى لندن وشرح لهم القضية المصرية من وجهة نظر الجيل الجديد ودعى للخطابة فى أحد مؤتمرات طلبة الجامعات الاشتراكيين فى مدينة كارديف والتى تقع فى ويلز فسافر اليها والقى بها خطابا كان له وقع عظيم فى نفوس السامعين وقد أصدر المؤتمر عقب سماع الخطبة القرار التالى

« يقرر هذا المؤتمر : أولا — أنه يؤيد أتم التأييد مايجاهد الطلبة المصريون فى سبيله من الحرية والدستور والاستقلال وعضوية عصبة الأمم

ثانيا — يعرب عن استنكاره التام للأساليب التى اتبعها أولوا الأمر فى الحكومة البريطانية لقمع المظاهرات المصرية

ثالثا — يطالب حزب العمال بتأييد مطالب مصر

ولقد كان لهذه القرارات دوى عظيم فى مصر وانجلترا فان ماتجلى فيها من

حماسه وصراحة كان كسبا عظيما لكفاح الشباب فى مصر وللاستاذ احمد حسين ولقد اتصل بالاستاذ احمد حسين بعض الشركات التلغرافية وأخذت منه حديثا عن القضية المصرية وجمعية مصر الفتاة فاعطاها حديثا نشر فى اكثر من مائتى جريدة من جرائد العالم فكان هذا أول حادث من نوعه فى تاريخ الدعاية لمصر فلم يسبق أن نشرت تفاصيل عن القضية المصرية والمطالب الوطنية فى هذا العدد الضخم من الجرائد فى آن واحد .

وكذلك أعد الاستاذ مذكرة قوية شرح فيها القضية المصرية وتاريخ المفاوضات وحقيقة المطالب المصرية ووزعها على جميع النواب والصحافة لا فى انحاء انجلترا فحسب بل فى أنحاء الامبراطورية بأسرها .

وأخيرا دعى الاستاذ الى عقد اجتماع عام فى ١٧ يناير سنة ١٩٣٦ فى أحد صالات لندن المشهورة واسمها كنجزواى هول برئاسة المستر لانسبورى زعيم العمال السابق وقد اكتظت صالة الاجتماع بالحضور من رجال الصحافة والطلبة وممثلى الرأى العام

وافتتح الاجتماع المستر لانسبورى بخطاب طويل أيد فيه المطالب الوطنية ثم عقبه الأستاذ فتحى رضوان فألقى خطابا ألم فيه بمظاهر التطور المصرى والنهضة المصرية ثم ألقى الأستاذ احمد حسين خطابه الذى عرض فيه للمسألة المصرية ابتداء من تصريح ٢٨ فبراير حتى الحوادث الأخيرة والحوادث والأسباب التى دعت اليها والشروط التى يجب أن تتوفر فى أى معاهده يقبلها الجيل الجديد وفيما يلى ترجمة هذا الخطاب . وعند الانتهاء من القائه وجه الحاضرون عدة أسئلة للأستاذ فأجاب عليها ثم قرر المجتمعون قرار نشرته جميع الصحف وهو أن يؤيدوا مصر فى مطالبها ويتمنون نجاح المفاوضات .

ترجمة الخطاب

الذى ألقاه الاستاذ احمد حسين بالانجليزية

فى الاجتماع الكبير الذى عقد برئاسة المستر جورج لانسبورى

زعيم حزب العمال السابق

سيدى الرئيس «١» — سيداتى — سادتى :

هل أستطيع أن أبدأ حديثى قبل أن أعبر عن شكرى الذى لا حد له لتفضلكم بالحضور الى هذا الاجتماع . ان هذا التكريم فى الواقع موجه لمصر وهذا ما يضاعف شكرى . . وهل أستطيع وأنا المصرى وقد عرف المصرى بفيض العاطفة ألا أحدثكم عن أثر تفضل حضرة الرئيس بحضور هذا الاجتماع وتظليله إياى بعطفه . . الحق أن هذا كله قد هزنى من الأعماق وأشعر أننى مدين لكم بكثير من الجميل الذى لا ينسى .

المشكلة الايطالية الحبشية

وبعد — أيها السادة تشغلكم فى كل صباح ومساء منذ عدة شهور مسألة هامة تعتبرونها حيوية وهى مسألة النزاع الايطالى الحبشى. وهى حيوية ليس فقط لأنها تدور حول مبادىء الانسانية بأسرها .. ليس فقط لأنها أحرج نقطة فى تاريخ العالم بأسره والقانون الدولى فاما انهار هذا القانون

(١) رئيس الاجتماع هو المستر لانسبورى أحد معبودى الشعب الانجليزى لانسانيته. وزعيم العمال السابق بعد استقالة ماكدونالد وأحد وزراء وزارة العمال

الى حيث يعلم الله متى يعود . . . وإما انتصر فاشرق على الانسانيـة فجر جديد من السلام والاخاء والتعاون . . بل لأن النزاع الايطالى الحبشى يهمكم أكثر من ذلك بقدر ما يعرضكم أنتم للحرب التى تكرهونها . . فلا عجب أن كانت هذه المسألة اهي شغلكم الشاغل فى الجرائد وفى المجتمعات وفى الحكومة .

المسألة المصرية

على أن مسألة أخرى بدأت تحتل بدورها الـكثير من اهتمام منـذ أمد قصير وهذه هى المسألة المصرية والتى عادت من جديد بكل قوتها على بساط البحث .

فلقد مضت عدة سنوات لم تسمعوا فيها عن مصر قليـلا أو كثيرا . وخيل للانجليز أن مصر قد استنامت وانها قد رضيت بكل ما يجرى عليها حتى كان خطاب السير صمويل هور فى الجلدهول فاذا بمصر تنقلب رأسا على عقب وإذا بالمظاهرات والضحايا .. وإذا بمصر ابتداء من جلالة مليكها حتى أصغر فلاح فيها صوت واحد ، وعقيدة واحدة . وإذا بالطـلاب فى مصر يقابلون الرصاص باسمى الثغور ويقعون على الأرض صرعى وآخر كلماتهم .. « المجد لمصر » و « ليسقط الظلم والظالمون »

ولقد خيل للانجليز أن خطاب السير صمويل هور والذى اعترض فيه على الدستور كان هو السبب فى كل هـذه المظـاهرات واذن فان تصريحا جديدا يسمح للدستور بالعودة كفيل باعادة الأمور الى نصابها . . ويظهر

أن طابع السياسة الانجليزية فى مصر سيظل داعما وموسوما بالجهل بحقيقة مشاعر المصريين فان غضبة المصريين لدستورهم لم يكن معناها أنهم يريدون هـذا الدستور فحسب لا ايتها السيـدات والسادة فان هذا الدستـور حق من حقوقهم اعترفت به انجلترا فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ عندما أعلنت مصر كدولة مستقلة ذات سيادة وعندما قالت فى خطابها الى عظمة سلطان مصر « ان اقامة حكومة دستورية مسئولة من حق جلالة الملك بالاتفاق مع شعبه » فاذا اعترضت انجلترا على الدستور بعد ذلك فهى فى هذا تخالف عهودها ومواثيقها وهى فى هذا تزعزع الثقة فى الاعتقاد بقيمة هذه العهود والمواثيق فى الوقت الذى تعرض نفسها لخطر الحرب بحجـة المحافظة على العهود والمواثق .

حقيقة عواطف المصريين ومطالبهم

وأذن فقد ثار المصريون لان الاعتراض على الدستور يصيب استقلالهم فى الصميم ولكن عودة الدستور لم تكن هي كل مايصبون اليه فهم يريدون جديدا . . يريدون استكمال نقص يحسونه لايريدون الرجوع القهقرى . . ما هو هذا النقص الذي يحسه كل مصرى وتريد مصر استكماله .. ماهى هذه المطالب المصرية هذا موضوع حديثى بالتفصيل هذه الليلة ولعلكم بعد ذلك تستطيعون أن تتبينوا عدالة مطالبنا ولا يدهشكم بأى حال من الأحوال ما يجرى الآن فى مصر بل سوف تعطفون عليه وتهشون له وسوف تطالبون حكومتكم بالاسراع لاجابة مصر لأن العدالة تقتضى ذلك .. وتقتضيه العهود والمواثيق .

لست أريد أن أرجع بكم إلى الوراء كثيرا وأن نتحدث عن تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية وكيف بدأت . . لست أريد أن أحدثكم عن العهود والمواثيق التى قطعتها بريطانيا على نفسها تجاه العالم وتجاه مصر معلنة فيها أنها أول من يحترم استقلال مصر ويعتبر حقوق المصريين ولكنى أسرع الى سنة ١٩٢٢ عندما اعترفت انجلترا بمصر دولة مستقلة فى تصريحها المشهور تصريح ٢٨ فبراير

والمطالع للتصريح يعرف أنه يحتوى نقطتين هامتين .

الأول — الاعتراف التام باستقلال مصر وسيادتها المطلقة .

الثانى -- احتفاظ انجلترا ببضعة تحفظات لتحل عن طريق مفاوضات حرة تعقد بين الدولتين

واذا كانت هذه التحفظات تمس استقلال مصر فان المفهوم أن هذا المساس لم يكن مقصودا به أن يستمر طويلا بل أن ينتهى حالما تعقد مفاوضات جديدة بين الحكومة البريطانية بالاتفاق مع الحكومة المصريه على أن يكون هذا التصريح خطوة أولى تتبعها خطوة ثانية وسريعة لحل القضية المصرية حلا نهائيا أى أن كل تلكؤ من جانب الحكومة الانجليزية فى حل هذه التحفظات يعتبر نقضا للعهود ورغبة فى الاستمرار على العدوان على استقلال مصر .

المفاوضات المتعاقبة

ولذلك فقد أعقبت هذا التصريح مفاوضات بعد فترة وجيزة بين المرحوم

سعد زغلول والمستر ماكدونالد رئيس الوزارة الانجليزية وقتذاك ولعله مما أحزن كل مصرى فشل هذه المفاوضات والتى أمل المصريون فيها كثيرا فان المستر ماكدونالد كان مشهورا فى مصر بقدرته على حل القضية المصرية قبل أن يفرغ من شرب فنجانه. فلما جاء الحكم أمل المصريون خيراً ولذلك كان فشل هذه المفاوضات صدمة عنيفة تركت أثراً سيئا فى نفوس المصريين .

على أنه لم يمض عامان أخران حتى بدأت مفاوضات جديدة بين المرحوم ثروت باشا صاحب تصريح ٢٨ فبراير والمستر اوستن تشمبرلن .. ولقد كانت هذه أيضا فرصة ذهبية لنجاح المفاوضات فقد كان ثروت باشا على رأس حكومة ائتلافية وكان سعد زغلول زعيم الأمة يؤيده .. وثروت باشـا رجل اشتهر عند الانجليز بالهدوء والاتزان ومع ذلك فقد فشلت هذه المفاوضـات ؛ .

وبعد عامين جرت مفاوضات جديدة بين محمد باشا محمود والمستر هندرسون وأعقبتها مفاوضات بين النحاس باشا رئيس الأغلبية والمستر هندرسون . وقد أدت هذه المفاوضات الأخيرة الى أكمل مشروع معاهدة عرض على مصر وهو ما نسميه معاهدة سنة ١٩٣٠ وفى هذه المعاهدة لأول مرة تم الاتفاق بين الطرفين على ثلاثة تحفظات من أربعة اتفاقا تاما وحصل الاختلاف على التحفظ الرابع الخاص بالسودان . . وقد قطعت المفاوضات . ولـكنها قطعت وسط تفاهم تام بين الطرفين لاستئنافها من جديد فى الساعة المناسبة

الامل فى مفاوضات جديده ناجحة

والمتتبع لتاريخ المفاوضات أيهـا السادة يرى أن كل مفاوضة جديدة كان يتجلى فيها اتفاق اكثر من الطرفين وتفاهم أوضح..وان الزمن كلما امتد

بالانجليز .. فانه يساعدهم على فهم الحقائق أكثر واكثر واجابة المصريين الى مطالبهم . ولذلك فقد آمل المصريون منذ سنة ١٩٣٠ ان تستانف هذه المفاوضات التى انقطعت وهم على يقين أن التجربة الجديدة بعد كل هذه المحاولات السابقة لا بد أن تؤدى الى نجاح هذه المرة .. كما اقتنعت الامة المصرية بفائدة التعاون مع الانجليز وصداقتها صداقة حرة شريفة لا صداقة العبد للسيد. ومع ذلك فان هذه المعاهدة المنشوده والتى تضع حدا للمركز الشاذ لانجلترا فى مصر لم تسع اليها انجلترا اطوال ست سنوات مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ المفاوضات منذ سنة ١٩٢٢ .. فمضى هذه المدة الطويلة دون ان تفكر الحكومة الانجليزية فى حل النقط المعلقة جعل الشعب المصرى يتشكك رويدا رويدا فى نوايا انجلترا تجاه استقلاله وحريته ورغبتها فى استغلال الحالة المعلقة لسلب حقوقه من جديد .

هل تلام مصر لرفضها هذه المعاهدات

قد تقولون كما سمعت من نفر كثير من افاضل الانجليز ان الشعب المصرى هو المسئول عن رفض هذه المعاهدات فلا يلومن الا نفسه ... ولكنى أرد عليكم بأنه ماكان يمكن أن يقبل معاهدات تعود به القهقرى الى الوراء بينما هو الآن فى مركز حسن عنه فى ظل أية معاهدة من هذا القبيل .

اما مركزه الحسن فى الوقت الحاضر فهو عدم اعترافه بشرعية الاحتلال وبقاء الجنود الانجليزيه فى مصر فانجلترا منذ سنة ١٨٨٢ حتى اليوم وحتى تبرم هذه المعاهدة تعتبر غاصبة لحقوق المصريين ومعتدية على القانون الدولى ولست انا

الذي اقول هذا القول ولكنها الحكومة الانجليزية نفسها واليكم ماقاله السير اوستن تشمبرلن فى مذكرته عن مفاوضاته مع ثروت باشا مشيرا الى هذا الوضع غير الشرعى لانجلترا فى مصر (١)

فأنتم ترون ان الحكومة الانجليزية تعرف ان مقامها فى مصر غير شرعى وأنها فى خطر دائم من انتفاض المصريين عليها يؤيدهم القانون الدولى .. وان المعاهدة هي وحدها التى تجعل المقام شرعيا بحيث تطمئن انجلترا نهائيا الى تعاون مصر وصداقتها

واذن فان مصر التى ستعطي هذا الحق لانجلترا طوال عشرين سنة وهى مدة المعاهدة . من حقها الا نعطى هذا الحق الا فى مقابل مزايا حقيقية لاتتمتع بها الآن أو تستطيع ان تتمتع بها تحت ظل أى نظام من نظم الحكم .. واذن فلا ينبغى لاحد أن يعيب على المصريين رفضهم هذه المعاهدات فى حينها مادامت هذه المعاهدات لا تحقق آمالنا القومية والتى لاتتعارض بأى حال من الاحوال مع مصالح انجلترا ..

والغريب أيها السادة ان انجلترا كانت دائما تقر وجهة نظر مصر فى رفض المعاهدات .. وذلك بان تكون معاهدتها التالية خير من سابقتها واكثر اقترابا الى وجهة النظر المصرية .

بدء تدخل الانجليز فى شئون مصر اخيرا

ولقد اشتركت انجلترا منذ عام فى انقلاب دستورى فى مصر فتدخلت

---

(١) نشرت هذه المذكرة فى الكتاب الابيض الصادر فى سنة ١٩٢٨ من مفاوضات تشمبرلن ثروت

بشكل علني واضح وطلبت اسقاط وزارة عبد الفتاح يحيى وأشارت بالغاء دستور سنة ١٩٣٠ وتولية وزارة جديدة يرضى عنها الشعب (أى وزارة نسيم باشا الحالية) ولقد كان هذا تدخلا فى استقلال مصر من غير شك ولكن مصر قبلته على مضض اولا — لأنه وافق مطالبهم فى اسقاط هذه الوزاره والغاء دستور سنة ١٩٣٠ .. ولانها اعتبرته بدء عهد جديد من الحرية والاستقلال قد ينتهى بمفاوضات تحل المسائل المعلقة . ولكن فرح المصريين وأملهم لم يدم طويلا وسرعان ما أصيب بضربات متلاحقة . صدقونى انها السبب فى كل ما حدث فى مصر أخيرا وسوف تكون السبب فى كل ما يحدث فى المستقبل ان لم تبادروا بتغييرها ووضع حد لها .

فان تدخل انجلترا فى الغاء دستور سنة ١٩٣٠ لم يكن حبا فى سواد عيون المصريين ولكن ظهر أنه كان لمصلحة انجلترا وهو أن تعمل مع وزارة تحكم حكما دكتاتوريا .. فيستطيعون عن طريقها أن ينفذوا كل مطالبهم والتى لا يمكن أن تقرهم عليها حكومة دستورية فعلى الرغم من أن الامة كلها طالبت بدستور سنة ١٩٢٣ وقد وافق جلالة الملك اعزه الله على اعادة هذا الدستور . بالرغم من ذلك سمعنا أن انجلترا تعترض على هذا الدستور وان مفاوضات تجرى فى الخفاء لازالة الاعتراض .. وان نسيم باشا قد سجل احتجاجه رسميا على اعتراض انجلترا بخطاب بعث به الى المندوب البريطانى .

هذا كلام قيل أيتها السيدات والسادة فى مصر بطريق رسمي فأخذ يستقر فى نفس كل مصرى ان انجلترا بدأت سياسة جديدة مؤداها أن تسلب مصر حقوقها القديمة فى الوقت الذى ستتطلع فيه مصر لاستكمال حقوقها . وهذا ما حدا

بالمصريين جميعاً ان يقفوا فى صف دستور سنة ١٩٢٣ حتى هؤلاء الذين اعترضوا عليه .

اغراق الادارة المصرية بالانجليز وتعيين الخبير الفنى

وقد تجلت رغبة الحكومة الانجليزية فى التداخل في الشئون المصرية الصغيرة بوضوح فى عشرات الموظفين الانجليز الذي بدأت تمتلىء بهم الادارة المصرية من جديد بعد أن دفعت مصر ثمانية ملايين من الجنيهات ثمنا للتخلص منهم طبقاً لقانون التعويضات المشهور

وفى الوقت التى تجاهد مصر للتخلص من نفوذ موظفين كبيرين فى الحكومة المصرية وهما المستشار الانجليزى لوزارة المالية والمستشار لوزارة الحقانية ولم تحل معاهدة من المعاهدات من التحدث عن قرب الغاء منصبيها .. إذ بنا نرى وظيفة المستشار وأعنى بها الخبير الفنى المزود بحق الاتصال وقد خلقت له وزارة التجارة والصناعة خلقاً ودعى لتنظيمها قبل انتخاب وزير لها فأخذ أهم مصالح الدولة ووضعها تحت لواء هذه الوزارة التى يشرف عليها اشرافاً كلياً .. وهكذا رأينا النفوذ الانجليزى الذي فعلنا كل شىء للتحرر منه يعود من جديد أقوى مما كان فى أى عهد من العهود

وهكذا بدأ سخط الشعب على هذه السياسة يتطور رويداً رويداً حتى جاءت بضع حوادث أسرعت بانفجاره ومن أهم هذه الحوادث بل أهمها الحرب الايطالية الحبشة

الحرب الايطالية الحبشية

فى هذه الاثناء بدأ النزاع الايطالى الحبشى يأخذ شكلا جديا . . وبدأ موقف انجلترا وايطاليا ينذر بحرب فى البحر الابيض المتوسط . . واذا ما تحدثنا عن حرب بين انجلترا وايطاليا فى البحر الابيض فهى لا تعنى إلا شيئا واحداً . . لا تعنى إلا حرباً تدمر فيها مصر تدميراً سواء خرجت انجلترا من هذه الحرب منتصرة أو منهزمة . فان قنال السويس والذى هو أرض مصرية . . هو الطريق بين ايطاليا وأبنائها فى الحبشة . وسوف يغلق هذا الطريق لدى أول اشتباك بين انجلترا وايطاليا . . واذن فسوف ترى ايطاليا نفسها مضطرة لأن تتصرف بيأس وأن تصل الى أبنائها عن طريق مصر . . سوف تضطر ايطاليا أن تضغط على انجلترا بطريق الهجوم عليها فى مصر واجتياح مصر . . هذا هو ما تعنيه حرب بين ايطاليا وانجلترا فى البحر الابيض

وليس ذلك اسرافا فى التشاؤم ولكنها حقائق مجردة . . فماذا فعلت مصر للدفاع عن نفسها حيال هذا الخطر الداهم . . ماذا فعلت مصر حيال هذا الخراب الذى يتهددها . . أقسم لكم أنكم لن تصدقونى اذا قلت لكم أنها لم تفعل شيئا مطلقا . . ومع ذلك فهذا هو الواقع

لا جيش . لا أسلحة . . لا اجراءات وقاية . . لا شىء مطلقا . حقا زحف الاسطول الانجليزى الى مصر . . حقا وصلت الى مصر بضع مئات من الطيارات الانجليزية . . ولكن مصريا واحداً لا يمكن أن يرى فى كل

هذه الاجراءات الا محاولة للدفاع عن مركز انجلترا فى مصر . . لا دفاعا عن مصر نفسها . . وفرق بين الدفاع عن مركز انجلترا فى مصر والدفاع عن مصر وسكان مصر

فالدفاع عن انجلترا فى مصر يعنى الدفاع عن أساطيلها ، عن مطاراتها عن قواعد جنودها عن قناة السويس ولكنه لا يعنى مطلقاً الدفاع عن المصريين المنتشرين فى صعيد مصر والذى يمتد أكثر من مائتي ميل نحو الجنوب . . والذى يمكن أن يقلب رأسا على عقب أثناء غارة جوية واحدة من طيارات الطليان المرابطة على الحدود . . أجل قد تنجح الطيارات الانجليزية فى طرد الطيارات المعتدية ولكن بعد أن يكونوا قد خربو كل شيء ولم يخسروا شيئاً

معارضة انجلترا

في زيادة الجيش المصرى واكمال معداته

صرخ المصريون يطالبون الحكومة أن تتخذ شيئا من اجراءات الوقاية ضد الغاز وضد الطيارات . . ولكن الحكومة الانجليزية رفضت ذلك . . صرخ الشعب يطلب زيادة الجيش للدفاع عن مصر بدماء مصرية ولكن انجلترا رفضت ذلك رفضت انجلترا حتى الآن أن تسمح للشعب المصرى أن يدافع عن نفسه اذا كان محل اعتداء وفضلت أن تكلف نفسها ملايين الجنيهات والتى جمعتها من فقرائكم ومن عمالكم . . تصرفها بتبذير وسخاء كيما تدعم سياسة الصلف والغطرسة والتي تجعلها بالتالى لا تطمئن

الى معونة المصريين . . أفتعرفون لماذا تريد انجلترا أن لا يزاد الجيش المصرى وأن لا يقوم المصريون . . بحراســة أنفسهم . . كيما تقول للمصريين غدا لقد دافعت عنكم . . لقد حميتكم واذن فلى حق على بلادكم

هذه هى السياسة التى رأى كل مصرى أن انجلترا تدفعه فيها فهى تثير حوله حربا لا يعتبر مسئولا عنها ولا جريرة له فيها ثم توثق يديه وتكم فاه كى تشعره بأنه ضعيف عاجز وأنه لولاها لراح ضحية الحرب . . ثم تدافع عن مصالحها الاستعمارية فى مصر كيما تتيه بعدئذ على المصريين أنها دافعت عنهم لاأيها السيدات والسادة لا يوجد مصرى يقبل هذه المهانة .. لايوجد مصرى واحد يقبل أن يرى بلاده مهدده ثم لا يبذل حياته للدفاع عنها

جهل الانجليز بقوة مصر

يخيل لكثير من الانجليز الذين حادثتهم وكلهم ممن يقولون أنهم درسوا القضية المصرية ويعرفون كل شيء عن مصر ان مصر لاتقوى على ايجاد جيش وهي لاتقدر على الدفاع عن نفسها .. فاسمحوا لى أن أقول لكم أن هؤلاء السادة لا يعرفون شيئا عن مصر ولا شيئا عن تاريخ العالم .. بل لا يعرفون شيئا عن تاريخ انجلترا بالذات والتي اصطدمت بالجيش المصرى وبالاسطول المصرى أكثر من مرة .. كما أرجوا أن تسمحوا لى أن اؤكد لكم أنه لاتوجد دولة فى شرق البحر الأبيض المتوسط قادرة على ان توجد الجيش الذي تقدر مصر على ايجاده .. وليس هناك ميزانية فى كل ميزانيات دول شرق البحر الابيض يمكنها أن تقدم للدفاع القومى نفقات بمقدار ماتقدم ميزانية مصر ..فمنذ نيف ومائة سنة عندما كان محمد على هو ملك مصر كان

لمصر جيش يتجاوز مائتى الف عسكرى بينما كان عدد السكان لا يتجاوز ثلاثة ملايين .. وعندما دخلت انجلترا مصر كان عدد جيش مصر أربعين الفاً واذا كانت انجلترا لم تصادف مقاومة فذلك لأنها دخلت مصر لا على اعتبار إنها غازية أوفاتحة .. ولكن لتهدأ ثورة قامت ضد ولى البلاد فى ذلك الوقت والا فبغير ذلك ما كانت انجلترا تقوى مطلقا على دخول مصر بكل أساطيلها وبكل جيوشها

غضبة المصريين

فنحن فى مصر نؤمن بحقنا فى الحياة ويجب أن نحيا .. نؤمن بحقنا فى الوقوف على أقدامنا .. ونحن قادرون على ذلك ومن هنا فقد أحس المصريون بالمهانة أن يروا الحبشة يظاهرها العالم باسره تدافع عن استقلالها .. بينما هم معتبرون من سقط المتاع .. معتبرون ولا استقلال لهم ولا كرامة فلما أن اعترض السير صمويل هور بوضوح على دستور سنة ١٩٢٣ وصرح بأن الحكومة البريطانية تشير (واشارتها تعنى الوجوب) بعدم اعادة الدستور .. كانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير .. فقام المصريون عن بكرة أبيهم يطالبون لا بالدستور فحسب فالدستور حق لهم .. بل يطالبون بوضع حد لهذه الحالة المعلقة بين مصر وانجلترا والتى تسمح لانجلترا من حين لآخر بالاستهانة بالمصريين وحقوقهم وعوطفهم الى هذا الحد .

ولقد وقفت الأمة صفا واحدا واجتمع زعماؤها فى جبهة متحدة ووجهوا للحكومة الانجليزية المطالب الآنية والتى هي مطالب مشروعة لا بد من اجابتها سريعاً والا خسرت انجلترا كثيرا . فما هى هذه المطالب .

المطالب الوطنية

١ ـ تعاون حر وتحالف شريف بين مصر وانجلترا

٢ ـ استقلال مصر التام وسيادتها الكاملة

٣ ـ الغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة

٤ ـ الغاء ادارة الأمن العام الأوروبية

٥ ـ حق مصر فى تقوية دفاعها طبق حاجاتها الضرورية وجعل التجنيد اجباريا

٦ ـ الاعتراف بحقوق مصر الكاملة فى السودان

هذه هى المطالب التي تحتاجها مصر سريعا لاستكمال استقلالها وهذا ماجئنا نطالب به لمصلحة الطرفين مصر وانجلترا

ومن الواضح ان تحقيق هذه المطالب لمصلحة مصر ولكن مايحتاج الى شىء من التفسير هو مصلحة انجلترا فى تحقيقها وهذا هو ما سأشرحه فى الأسطر التالية :

انجلترا وايطاليا

أما عن تقوية الجيش والتحالف الحر الشريف فتتجلى أهميته من الازمة الدولية الحالية . فقد أثبتت الحرب الايطالية الحبشية وأثبت النزاع الذى قام بين ايطاليا وانجلترا حول مبادىء عصبة الأمم ان ايطاليا استطاعت أن تحشد علي حدود مصر أكثر من مائة الف جندي وأن تتبعهم بمائة الف جندى آخرين وهكذا . . . وإذن فان البضعة آلاف جندى

انجليزى فى مصر يصبحون فى مأزق حرج اذا ماقامت الحرب بين انجلترا وايطاليا ويصبح مركز انجلترا الحربى معلقا تماما على أسطولها الجوى والهوائى فاما أن يحصل على انتصار حربى كامل فى البحر والجو ويحول بين الايطالين وبين التوغل فى مصر وفى هذه الحالة تكون هذه البضعة آلاف جنديا انجليزيا فى مصر زيادة عن الحاجة ولا عمل لها .. وإما أن يفشل الأسطول الهوائى والجوى فى حماية مصر بحيث تنساب اليها الوف الايطاليين وعندئذ يصبح مصير الجيش الانجليزى فى مصر معروفا منذ الآن وأعنى به الفناء عن بكرة أبيه

فالحد الفاصل اليوم مثل ماكان فى القديم هو الأسطول الانجليزى فى الهواء والماء وقدرته على العمل فاذا انتصر فلا حاجة لجيش الاحتلال وإذا انهزم فالويل لجيش الاحتلال

كل هذا بفرض أن مصر تبقى على الحياد ... ولكن مصر لايمكن أن يكون ذلك موقفها مطلقا حيال حرب تقوم على أرضها وفى سمائها فهى إما أن تأخذ هذا الجانب أو ذاك ويتوقف على سياسة انجلترا حيال مصر أى الجانبين تختار

موقف مصر اذا ماقامت الحرب

هل تقف انجلترا بجانب مصر موقف الحليف الطبيعى فتحترم عهودها وتعترف لمصر بكل حقوقها وإذن فان على مصر أن تدافع عن كيانها واستقلالها ومصالح انجلترا حليفتها أو أن انجلترا تحاول أن تقهر مصر وأن

تسلبها حقوقها وأن تحطم سيادتها ؟ إذا كان الأمر كذلك فان انجلترا يجب أن تخرج من حسابها معونة مصر وأن تتوقع على الضد عداءها فهل تريد انجلترا معونة مصر القوية دائما أم تريد أن تبقى فى فزع دائم من الميدان المصرى؟ الكلمة الآن لانجلترا لتفصل فيها

الامتيازات

أما بالنسبة لالغاء الامتيازات والمحاكم المختلطة فان الغاءها لن يمس بأى حال من الأحوال مصلحة انجليزية بل على العكس بشد أزر مصر على التحرر من نير هذه الامتيازات ، سوف تربح انجلترا كثيرا فى مصالحها الاقتصادية الخاصة في مصر. فضلا عن أن مصر والمصريين لن ينسوا لانجلترا هذه الخدمة الثمينة التى سيذكرونها دائما بالشكر والتقدير

والحق أنه ليس هناك اليوم فى مصر مايؤذى المشاعر الوطنية والكرامة الشخصية أكثر من وجود هذه الامتيازات والمحاكم المختلطة والتى تعرقل كل تطور وكل اصلاح وتحطم كل مظهر من مظاهر السيادة .

فتحت ظل الامتيازات لايدفع الأجانب فى مصر شيئامن الضرائب على رؤوس أموالهم التى تقدر بمئات الملايين ولا على دخلهم منها .. لا بل أن البوليس المصرى لايقدر على إيقاف أى مجرم ولا يمكن للمحاكم المصرية أن تتولى محاكمته . وتحت ظل الامتيازات تروج السموم البيضاء

وتجارة الرقيق الابيض والخمور والقمار . . . وتحت ستار الامتيازات ترتكب كل صنوف الجرائم والدنايا ..

والعامل . .. العامل المصرى المنكود لايمكن أن يحصل على حقوقه المشروعة لا يمكن أن ينظم نقاباته واتحاداته وان تعترف بها الدولة بسبب هذه الامتيازات المقوتة .

السودان

وانا لنعود هنا لتكرار فائدة التعاون الودى بين المصريين والانجليز فى السودان وان انجلترا ستربح من ورائه شيئا كثيرا ..

وحق مصر فى السودان لايعنى مطلقا رغبة من رغبات الاستعمار أو الاستغلال لأن السودان كان دائما جزءا لايتجزأ من مصر .

والسودان مفتاح الحياة لمصر والمصريين . كل هذا مضاف الى هذه الروابط العديدة التى تربط القطرين الشقيقين سواء فى الدين أو فى اللغة أو فى الثقافة والعادات

فاذا علمنا بعد ذلك كله أن السودان هو مخرج مصر الطبيعى اذا ما اكتظت بسكانها .. استطعنا أن نرى أنه من العبث المجادلة فى حقوق مصر فى السودان وان فصل السودان عن مصر ليس معناه إيقاف تطورها ونموها الطبيعى بل معناه تهديد كيانها بالذات

ولكننا نتساءل احق أنه من صالح السودان والسودانيين أن ينفصل السودان عن مصر ؟ لا يمكن أن يكون هناك إلا جواب اوحد

وهذا الجواب بالنفى فكما أن مصر لا تستطيع الحيـاة بدون السودان فـكذلك السودان لا يستطيع الحياة بغير مصر ومعونة المصريين .

ولا أظن أن هناك واحدا من ساسـة الانجليز يجهل أن مصر تدفع فى كل عام ٧٥٠٠٠٠ جنيها مصريا للسودان اى مقدار ما يساوى خمس ميزانية السودان بأسرها والتى تناهز فى سنة ١٩٣٤ مبلغ ٣ر٧٧٤ر٩١١ جنيه وبغير هـذه المعونة السنوية لا يمكن للحكومة السودانية أن توازن ميزانيتها بل أن تقوى على ادارة السودان .

والسودان فى حاجـة الى التطور والارتقاء فان مساحاته الضخمة بغير سكان وأراضيه الزراعيـة لا تجد من يستغلها أو يحسن استغلالها . وليس هناك غير رؤوس الأموال المصرية والعامل المصرى من يقوى على سد هذا النقص وافادة السودان وتحقيق رفاهيته .

وقد يكون من الحقائق التى يجهلها كثير من الانجليز الذين يقدرون العهود والمواثيق والشرف البريطـاني أن حقوق مصر فى ادارة السودان والاشراف عليه غير معترف بها فى الوقت الحـاضر وان القوات المصرية قد أجليت عن السودان فى سنـة ١٩٢٤ بناء على انذار بريطانى . . وتحت الضغط البريطـانى أقيم سد من الحدود والجمارك بين البلدين بحيث تدهورت التجارة بين القطرين . .

وإذن فان هذه السيـاسة يجب أن تتغير حالا ليس فقط لمصلحـة مصر والسودان بل ولمصلحـة انجلترا أيضا فان المصالح الانجليزية والتجارة الانجليزية لن تنتشر إلا فى ظلال الصـداقة والتعاون مع مصر . . . .

ما هو رأى مصر الفتاة ؟

والآن ماهو رأى الشباب فى مصر . . . نحن فتيان مصر الفتاة نقول فى غيرماتردد اننا نرغب من أعماق قلوبنا أن نرى البلدين مصر وانجلترا متعاونين تعاونا وديا صادقا . . فنحن المصريين كأفراد نعجب بالانجليز وأخلاقهم وتقاليدهم واننا لنضعهم فى مستوى أعلى من غيرهم من الدول .

ما هو برنامجها

ولا استطيع أن أترك هذه الفرصة تمر دون أن أقول كلمة عن برنامجنا فان جمعية مصر الفتاة والتى أتشرف برئاستها قد وضعت برنامجا وطنيا يعمل لاعادة بناء الأمة المصرية فى مختلف النواحى وبعث مجدها القديم . . . ففى الصناعة نريد أن نمصر الصناعات . ونريد أن نقضى على الأمية ونريد أن نصلح فى كل مكان فى الأسرة وفى المدرسة وفى الاجتماع .

نريد أن نثير كل معنوية المصريين وحيويتهم وايمانهم ونريد أن نرفع مستوى العمال فى مصر وإن نوفر لهم معيشة طيبة وحياة هنيئة ونريد أن نعيد بناء القرية المصرية وإن نمطى الفلاح حقوقه المهضومة ونريد أن نكون أحرارا فى بحارنا وفى أرضنا وجونا وذلك كله لمصلحة العالم ومصلحة بريطانيا فكل تقدم سياسى لمصر وارتقاء أدبى لها فى العالم الاسلامى والشرق يتيح لانجلترا محالفة أضخم كتلة متحدة فى العالم وأعنى بها كتلة المسلمين ويضمن لها صداقتهم .

مصر وانجلترا

هل يريد العامل الانجليزى أن يكون حائلا بين العامل المصري وبين الارتقاء وأن يحيا كما يحيا العمال فى جميع أنحاء العالم وإن يتمتع بحقوقهم ..؟!
هل يريد الوطني الانجليزى مهما كان محافظا أن يقسو على فلاحى مصر وأن يحول بينهم وبين الطعام والحياة . ؟

اذا كان لا يوجد هذا الانجليزى الذى يرغب فى ذلك فلتعترف اذن لنا انجلترا بحقوقنا وحريتنا ولتحترم استقلالا لنا .. فلتمدلنا يد الصداقة ولها أن تعتمد على اخلاصنا ..

أما إذا أبت انجلترا إلا أن تستغل ضعفنا وتستخدم أساطيلها وأسلحتها فى قهر المصريين وإذلالهم فانها لن تنجح فى كسر عزتنا .. ولن تقوى على تأخيرنا إلى الوراء خطوة واحدة . . بل هى على العكس سوف تزيدنا اصرارا وعزما . . . وسوف تمنحنا قوة وإيمانا . . . أما هي فسوف تخسر كل شيء . . سوف تخسر انتزاعها كل حب لها من قلوب خمسة عشر مليون هم أفراد شعب كانوا وسيكونون دائما أول من حمل رسالة الانسانية رسالة العلم والعرفان

والمجد لمصر



كلمة تقدير ووفاء

ستبقى دائماً أبداً زيارتى لانجلترا وكفاحى فى عاصمتها مقترنا بأسماء هؤلاء الاشخاص الأمجاد والذين ترى صورهم بجوارى وليس فيهم من لم يسهر الليل معنا كاتبا ومترجما ومتحدثا . . وليس فيهم من لم يذرع لندن من مشرقها الى مغربها مكافحا فى سبيل استقلال مصر وحريتها . . مؤمنا بمجدها وعظمتها . . وهم على الترتيب الأستاذ محمد نجيب الى يسارى والأستاذ محمد يحيى الى يمينى وكلاهما مقيم فى لندن . وفى الصف الثانى يرى الأستاذ فتحى رضوان وبجواره الأخ الصديق والمجاهد الباسل الجدير بكل حب وتقدير الاستاذ مصطفى عبد الله الوكيل ؟ احمد حسين

من لندن إلى جنيف

ومن جنيف إلي القاهره

كان الاجتماع السابق هو خاتمة المطاف فى لندن وقد رؤى أن يبادر الاستاذ فتحي بالعودة الى مصر ويواصل الأستاذ أحمد حسين طريقه الى جنيف ليقوم بالدعاية فيها للقضية المصرية على أن اقتراحا نشأ فى نهاية الاجتماع نتيجة للنجاح الذى صادفه خطاب الأستاذ أحمد حسين وهو أن ينظم المستر لانسبورى اجتماعا عاما فى مجلس النواب يحضره فريق كبير من أعضاء المجلس كيما يسمعون حديثا من الأستاذ أحمد حسين عن القضية المصرية . وقد وافق المستر لانسبورى على الاقتراح مغتبطا وأظهر استعداده للاشراف على تنظيم اجتماع من هذا القبيل ونظرا لغياب أعضاء المجلس بمناسبة اجازة رأس السنة وعدم عودتهم الى لندن الا بعد الأسبوع الأول من فبراير فقد رأى الأستاذ أحمد حسين أن يبادر بالسفر الى جنيف أولا على أن يعود الى لندن ثانية لعقد هذا الاجتماع .

وفى مساء ١٨ يناير سنة ١٩٣٦ الساعة الثامنة مساء بارح الأستاذ محطة فكتوريا . وفى باريس افترق الصديقان المجاهدان وعاد الأستاذ فتحى الى القاهرة بينما قصد الأستاذ أحمد حسين الى جنيف . . . وفى جنيف أعد الأستاذ مذكرته عن حق مصر فى الدخول الى عصبة الأمم وحقها فى الاستقلال المطلق ولما كان مجلس العصبة منعقدا فى ذلك الوقت للنظر فى مشكلة الحبشة وغيرها من المشاكل الدولية فقد كانت جنيف تعج ببعثات من

رجال الصحافة من مختلف الجنسيات فكان ذلك مرتعا خصبا لنشر الدعاية عن مصر فلم يكن يمضي يوم واحد لا يتحدث فيه الأستاذ أحمد حسين الى كثير من الصحفيين وكانت الجرائد السويسريه تظهر من حين لآخر تفيض أنهارها بالحديث عن مصر وقضية مصر الفتاة . . وعندما قدم الاستاذ احمد حسين مذكرته الى السكرتير العام للعصبة فى ٣٠ يناير تلقفتها الجرائد وشركات الاخبار واذاعت خلاصتها فى جميع أنحاء العالم وفى ٢٤ ساعة اصبحت حديث الاوساط السياسية الدولية . . .

وفى هذه الاثناء ترامت الانباء من مصر بسقوط وزارة نسيم باشا وتأليف وزارة على باشا ماهر والشروع فى المفاوضات بين مصر وانجلترا وهكذا وصلت مرحلة الكفاح الى نهايتها فقد كانت أغراض الحركة التى قام بها الشباب فى مصر والتى قام الاستاذ احمد حسين ليترجمها للعالم عودة دستور سنة ١٩٢٣ وقد عاد الدستور واعلن قرب اجراء الانتخابات وتقدمت انجلترا لمصر لتفاوضها فى حل القضية المصرية واختارت القاهرة ميدانا للمفاوضات وهكذا تحققت نبوءة الاستاذ احمد والتى اذاعها قبل سفره الا وهي ان القضية المصرية ستحل فى القاهره لا فى أى مكان آخر . . .
وعلى هذا فلم يسع الاستاذ وقد وصلت الامور الى هذا الحد من الاستقرار الا ان يعجل بعودته الى مصر وأن يلغى زيارته الثانية الى لندن وأن يبعث الى الجرائد المصرية بنداء حار نشرته فى أعز صفحاتها وهذا هو نص النداء

نداء الى الشباب والشعب المجيد

بدموع الفرح تلقيت هذا النبأ . . نبأ الشروع فى اتمام المفاوضات مع انجلترا وحل القضية المصرية .. فان هذا هو ما يتمناه كل مصرى .. وهذا ماسعيت من أجله فى عاصمة الانجليز . . واذن فلم يعد أمامى الا أن أعـود الى بلادى . . ساجداً لله شكراً أن وفقنى للقيام بواجبى . لقد كان عهداً أن أدافع عن قضيتها فى كل مكان وأحمد الله أن بررت بالعهد . وأحمد الله أن كفاح مصر بأسرها قد آتى ثماره

الى مصر اذن .. الى مصر الحبيبة العزيزة الغالية . . الى مصر المقدسة الخالدة .. الى المياه العذبة والسماء الصافية ووداعا أيها الغرب المكفهر الملبد بالغيوم . . وداعا أيتها الرعود والثلوج والظلام . . وداعا أيتها الطبيعة القاسية والتى علمت الانسان كيف يقسو على أخيه الانسان . ولـكنى اذ أبارح هذه البلاد واقترب من الوطن العزيز ابعث بندائى الى شباب مصر من الاسكندرية حتى اقاصى السودان . . لقد عملت باسمـكم وتكلمت بصوتـكم واذا كانت مصر قد استعادت دستورها فلقد اعدتموه بدمائـكم . . وغداً عندما تحقق مصر استقلالها فلقـد دفعتم ثمن ذلك من أجسادكم . أنتم الذين بعثتم روح مصر وأنتم الذين ستسهرون على حراستها . أنتم الذين اوقدتم الجذوة وانتم

الذين ستعملون على اذكائها . لافضل لاحد عليكم فأنتم اصحاب الفضل . .
ولا قيادة لاحد عليكم فأنتم القادة . هذا هو شعارى وهذا هو كفاحي
المقبل باسم الشباب وبجهود الشباب سوف نبنى مصر الحديثة وسوف نشيد
استقلالها وسوف ننسج مجدها فهلموا جميعا الى راية مصر صفاً واحداً
وصوتاً واحداً واهتفوا من اعماق قلوبكم « مصر فوق الجميع »

احمد حسين

رئيس جمعية مصر الفتاة



الاستاذ احمد حسين فى سراى عصبة
الأمم بصحبة الاستـاذ على الغاياتى عندما
توجها لتقديم المذكرة التى أعدها الاستاذ
احمد حسين بمطالب مصر ورغبتها فى
الانضمام الى عصبة الأمم وحقها فى ذلك

فى الميدان من جديد

نحو زعامة الشباب

عاد الأستاذ احمد أخيرا الى القطر المصرى الذى يحبه الحب كله والذى كرس حياته من أجله . . ولقد كان استقبالا رائعا هذا الذى استقبل به مذ وطأت أقدامه أرض الوطن المقدس . . فعلى رصيف الميناء مثل مافى محطات السكه الحديد من الاسكندرية حتى القاهرة كانت كلها تغص بمئات من أعضاء الجمعية وجنودها وكانت الأقمصة الخضراء ترى لأول مرة وقد ازدهرت وتكاثر عددها فكان الاستاذ احمد يقابل ذلك كله بأعين مغرورقة بالدموع وبقلب خاشع لله الذى كلل جهاده بالتوفيق وأعاده الى وطنه من جديد ليرى هؤلاء الذين يحبهم ويحبونه ويسعد بالكفاح فى صفوفهم ومن أجلهم .

ولقد أعدت الجمعية اجتماعا حافلا بمسرح ديانا بالاسكندرية ليخطب فيه الأستاذ بمجرد وصوله الى الاسكندريه ووزعت رقاع الدعوه والتى زاد عددها على بضعة آلاف قابلوا الأستاذ بمجرد أن وقع بصرهم علية بعاصفة من التهليل والتكبير . . وبعد سماع بعض كلمات الترحيب التى الاستاذ خطابه التالى

وفى اليوم التالى ١١ فبراير غادر الاستاذ الاسكندرية الى القاهرة فأعدت له الجمعية استقبالا رائعا فى محطة العاصمة اذ امتلأت المحطة بشباب الجامعة المصرية والازهرية وجنود مصر الفتاة بملابسهم الرسمية . . . وكانت حفاوة وكان ترحيبا لم يسبق للاستاذ أن صادف مثله طوال هذه الثلاث سنوات الأمر الذى جعلنا تنظر الى مستقبلنا من خلال حاضرنا الذى وصلنا اليه فنؤمن بقرب ساعة الانتصار . ولقد أقيم اجتماع آخر في القاهرة بمسرح برنتانيا والتى فيه الاستاذ خطابا ثانيا اشار فيه الى المفاوضات والى خطة مصر الفتاة المقبلة ، ولقد حاول الوفديون أن يعكروا صفو هذا الاجتماع الأخير فبعثوا برسلهم كيما يحدثون شغبا فى الاجتماع ولكن حماسة الحاضرين وايمانهم قد أحبطت كيد الكائدين ومرت الحفلة فى نجاح عظيم وتوفيق من الله .

خطبة الاستاذ احمد حسين
في اجتماع ديانا بالاسكندرية

أيها السادة ...

مهما كنا نعد أنفسنا جنودا مكافحين — فى حالة كفاح دائم ! — مهما كان يجب أن نكون على استعداد دائم لخوض المعركة فى أى لحظة وفى أى ساعة مهما كنا ومهما كان هذا مذهبنا فصدقونى أن أصحابى كانوا قساة على يوم ان أعدوا هذا الاجتماع لأخطب فيه بعد ساعات من وصولى الى هـذا القطر العزيز . . وهم ليسوا قساة لانهم لم يتركوا لى الوقت الكافى لأستريح من وعثاء السفر فالحمد لله أن جعـل لنا مراكب مصرية لانعرف فيها وعثاء السفر . . وصدقونى أنى مضيت أيام البحر فى أكل ونوم وراحـة وإذن فقد صار حتما على ان انزل الى ميدان العمل بمجرد نزولى . . وإذن فهم ليسوا قساة من هذ الناحية . . لا وليسوا قساة لأنهم لم يفسحوا لى الوقت لأتمتع فى هدوء بأرض الوطن ولأشرب من ماء النيل العذب ولاستنشق هواء مصر العليل فقد تمتعت بأرض الوطن وقد شربت ماء النيل واستنشقت عبير مصر منذ وطأت أقدامي أرض الباخرة .. وبارك الله فى طلعت حرب الذى نقل لنا النيل فى مرسيليا . .

ولكنكم ستشعرون معى بقسوتهم عند ما تلاحظون أنهم لم يتركوا لى الوقت الكافى لأطالع الصحف . . لم يتركوا لى الوقت الكافى لأعرف مجرى الأمور السياسية ولأوازن بين المسائل المختلفة حتى إذا تحدثت جاء

حديثي منطبقا على الساعة الراهنة ومايجب أن يكون . . .ولكنهم فعلوا ووضعونى أمام الأمر الواقع . . وهأنذا بين أيديكم لأخطبكم.

أنباء مصر...

هل تعرفون من المسؤل عن هذه الحالة . . أنه أخي فتحى فلولاه لأشفقوا على قليلا ولقدروا ضرورة اطلاعى على أحوال مصر .. ولكنه .. وقد كان معى حتى أيام قليلة ماضية فهو لايستطيع أن يخدع مثلكم ومثل اصدقائى ..وهو لايمكن أن يجابه بهذا الاعتراض الذى قدمته..بل سيبادر بالقول اننا فى اوروبا كنا نطالع أخبار مصر يوما بعديوم وساعة بساعة وكنا نطالعها فى الجرائد ونسمعها فى الراديو . . وكنا نطالعها بالتفصيل بعد أيام قليلة وإذن فلا عذر لى من هذه الناحية ..وهذاحق .. ولولا هذا لما قبلت بأى حال من الاحوال ان أخطبكم الليلة . فلعله يدهشكم - أولعله يسعدكم - اننا فى أى مكان من أمكنه أوربا .. فى باريس ولندن وجنيف لابل فى أصغر قرية وفوق قمم الجبال نطالع أخبار مصر ونسمعها ربما قبل أن يطالعها سكان الصعيد . وانى لأذهب أبعدمن ذلك فأقول ماسوف لاتصدقونه وأعنى به اننانسمع بعض الاخبار قبل أن يسمعها من فى القاهرة أنفسهم.. ففى مصر لاتصدر الجرائد إلا فى الصباح والساعة الثالثة وما بين هذين الميعادين مجهول أما فى أوربافنى كل ساعة وفى كل نصف ساعة تصدر جريدة جديدة تحمل بالتلغراف آخر أنباء مصر وفى أظهر مكان وفى أكثرها احتراما .. انها لظاهرة بديعة أيها السادة بل أنها لظاهرة تملؤنا أملا وإيمانا

وتزيدنا عزما على عزم . فقد بدأت مصر تحتل مركزها فى العالم الدولى كأمة حية ناهضة لها كل مظاهر الحياة وحقوق الأحياء كما يفهمونها . . بدأت مصر تحت حوادثها الأخيرة تقرع أسماع العالم بشده وتذكر العالمين أن على ضفاف النيل شعبا جديرا بالحياة والمجد مسلوب الحقوق . مهدر الحرية وقد حانت الساعة التى يرفع فيها هذا الظلم وينعم هذا الشعب بالحرية والاستقلال .

صوت مصر

وإذا قلت لكم ان العالم بدأ يشعر ان الساعة قد حانت لأن يرفع الظلم عن مصر وعن شعبها فاياكم وإيا كم ان يخيل لكم ان هناك يداً ستمتد لكم لرفع هذا الظلم . واياكم ثم إياكم ان يخيل لكم ان هناك فى العالم صوتا سيرتفع للدفاع عن قضيتكم لايوجد الا صوت واحد ويد واحدة وهذا الصوت صوتكم ، وهذه اليد يدكم أنتم . . أفتعرفون لماذا سمع العالم صوتكم . لان هذا الصوت قد ارتفع على صوت البارود ومدافع الاساطيل أفتعرفون اذا وقف العالم ليسمع شكاتكم ؟ لان شبابكم قد عبد الطريق بدمه فهزأ بالموت والسجن والتعذيب . . إنتصفوا لانفسكم ينتصف العالم لكم حلوا قضيتكم بأيديكم فيصفق لكم العالم طربا كونوا أقويا فيخافكم الأقوياء وهذا هو مبدئي الذى سافرت به والذى عدت به وأنا أشد إيمانا واعتقادا به وإصرارا على تنفيذه . .

العهد والميثاق

عند ما بارحت القاهرة أذعت على الناس عهدا وميثاقا وإنى لا ذكر

هذا المهدفى هذه الساعة وأنا مثاج الصدر راضى النفس فلم يكن فيه حرف واحد لم يتحقق . ولم يكن فيه جزء خاص بى لم انفذه . قلت إننى اذ أسافر الى أوروبا فلن أعود وفى حقيبتى الاستقلال أو مشروع معاهدة . لا لست أسافر لحل القضية المصرية فالقضية المصرية ستحل هنا فى القاهرة لا فى أى مكان آخر .. ستحل القضية المصرية .. يوم تأتلف الاحزاب وتتوحد صفوفنا يوم يترفع كبراؤنا عن المناصب ويحتقرون الذهب وسوف تحل قضيتنا عندما نقبل على التضحية ونسترخص الأرواح من أجل مصر .. سوف تحل القضية المصرية عند ما نؤمن بضرورة حلها ..

حمـدا لله فلم أكد أسافر ولم تكد أحزابنا تأتلف حتى عاد الدستور سريعا ولم تكد بضعة أرواح تزهق على مذبح التضحية حتى استمعت انجلترا لمطالب مصر وحتى تقدمت تجيب بعض المطالب وتستعد للمفاوضة . .

انتصار إرادة الامة

وهأنذا أعود لأرى مصر العزيزة متمتعة بالدستور ولارى الاحزاب فى كتلة واحدة والامة من خلفها صفا واحدا ولارى الشباب مازال متحفزاً ومستعدا فى كل لحظة لبذل تضحيات جديدة وأرواح جديدة . وفى الحكم وزارة لعلها الاولى فى تاريخ مصر . بل لعلها نقطة حاسمة فى تاريخ مصر ... وزارة رفعتها الى الحكم الاحزاب المؤتلفة بارادة واحدة ... ويؤيدها ويحبوها بعطفه جلالة الملك .. فالامة بأسرها ملكا وأحزابا تؤيد هذه الوزارة التى تنتظرها مهام جسام . . إجراء مفاوضات وإقامة برلمان وتنفيذ عـدة

مشروعات إصلاحية عرف بها رئيس هذه الوزارة وبعض زملائه . . وإنى أرى فى كل ذلك إنتصارا لارادة الامة .. أرى فى كل ذلك مصر القوية التى تظهر كل فضائلها فى الساعات التى يخيل للناس وللدنيا انه قد قضي عليها

لاأرى الآن فى مصر إلا كل ماهو جميل يزهو به شعب صالح للحياة . ملك وقد أحس بالايام الحرجة التى يجتازها شعبه فامتزج به يواسيه ويحبه ويشاطره الرجاء والامل والكفاح ، ويخلع عن أكتافه رداء الملكية الذى يلبسه لاجل اعزاز وطنـه ، كيما يخاطب الشعب بألفاظ الأبوة وكى يقول لكبار رجال الامة اجلسوا فليس بيننا اليوم عظيم أو صغير ولكننا أفراد أسرة واحدة يعملون لاجل رفعة وطنهم .

ألستم ترون أيها السادة أن كل هذا جميل وان روح الشعب التى انتصرت هى روح الديموقرطية الحقيقة .. وان مصر قد هزمت كل أعدائها الذين طالما تحـدثوا فى مصر عن ملك وشعب وشـعب وملك فاذا بهم لا يرون إلا مصر ولا يرون الا أسرة واحدة .. ياإلهى . وهذه الأحزاب المجتمعة فى صعيد واحد .. محمد محمود بجانب النحاس بجانب صدقى ألستم ترون قوة الشعب التى فعلت ذلك .. لطالما كانوا يقولون أن جلوس هؤلاء على مائـدة واحدة مستحيل ولم يتزعزع إيمانى لحظة واحدة بأن مصر وشعبها يفعلان المستحيل دائما . لقد كانت انجلترا تسرح وتمرح .. وكانت مطمئنة راضية فهى ليست فى حاجة الى أن تعترف بوجود مصر لا وليست فى حاجة الى أن تبقى على شبه هـذا الاستقلال الذى تتمتع به مصر .. بل لماذا لا تتخذ من الاسكندرية قاعدة بحرية اذا راق لها ذلك . بل وما هذا الصراخ حول

الدستور . ومن أنتم حتى تحصلون على الدستور ..؟ فملت انجلترا ذلك مطمئنة الى اختلاف الأحزاب فى مصر واختلافها معناه ان تحكم انجلترا مصر بواسطة المصريين الى الأبد . . وفى عشية وضحاها اذا بالشباب لا يعرف الأحزاب ولا يقبل الأحزاب .. وفى عشية وضحاها اذا بالأحزاب جبهة متحدة وإذا بالمعجزة قد تمت محمد محمود بجانب النحاس الى جانب صدقى

معجزة الائتلاف

لو تعلمون كم هللت طربا فى انجلترا وكم أحسست بالسعادة والغبطة عندما كنت أجد الانجليز حيارى مبهوتين يسألوننى تارة كيف أعالج ذلك وكيف تم ذلك ويظهرون حقدهم وبغضهم على هذه الجبهة تارات . ومقياس الاجادة هنا هو الغيظ هناك . مقياس الاصابة هنا هو الحقد هناك فاذا ما أحسنتم فسوف يلمنون ويصخبون ، وإذا أسأتم فهناك التصفيق والتهليل لأنكم اذا ما كنتم أقوياء ألزمتموهم الحجة واذا ما أسأتم مهدتم لهم طريق ابتلاعكم والقضاء عليكم . ولقد أحسست عظمة مصر كلما حملوا عليها وكنت أعتل ضخامة هذا العمل الذى قام به الشباب كلما بدا لهؤلاء الانجليز مستحيلا . .

فى قلوبهم مرض .

لقد شرعوا يحملون على مصر وشرعوا يأخذون من هذا الائتلاف حجة ضد مصر وضد صلاحيتها للحياة فكيف تنسى مصر لصدقى باشا ما فعله وكيف

تنسى لمحمد محمود باشا ما فعله. وكيف يجلس هؤلاء على مائدة واحدة ؟ لا .. اننا شعب ضعيف. وإني لواثق أيها السادة ان فى المصريين بعض المرضى الذين يشاطرون الانجليز هـذه النظرة . هنـاك بعض الأطفال وهنـاك بعض الأشخاص الذين فوت عليهم هـذا الائتلاف بعض المصـالح كما فوت على الانجليز . . هناك أشخاص تؤرقهم هذه الجبهة ويحاولون أن يطعنوا مصر وأخلاق مصر ولـكن لمثل هؤلاء أقول مثـل ما قلت للانجليز أن هـذه الجبهة هى التى يجب أن يستمد منهـا كل مصرى ايمانه بقدرتنا على القيـام بجلائل الأعمال . . لقد طالما نعوا على المصريين تشتت كلمتهم وأقسم لـكم أن الانجليز كانوا في مقدمة الناعين كى يتخذوا من هـذا حجة على عـدم صلاحية مصر للحياة الدستورية والحياة الراقية .. فاذا ما ائتلفت الأمة ساعة الخطر إذا ما نسيت أحقادها وأحزابها وتكاتفت أمام العدو المشترك إذا ما تلاقى المصريون بنعمة الله اخوانا فهزوا الغاصب وأحرجوه . . . إذا ما أعطت مصر للشرق بل للعالم بأسره مثلا رائعا فى توحيد الصفوف ساعـة الخطر جاء هؤلاء الأعداء وهؤلاء المرضي ينعون على مصر توحيد كلمتهـا وجمع قواها

لا أيها السادة . . عاش النحاس باشا وعاش طويلا وعاش صدقى بجانب النحاس وعاشت الجبهة كلها متراصة متحدة . ان هذا مثل أعلى للتضحية وانكار الذات مثل أعلى للفناء من أجل الوطن ويجب أن نشكرهم من أجل ما بقوا يعملون للوحدة ويسعون اليها.

الوحدة .. الوحدة

تألفت الجبهة كما قلت لكم فعاد الدستور وسقطت هذهالوزارة العاتية والتي كان يجب أنتسقط منذ أمد بعيد . هذه الوزارة التي راحت ولست أملك الآن أنا الذى لاأعرف الكره والحقد ، لست أملك بالرغم منى الا لعنة أصبها على أيام هـذه الوزارة السوداء . وعلى كل ما اقترفت فيها من أثام . والتى لم تشأ أن تبارح الحكم الا بعـد أن تلطخ صفحاتها بدماء الابرياء والشبان

عاد الدستور وسقطت الوزارة وتألفت هـذه الوزارة وتقدم الانجليز يظهرون استعدادهم للمفاوضـة ولست أعرف مايجرى وما يتم من محادثات فى هذه الايام . ولكنى أبعثها اليكم من فوق هذا المنبر كلمة حاره كيما تستقر فى نفوسكم وكيما تنفذ من هذه الجدران لتستقر فىنفوس الاربعة عشر مليونا ، أبعثها اليكم من هذا المنبر كلمة حارة لتقرع أذن كل زعيم وكلشاب حافظوا على وحدتكم.. حافظوا على جبهتكم .. قوا ايمانكم تحصلوا على كل شىء . .

هذه الوحده التى دفعنا ثمنا لها كل هـذه الآلام يجب أن تبقى وأن تستمر . فهي التى سننتصر بواسطتها ان لم يكن اليوم فغداً .

ولذافاني أعلنباسم مصرالفتاة بل باسم الشباب قاطبة أن الوحدة يجب أن تستمر باخلاص . والويل لكل من تحدثه نفسه بالخروج على هـذه الوحدة كائنا من كان . أن الشباب لن يرحم كل من يعبث بارادة الأمة . ومصر الفتاة اليقظـة لن تسمح لكائن من كان أن يحطم سفينة النجاة .

وأعود الي سياق الحديث فأقول انه قد وقع كل ما تنبأت به وقطعت الأمة شوطا بعيدا فى سبيل تحقيق أمانيها .

مهمتي في اوربا

أما مهمتى فى أوربا كما جاءت فى العهد الذى أخذته على نفسى فهو أن أسمع العالم المتمدين صوت مصر وارادتها . هو أن أهيب بهؤلاء السادة الذين يتحدثون عن حرية الشعوب وحماية الضعفاء والذين يدافعون عن استقلال الحبشة أن مصر أيضا لها استقلال ومصر أيضا لها كرامة ومصر أيضا لها حرية فماذا فعلوا بهذا الاستقلال وماذا فعلوا بهذه الحرية وهذه الكرامة .

وأشهد أيها السادة لقد فعلت ذلك أنا وأخى فتحى رضوان فى لندرة وبعد ذلك فى جنيف .. فى لندرة قابلنا نوابا وقابلنا زعماء .. وقابلنا موظفين وكان الجميع يحسنون الاصغاء لنا ! أتعرفون لماذا ! لان الحوادث التى كانت تجري فى القاهرة كانت تضطرهم للاصغاء · ولقد عقدنا اجتماعات وشاهدنا اجتماعات . ووزعنا نشرات ومقالات واحاديث . وفى كلمة فهمنا الانجليز وفهمونا . فما الذى فهمنا منهم وما الذى فهموه منا .

خصوم شرفاء ولكن

فهمنا الانجليز أيها السادة وأعجبنا بهم .. أعجبنا بآدابهم .اعجبنا برقيهم . وأحسسنا كما أحس زعيمنا سعد زغلول بالامس أنهم خصوم شرفاء معقولون ولكن علي شرط .. على شرط واحد أيها السادة وفي اغفال هذا الشرط

خطر وأى خطر ، اغفال هذا الشرط هو السر فى النكبة التى أصابتنا فى العشر سنوات السابقة على هذه الحوادث الاخيرة . اغفال هذا الشرط هو الذى أعجز حكوماتنا المتوالية أن تفعل شيئا من أجل مصر . نعم ان الانجليز خصوم شرفاء معقولون . أقولها بأعلى صوتى ولكن على شرط أن يكون خصومهم أقوياء ، اما ان كان خصومهم ضعفاء فالويل كل الويل للضعفاء سوف يصبح الشرف والعقل وسيلة للقضاء على الخصوم الضعفاء

القميص الاخضر

فان ارادت مصر أن تتفاهم مع الانجليز .. أن أرادت مصر أن تجنى ثمرة شرف الانجليز ومعقوليتهم . فيجب أن تكون قوية بتوحيد صفوفها بقظة شبيبتها واستعدادها الدائم للتضحية .. يجب أن تكون مصر قوية بنظامها .. والنظام هو نصف برنامج مصر الفتاة . ومنذ الساعة الاولى نادينا بضرورة النظام وتنظيم الشباب .. منذ الساعة الاولى أحسسنا بهذه القوة الكامنة فى توحيد الزى وارسال الاناشيد فنادينا بالقميص الاخضر وفرق المجاهدين فهزأ منا أقوام وسخر غيرهم وحاربنا آخرون .. ولكنا ظللنا على عزمنا ومبدئنا ثلاث سنوات كاملة عانى فيها القميص الاخضر ماعانى .. فكم اقتيد شباب منا إلى السجون .. وكم مزقت العصى أجسادنا . وفى هذه القاعة بعض الضباط يشهدون على ذلك حتى اذا كنت فى أوربا وسمعت عن تأليف فرق القمصان الزرق . أسعدنى هذا الانتصار . أسعدنى أن شعر الشباب بالحاجة الى النظام .. أسعدنى أن فكرة مصر الفتاة فى النظام والعسكرية قد انتصرت والنظام هو القوة ومتى صرنا أقوياء فسوف يسمعنا الانجليز وسوف

يصغون لنا . وكلما زدنا فى القوة زاد حبهم لنا وعطفهم علينا فليسمعها كل مصرى وليسمعها كل شاب . ليسمعها كل زعيم .. علينا أن نكون أقوياء وأن نكون أقوياء بالنظام .

هذا هو مافهمته من الانجليز أما ما أفهمته لهم فهو اننا فى مصر سواء فينا المتطرفون أو المعتدلون نرغب فى صداقتهم نرغب فى التحالف معهم تحالف الحر للحر . فان قبلوا هذه الصداقة فمرحبا بهم فليعطونا حقوقنا وسوف نكون أصدق حلفائهم . أما اذا رفضوا هذه الصداقة فيجب ألا ينتظروا منا الا خصوما أشداء لا نكل ولا نمل ولا نلين . نعرف كيف نحاربهم وكيف نستخلص حقوقنا .. وكيف نهدمهم فى الساعة المناسبة .

وفى جنيف

أما فى جنيف أيها السادة فلقد فهمت أشياء أخرى على جانب عظيم من الخطورة فهمت أن مصر قد قطعت شوطا بعيدا فى الحياة الدولية وأن العالم بأسره يتطلع لها ويترقب حضورها .

حضرت جلسات مجلس العصبة . عدة أيام متوالية وتتبعت كل أعمالها باهتمام فقرت فى ذهنى عدة نتائج هى التى أعود مزودا بها من جنيف وهى التى ستصبح مبدأ من مبادئى . أما الملاحظات التي لاحظتها فى حضورى كل جلسات مجلس العصبة فهو أهمية هذه الاداة الضخمة من حيث الدعاية والتأثير على الرأى العام الدولي ... أجل قد يكون هذا التأثير اليوم ليس من القوة بحيث يؤدى الى نتائج عملية ضخمة ولكنه تأثير على كل حال ..

ولست أشك لحظة فى أن هذه العصبة لو عاشت عدة سنوات أيضا فانها ستنتهي بان يصبح لها تأثير مادى فعلا ...

تصوروا أيها السادة خمسمائة صحافى يمثلون صحافة العالم باسره يتلقفون كل كلمة صغيرة أو كبيرة هامة أو تافهة كى يطيروا بها الى بلادهم فاذا بالعالم بأسره يتناقل ماقيل فى جنيف بعد القائه بساعات قليلة . ولقد رأيت أمما صغيرة تدافع عن قضيتها والعالم بأسره يتتبع هذا الدفاع ولقد رأيت دولا صغيرة استطاع ممثلوها فى المجلس بما لهم من شخصية أن يؤثروا حتى على الدول الكبيرة . ولقد رأيت وزير خارجية انجلترا المستر ايدن يشترك فى أعمال العصبة عدة أيام متوالية ليل نهار بالرغم من وفاة ملك الانجليز .

ورأيت مندوب دولة بارجواى يتحدى دولة عظيمة كروسيا ويستشهد بالعالم على حقه ولم تجد أمامه ثورة لتيفنوف وزير خارجية روسيا . وفى كلمة أحسست بلذعة الألم فى نفسى لغياب مصر عن هذا المجتمع الدولى . . وتخيلت مقدار التفوق الذى كان يمكن أن يحوزه ممثل مصر على كثير من ممثلى العالم والذين لا يكاد بعضهم يبين او أن يفهم . . بينما تستطيع مصر أن ترسل عقولا مشرعة وأدمغة مفكرة . أحسست بالألم ألا يدوى صوت مصر فيتناوله هؤلاء الصحفيون وتنشره صحافة العالم فى الوقت الذي ننفق فيه مليونا من الجنيهات على المفوضيات والقنصليات . وبضعة مئات من الألوف على هذه المؤتمرات والمظاهر التي قلما تحرك أصبعا فى سبيل القضية المصرية . وأحمد الله أنى قمت بواجبى الجزئى فاعددت مذكرة بحق مصر فى

الدخول الى عصبة الأمم وقدمتها لسكرتير العصبة العام ، فتلقفتها صحافة العالم واهتمت بها دوائر العصبة .

تقصير معيب

وبعد أن تحدثت مع أكثر من مندوب من مندوبى الدول وبعد أن تحدثت الى عشرات الصحفيين ، لا بل بعد أن تحدثت مع بعض المسئولين فى جمعية الأمم نفسها تحول ألمى إلى غضب وحنق على كل هذه الحكومات التى قصرت حتى الآن فى الانضمام للعصبة وكل شىء مهيؤ لقبولها ... فلن تقدر انجلترا أن تعارض طلب مصر فى وقت تدافع فيه عن الحبشة .. لا عقبات قانونية أو سياسية ، الطريق ممهد أمام مصر لتصبح عضوا فى جمعية الأمم .. وهذه مسألة من أخص المسائل المصرية التى لا يمكن للانجليز أن يعترضوا عليها فالدخول فى عصبة الأمم لا يساوى أكثر من التوقيع على أى معاهدة من المعاهدات الدولية .

الى رئيس الوزراء

وإذن فانى ألفت نظر رئيس الوزارة المصرية الى هذه الحقيقة .. ينبغى المبادرة بالانضمام إلى عصبة الأمم سواء نجحت المفاوضات أو لم تنجح هذا حق لمصر ولا ينبغى تعليقه على نجاح المفاوضات أو فشلها وهناك .. هناك فى عصبة الأمم ستبرهن مصر على حيويتها وقدرتها فتدافع عن استقلالها وكرامتها وسوف تكون آذان العالم بأسره مفتوحة لها وسوف يكون الرأى

العام بأسره فى جانبها ولكن على شرط واحد أيها الساده وهو أن نكون أقوياء. وأن نكون أقوياء أولا وأخيراً .

لقد عدت

وهأنذا أنا أيها السادة قد عدت فاذا ما سألتمونى عن برنامجى فانى أقول لكم أنه يتلخص فى هذه الكلمة التى كررتها لكم وأعني بها أن نكون أقوياء وأن نعد الشباب لأن يكون كامل السلاح والعدة هناك مفاوضات ستأخذ مجراها عما قريب وسأتكلم فى القاهرة عما يجب أن تتمخض عنه هذه المفاوضات ولكنى أبادر منذ الآن فاعلن رغبتى من صميم قلبى فى أن تنجح هذه المفاوضات.. وسوف نتحاشى كل عمل يكون من شأنه أن يعكر الجـو أمام الحـكومة وأمام المفاوضات .

لن نضيع الوقت

ولكننا فى انتظار ذلك لن نضيـع الوقت بل سنمضي فى طريقنا مسقطين من حسابنا نجاح المفاوضات أو أخفاقها ذلك أنه إذا نجحت هذه المفاوضات فسوف يكون ذاك نقطة الابتداء فى جهادنا لبعث مصر واعادة كل مجدها القديم أما إذا فشلت فان جهادنا متواصل ومستمر . وانى أدعوا الشباب للتهيؤ والاستعداد مع ضبـط الأعصاب ورباطة الجأش . أدعوا الشبـاب للالتفاف حول راية مصر الفتاة ومبادىء مصر الفتاة .أدعوا الشعب المصرى بأسره الى مواصلة كفـاحنا السلمى فى ميدان الاقتصاد مثل ما فى ميـدان

الاجتماع والاخلاق.. لاتشتروا إلا من مصرى ولا تلبسوا إلا ماصنع فى مصر لا تتكلموا إلا بالعربية ولا تردوا على من لا يخاطبكم بها ... قووا أرواحكم وعزائمكم بالامتنـاع عن الخمور وعدم الاسراف فى الملاهي . تمسكوا بالفضيلة والاخلاق امتلئوا إيمانا بالله وإيمانا بأنفسكم ووطنكم فقد كنتم سادة الدنيا يوما من الأيام وسوف تصبحون سادتها بقوتكم وإيمانكم ..سوف تصبحون سادتها بدينكم وعلومكم سوف تصبحون كذلك يوم تعرفون تاريخكم جيدا . وتثقون بأنفسكم وتملأون قلوبكم شجاعة وجرأة .

والمجد لمصر ؟ ؟

.———— — —

فوق صخور الهرم من جديد

بعد ثلاثة أعوام

عاد الاستاذ فى ١٠ فبراير كما قدمنا ومنذ هذا التاريخ أخذ يعمل بهمة فى ظل الحرية النسبية التى منحت للجمعية في عهـد وزارة على باشا ماهر والتى كان من بين أعضائها صاحب السعادة محمد على باشا علوبة والذى عرف بمناصرته للجمعية ومؤازرته للاستاذ احمد حسين حتى لقد أذاع نداء للأمة يدعوها فيها للاكتتاب من أجل وفد جمعية مصر الفتاة وكان ذلك قبل تقلده الوزارة بعدة أيام . . وقبل اعتلائه كرسى الوزارة بيوم واحد كانت عودة الاستاذ فتحى رضوان من أوربا فأرسل له سيارته الخاصة ليستعملها .. وكذلك عرف عن دولة على باشا ماهر أنه يعطف على جمعية مصر الفتاة عطفا شديدا ومن هنا فقد كان تقلد هذه الوزارة الحكم ايذانا بعهد جديد لمصر الفتاة . . فقد انقطعت مؤقتا سلسلة الاضطهادات والارهاب .. وشرعت الحكومة تعترف بمصر الفتاة كهيئة جديرة بالاحترام والتقدير . . وقد ظهر ذلك فى المقابلات المتعددة التى تمت بين دولة رئيس الوزراء والاستاذ احمد حسين كانت أخراها بالملابس الرسمية . .
وفى ظل الهدوء أخذ الاستاذ يعمل على تثبيت دعائم الجمعية وينظم أعمالها الادارية وماليتها بما يتفق واستقبال العهد الجديد .. وهكذا لم تمض عدة أيام على عودته من أوربا حتى أمكن دعوة مندوبى الاقاليم الى الاجتماع السنوى المعتاد فى ظلال الهرم . . .

وقد لبى الدعوة عشرات المجاهدين من كل شعبة وهناك فى سفح الاهرام وعند مطلع الشمس رفع علم الجمعية المثلث الالوان ودوى النشيد . . . نشيد السلامة وأذن المؤذن بعد ذلك لصلاة العيد ... فقامت الجماعة الحاضرة مؤتمة بالاستاذ أحمد حسين ... وعقب الصلاة خطب خطبة العيد الدينية ... ثم دعى الاعضاء للالتفاف فوق صخور الهرم .. ومن فوق الصخور ألقى الاستاذ خطبته النارية التالية ... ولاول مرة فى خطبه هاجم خصوم الجمعية وأنذرهم... والذين سمعوه فى ذلك اليوم وصوته يدوى فتتجاوب اصداؤه فى كل مكان لمسوا بأيديهم هذه الروح التى تحرك مصر الفتـاة وتتطور بها ... وتبعث فى مصر بأسرها روح الشجاعة والاعتزاز بالنفس والايمان بالله ....

خطاب الاستاذ أحمد حسين

لذوى الاقمصة الخضراء المجتمعين فى سفح الاهرام

فى صبيحة عيد الأضحى الموافق ٤ مارس سنة ١٩٣٦

اخوانى الأعزاء . . بل يا أعز الناس إلى

ما أسعدنى بكم . . وما أسعدنى بالحديث اليكم . . وما أسعدنى بهذا الموقف التاريخى . .

منذ ثلاثة أعوام اجتمعنا هنا وفى هذا المكان كيما نحتفل أول احتفال بعيد مصر الفتاة . . وها نحن نجتمع بعد ثلاثة أعوام لنحتفل بثالث عيد يمر على انشاء جمعية مصر الفتاة . . ولكن ما أعظم الفارق بين الاجتماعين . . وما أعظم الحوادث التى وقعت بين الاجتماعين . . .

منذ ثلاث سنوات اجتمعنا وانى لا ذكر اننا لم نكن قد استكملنا زينا بعد . . فلم نكن نملك من الزى إلا القميص الأخضر . . وانى لا ذكر أيضا أن هؤلاء الذين كانوا يرتدون القميص الأخضر فى ذلك اليوم كانوا ثلاثة أو أربعة . . وكنت أنا واحداً منهم . . وقليلون منكم هم الذين شهدوا هذا الاجتماع . . وأنى لأراهم وأعرفهم . . وأعرفهم بهذه السعادة والغبطة التى تشيع فى وجوههم بمقدار ما كافحوا وصمدوا للشدائد وظلوا ثابتين على العهد مما يجعلنى أو من بانهم سيظلون ثابتين على العهد الى الأبد . .

الفرق بين اليوم والامس

اجتمعنا من ثلاثة أعوام فى هذا المكان ولم تكن جمعية مصر الفتاة وقتذاك إلا جمعية مبتدئة لا يكاد يدرك الناس من أمرها شيئاً . . ولا تكاد الحكومة تعرف لها خطراً . . ويكفى أن تعلموا أن البوليس لم يتنبه لامرنا وقتذاك إلا بعد أن أكملنا احتفالنا ونزلنا من ساحة الهرم وفى مقدمة موكبنا الصغير حامل العلم . . فجاء رجل البوليس وسأل البعض منا عن ماهية الجماعة فقيل له أنها رحلة رياضية . . وأذكر أنه لما بلغني أنهم قالوا للبوليس ذلك غضبت لأن القائل قد ضيع علينا فرصة الأعلان عن مصر الفتاة . .

أما اليوم فها نحن نجتمع وليس فى مصر باسرها متعلم واحد لم يسمع على مصر الفتاة وجهاد مصر الفتاة . . ولذلك فنحن نجىء الى هنا من غير أن نعلن عن أنفسنا زهدا منا فى الاعلان ورغبه فى العمل الصالح ... ولوانا اعلناعن قدومنا الى هنا واحتفالنا بالعيد .. اذن لبادر الينا المئات بل والالوف ليشاركوننا هذا الاحتفال .. ولكنى آثرت أن نجتمع فى صمت وهدوء وأن يكون اجتماعنا عائليا بعيدا عن الضجيج والتصفيق.. فنحن فى هذه الساعات أحوج ما نكون الى أن نتحدث الى انفسنا . . . اكثر من حاجتنا الى التحدث للناس .. وذلك كيما نتأهب للمرحلة الثانية من مراحل مصر الفتاة ... ونعد برنامجها ... ونجدد القسم على عهدنا ...

الشك في امكان نجاحنا

قمنا منذ ثلاثة أعوام وسط الشك فى إمكان مثابرتنا طويلا . . على أن الحوادث التى صادفت مصر الفتـاة بعد ذلك قد زادت الشك فى نفوس الـكثيرين من الناس . . بينا زادت اليقين فى نفوسنا نحن . . لقد بدأنا ولم نكن نزيد عن العشرة أو العشرين ولم نـكن نملك إلا ايماننا وعزيمتنا .

ولقد علمنا هذا الأيمان كيف نصبر على المكاره والشدة . . وكيف نحتمل الآلام بسعادة وغبطة .. ولقد تشكك الناس فى امكان مثابرتنا .. لان العواصف التى تعرضت لها الجمعية كانت أقوى من أن تحتملها جماعة من البشر ان لم تكن مزودة بهذه الثروة القدسية الروحية وأعنى بها قوة الايمان فلم يـكد بعض الاحزاب السياسية يشعر بوجود مصر الفتاة حتى أخذ يحاربها بشدة وبنذالة أيضا ... أخذ بعض الاحزاب يناوئون جمعية مصر الفتاه ... فأثاروا أول ماأثاروا حربا شعواء على مشروع القرش لانه كان يتصل بى ... ولانى كنت مؤسسه فرأوا فى هدم مشروع القرش هدما لى .. ولـكنى فوت عليهم هذا الغرض فغادرت مشروع القرش وتركته وديعة فى يد الذين عملوا معى ...

استقالتى من مشروع القرش

وخرجت الى الميدان العام لاقابلهم وجها لوجه وكيما تكون الحرب فى وضح النهار . ولـكن من أنى لهؤلاء ان يحاربوا فى وضح النهار . وهم لم يعرفوا يوما من الايام فى خصوماتهم شيئا من الاساليب الشريفة .. واذن فقد لجأوا الى

قذفى بالاتهامات .. فاخذوا يشيعون أن احمد حسين قد سرق من مشروع القرش خمسة آلاف جنيه وابتنى عمارة وهو يملك السيارات .. خسئوا.. وشلت ألسنتهم وقطعت تقطيعا .. فما كان احمد حسين وهو صاحب مشروع القرش .. بالذى يمد يده الى قرش واحد من أموال مشروع القرش وهو الذى لو عرف ان فى اراقة دمه ثروة تضاف الى مشروع القرش لما تردد فى اراقة دمه .. أوليس مشروع القرش ومصنع الطرابيش إبنا لى .. فأيكم سمع على والد يغتال ابنه.. ويستنزف دمه .. ولو كان فى مشروع القرش يد اثيمة لما قام المشروع ونجح وهناك ألوف المشاريع التى تقوم وتموت لانها لاتعتمد على الاخلاص والنزاهة .. فلو ان مشروع القرش واحد من هذه المشاريع اذن لقضى عليه كما قضى على هذه المشاريع .. ولكن مشروع القرش نما وترعرع .. وأوجد من العدم حياة وهزم كل الصعوبات التى اعترضت طريقه وكان من بينها صعوبات تهد الجبال ولكننا تغلبنا عليها كلها بقوة الايمان ولم نكن نفرغ من التغلب على صعوبة إلا لنقع فى صعوبة أشد منها ولكن الايمان قد انتصر فى نهاية الأمر وخرجت الطرابيش الظافرة تتوج رؤوس المصريين ، خرجت الطرابيش المنتصرة تعلن للعالم ان مصر الفتاة قد برزت الى الوجود.. مصر الفتاة التى ستبعث فى مصر حيويتها وتعيد اليها مجدها القديم . خرجت الطرابيش التى نافست الطرابيش الأجنبية وسدت الطريق عليها . ولم يكن الفضل فى ذلك يرجع الى الكفاءة ولا يرجع الى الخطط والتدابير فقد كان رجال الاقتصاد .. ورجال الفن يؤكدون ان المشروع لايمكن ان يقوم ، حتى اذا قام المشروع أقسموا انه لايمكن ايجاد صناعة الطرابيش . ولكن الطرابيش صنعت

واذن فالفضل ليس لرجال الفن وليس لرجال الاقتصاد .. والفضل ليس للكفاءة وليس للمقدرة .. ولكنه لشيء واحد وهو الايمان .. والايمان أولا واخيرا .. والايمان هو منبع الفضائل كلها .. فلا يتفق الايمان والغش ولا يتفق الايمان والسرقة .. ولا يتفق الايمان والخيانة .. ولذلك فانى لم اعبأ بهذا السخف .. ولم أقف طويلا لاناقشه وهؤلاء الذين عاصروا الحمية وقتذاك يعلمون انني لم ادافع عن نفسي فى ذلك الوقت .. لانى ترفعت بنفسى عن أن اهبط الى مستواهم وان اناقشهم هذه الاتهامات الباطلة .. وكنت على يقين ان الساعة ستجيء . . اذ تظهر الحقيقة الناصعة . . ويمحق الباطل محقا تطبيقا لقول العزيز الحكيم « فأما الزبد فيذهب جفاء .. وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

ولقد كانت دعايتهم المسمومة هى أول ما اعاننا فى كفاحنا الأول .. ذلك ان هؤلاء الذين كانو يعرفوننا وقتذاك قد زادوا ايمانا على ايمان .. هؤلاء الذين يعرفوننا . . قد انقلبوا السنة لتدافع عنا فى حرارة واخلاص ولولا هذه المفتريات الكاذبة لما وجدنا فى ذلك الوقت من يتصدي للدفاع عنا . . وهكذا سرعان ما تبينت الأمة كذب هذه الاشاعة وفظاعتها . فلم يعد يرددها إلا بضعة أشخاص . . لو انكم فتحتم قلوبهم لوجدتموهم يكرهون كل ما هو جميل .. ويتمردون على الاخلاق والفضيلة والشرف ، ويقدسون النذالة والرذيلة . . هؤلاء هم القلائل الذين مازالوا يرددون هذه الاسطورة الخرافية . .

نحن والابراشى

قلت لكم ان خصومنا عند ما شعروا بأن هذا السلاح لم ينتج أثره بل على العكس أفادنا ، بحثوا عن سلاح آخر . فماذا قالوا ؟ قالوا اننا شعبة من الحزب الوطنى لأننا ألقينا بعض محاضرات فى جمعية الشبان المسلمين . ولكن مصر الفتاة سرعان ما أثبتت استقلالها وبعدها عن أى حزب من الأحزاب . هذا الى أن الانتساب الى الحزب الوطنى لا يمكن أن يكون جريمة مخيفة تستنكرها الأمة .

وإذن فقد جرى البحث عن سلاح آخر . فقالوا ، ويا سوء ما قالوا ، قالوا أن جمعية مصر الفتاة ذنب من أذناب الابراشى ، وان الابراشى هو الذى يمدها بالمال ، وراحوا يملأون القطر بهذه الدعوى ، والتى لم أتنزل للرد عليها أيضاً ، لأننى أترك الحوادث هى التى تتكلم ، وأترك الأعمال هى التى تتكلم .

أذناب الابراشى . نحن . نحن الذين كنا نخرج من سجن لندخل فى فى سجن . دعاة الابراشى نحن الذين يعتدى علينا البوليس فى كل يوم ، ولا تسمح لنا الحكومة باجتماع واحد . اننى اتحدى هؤلاء الخصوم أن يذكروا لى اجتماعاً واحداً قد سمح لمصر الفتاة باقامته أثناء حكم الابراشى . فكيف يمكن التوفيق بين الاضطهاد والسجن ومصادرة الجرائد والاجتماعات ، وبين صلة الابراشى ؟ أنه لمستحيل عقلا ومادة . فما الذى يحملنا على أن نقاسى كل ذلك . . ما الذى يدفعنا لاحتمال السجن والاضطهاد . . واذا

كانت علاقاتنا بالابراشي لا تمكننا من اصدار جريدتنا من غير مصادرة . لا تمكننا من عقد اجتماع واحد من غير مصادرة . . فما هي فائدتنا في كل ذلك وأي مطمع لنا من جراء هذه العلاقة . . أنحن في حاجة الى شهرة . ولكن من الذي يقول أن أسماء احمد حسين وفتحي رضوان لم يكونا معروفين أثناء مشروع القرش . . ولم يحاطا دائماً بالمدح والاعجاب ، فكيف أستبدل هذه الشهرة الطيبة بشهرة خبيثة من أجل سواد عيون الابراشي .

وان كان غرضنا من الابراشي هو المال ، فهل كنت عاجزا عن أن اكسب المال من مشروع القرش ، بل هل أنا عاجز عن كسب المال من مهنتي كمحام ، أننا نستطيع أن نكسب مئات الجنيهات لو اننا كرسنا أنفسنا لمهنتنا فقط ، ولكنني رفضت ذلك كله من أجل مصر الفتاة ، فكيف يقال بعد ذلك أن صلتي بالابراشي كانت من أجل المال .

قلت لكم أنها تهم قذرة ولم يكن يصدقها الا السذج والبسطاء ، أما كل هؤلاء الذين في رؤوسهم ذرة من العقل وفي قلوبهم ذرة من الاخلاص ، فقد افادتنا هذه الدعاية الجديدة ، بمقدار ما برهنت على الظلم الواقع علينا افادتنا هذه الدعاية في هذه الأوساط التي تعرف حقيقتنا ، فكنا نزداد في كل يوم قوة على قوة ونكسب في كل يوم عطف جماعات جديدة .

وسقط الابراشي أيها السادة وسقط معه كل هؤلاء الذين عملوا معه أو كانوا صنيعته في يوم من الأيام ، فاما هؤلاء الذين في قلوبهم مرض فقد توقعوا أن تنهار مصر الفتاة بانهيار الابراشي وأما الكثرة الغالبة التي تعطف على مصر الفتاة فقد تنفست الصعداء ، لان سقوط الابراشي سيكون خير رد

على هؤلاء الذين اتهموا مصر الفتـاة ، فاما الذين فى قلوبهم مرض فقد كبتوا وأسقط فى يدهم ، لان مصر الفتاة كانت أقوى بعد سقوط الابراشى منها في ايامه ، وها هى مصر الفتـاة حية قوية ، بل تتقدم الى الامام فى كل يوم . .

وهـكذا ترون أن هذا الاتهام قد سقط بدوره ، ونحن الآن فى انتظار اتهامات جديدة ، وقذارات جديدة ، وسوف نقابلها بما قابلنا به اتهامات الامس لن نرد عليها إلا بعد أن تهدم ويمحقهـا الله ويلفظها الرأى العام عندها سوف نشير اليها كما أشرت اليوم الى هذه الاتهامات الماضية ، سوف نشير اليها للذكرى والتاريخ لا أكثر ولا أقل . ولنسجل فى متحف مصر الفتاة نوع الاسلحة التى حوربت بها مصر الفتاة فى أيامها الاولى .

اضطهاد الحكومة

هذا هو واحد من الصعوبات التى أحاطت جمعية مصر الفتاة فى بدء نشأتها ولكنه لم يكن كل شيء ، بل كانت هناك صعوبات أكثر أهمية من ذلك وذات لون آخر ، فقد كانت هناك صعوبة اضطهاد الحكومة وادارة الامن العام الاوربية فمنذ وجدت مصر الفتاة حتى اليوم تألفت ثلاث حكومات وسقطت اثنتان وقد كانت لهاتين الحـكومتين السابقتين سياسة واحدة حيال مصر الفتاة ، بالرغم من أن واحدة منها كانت ديكتاتورية والثانية تدعى انها دستورية تدعى انها جاءت لاعادة الحريات . . عوملت مصر الفتاة بسياسة واحدة فى هاتين الحـكومتين مما يدل على أن مصدرها واحد والموحى بها

واحد لم يتغير ولم يتبدل فى كلتا الحكومتين بالرغم من تباين سياستها

تقول تقارير الحكومة ان جمعية مصر الفتاة جمعية فوضوية ، جمعية شيوعية ، جمعية اغتيالات سياسية ، جمعية قنابل ومسدسات . واذن فيجب أن يقضى عليها ، ويجب أن تخمد أنفاسها بأى ثمن من الأثمان مهما كان ذلك على حساب الحرية ، مهما كان ذلك على حساب القانون

فأما ان كان هذا هو السر الحقيقى لاضطهاد مصر الفتاة ، اذن فليطمئن رجال الحكومة . فهأنذا أعلن هنا وباسمكم ياجنود مصر الفتاة أن جمعيتنا ليست جمعية فوضية ، بل هي جمعية النظام والقانون . وليس أحب الىّ فى الدنيا بأسرها من ان أرى روح النظام قد سرت فى مصر من أقصاها لأقصاها ، وليس مثلى من لايحترم القوانين المشروعة العادلة فأنا رجل قانون ، وثقافتى كلها ثقافة قانونية . فجمعية مصر الفتاة جمعية نظام لاجمعية فوضى . أما القول بانها جمعية اغتيالات وقنابل فهذه دعوة جديرة بالسخرية لانها عبث فى عبث . فهؤلاء الذين يغتالون الناس ويرمون القنابل يعملون تحت ستار الليل ولا يؤلفون الجمعيات ولا يصدرون الصحف ولا يسافرون الى لندن للمناقشة والاقناع

جمعية القنابل والاغتيالات لاتفتح ابوابها لكل طارق ، ولا يتسع صدرها لمئات من أذناب البوليس السرى . لأن فى جمعية مصر الفتاة مئات من البوليس السرى وانى لأعرف أكثرهم واحداً فواحداً ، ولكنى أتركهم وأشكر البوليس على ارساله اياهم لأنهم سيتهذبون فى مصر الفتاة ، وسيتطهرون فى مصر الفتاة وستكسبهم مصر فى نهاية الأمر جنودا مخلصين احرارا

فلو أن جمعية مصر الفتاة من هذا الطراز الذى يتخيلونه لما فتحت الابواب على مصارعها ، لما قذفت بأبنائها الى السجون لما قلنا فى المحاكم ما نقوله فى الجرائد وما قلناه فى عاصمة الانجليز فى عقر دارهم ، فما بالكم وانا لا اؤمن بالاغتيال السياسى والحوادث الفردية كوسيلة لاستقلال الشعوب ذلك ان الاغتيال السياسى او حركات الارهاب ، حركات فردية ، تدل على رأي شخص من الاشخاص ولا يمكن لشعب من الشعوب أن يستقل أو أن يحصل على حريته ، إلا اذا كان مجموع الشعب قد أحس بضرورة ذلك واستعد للكفاح فى سبيل هذه الغاية ، ومتى تهيأ شعب للكفاح ، فقد أدرك استقلاله بدون كفاح ، فالاغتيالات والقنابل ليست من برنامجنا ، ونحن الذين نؤمن بالله ونصلى ونصوم فلا يمكن مطلقاً أن نرتكب هذه الخطيئة

اذن فليطمئن رجال الحكومة من هذه الناحية لأن اشتغالهم بها لا يعدو أن يكون تضييعا للوقت ، وعبثا ما بعده عبث ، وأما ان كان رجال الحكومة يضطهدوننا ، لأننا جمعية تحارب الاستعمار بالوسائل المشروعة وتعمل مواصلة الليل والنهار لبعث مصر من رقادها ولتحقيق مجدها فليواصلوا اضطهادهم فان هذا هو برنامجنا ، وهذا هو ما نسعى اليه ، وهذا ما لن يقدروا على ايقافه .

مصر وحقها فى الحياة

ليست مصر بلدا خاملا ، وليست بلدا تافها . وإذا كانت العراق قد

حصلت على استقلالها وشرعت تعمل فى تجديد بنائها ، وإذا كانت فرنسا تعدسوريا بأن تمنحها استقلالها وحريتها، وإذا كان العالم يدافع عن استقلال الحبشة ، وإذا كانت عصبة الأمم تغص بعشرات من الأمم الصغيرة التى لم تبلغ عشر معشار مصر فى الرقى والحضارة وليس لها مجد مصر الماضى وحيويتها الخالدة . إذا كان هذا ما يجرى الآن فى العالم فانه اجرام أن لا يكرس كل مصرى عمله وجهده ودمه وماله من أجل انتشال مصر من سقطتها ، أجرام ما بعده أجرام أن يتشكك مصرى واحد فى حق مصر الطبيعي فى الحياة والمجد ؛ وأجرام ما بعده أجرام أن يتوانى شاب واحد عن القيام بواجبه من أجل بلاده ؛ وهؤلاء نحن ، وهذه رسالتنا ؛ فان الدم الذى يجرى فى عروقنا لينقلب الى نار كلما رأينا عدوانا على مصر واستقلال مصر وسيادة مصر ، وان القلوب التى فى صدورنا لتنفجر غيظا وكمدا ، ان لم نكافح من أجل مصر وعظمة مصر ومجد مصر ، فان كانت الحكومة المصرية تخاصمنا من أجل ذلك ، فلا حيلة لنا فى هذا الخصام ، ونحن على استعداد لاحتمال كل ما ينجم عن هذا الخصام ، فى ثبات وعزم وإيمان ؛ ولكنى انذر هؤلاء الذين يخيل لهم أنهم قادرون على القضاء علينا ومحاربتنا انذر هؤلاء الذين تحدثهم نفسهم بالحد من حريتنا ونشاطنا ، أنهم سيفشلون ؛ سيفشلون فشلا محققا ، وحتى فى هذه اللحظات التى يخيل اليهم أنهم اخمدوا فيها صوت أحمد حسين الى الأبد ، فى هذه الساعة فقط ستشاهد مصر انتصار مصر الفتاة ومبادىء مصر الفتاة ، فى هذه اللحظات ستتحول مصر الفتاة الى عقيدة كل شاب بل كل مصرى ، وفى هذه اللحظات ستسمو مصر الفتاة فوق الجميع ، وانى

أحمدالله ان فى الحكومة المصرية رجل لا مطمع له فى الحياة إلا أن يعمل من أجل مصر ومجدها ، فهو أقرب الوزراء الى فهم روح مصر الفتاة ، ولعل هذا من بشائر انتصار مصر الفتاة ، وها أنتم ترون ان قدماً من الحرية قد أعطى لنا ، وها أنتم ترون اننا نجتمع ونتكلم . .

ماذا فعلنا وما الذي بقى علينا

وبعد أيها الاخوان، لقد كان عهدا علينا أن نعمل طوال عشرة سنوات حتى نحقق برنامج مصر الفتاة ، فكم من الزمن قطعنا ، وكم من الزمن بقى أمامنا وأي المراحل اجتزناها وأى المراحل بقيت أمامنا . .

بهذا الاجتماع نكون قد قطعنا الشوط الأول من أشواط الكفاح ، وبهذا الاجتماع نختم فصلا لنبدأ فصلا جديدا ، لقد كان الزمن الماضى زمن اختبار وتجربة ، لقد كان امتحانا لمصر الفتاة وللقائمين بجمعية مصر الفتاة ورئيس جمعية مصر الفتاة ، وهل هم صالحون للحياة أم لا ؟

ولقد انتهت التجربة وخرجنا منها ناجحين والحمد لله ، فقد احتملنا كل شيء . وها نحن اليوم أقوى منا فى أي عهد من العهود،ها نحن اليوم أشد إيمانا منا فى أى لحظة من اللحظات . واذن فقد نجحنا وأثبتنا جدارتنا، فلم يبق الا أن نتقدم الى الامام نطالب الامة بثقتها كيما نقدر على تحقيق برنامجنا وهذه هى المرحلة الثانية من مراحل الكفاح فنحن منذ اليوم سنطالب طبقات الأمة المختلفة أن تندمج تحت لواء مصر الفتاة ، ولكننا نبدأ بالشباب أول ما نبدأ لأن هذا هو الوضع الطبيعى وهذا هو ما يجب أن يكون فى الحال فالشباب الآن لا راية له إلا راية مصر الفتاة . . ولا لواء

إلا لواء مصر الفتاة ، وكل من يتردد فى الانضمام الى مصر الفتاة وارتداء القميص الأخضر ، شعار المجد والكفاح فهو شاب مترددأما أن يكون طفلا لم ينضج تفكيره بعد وأما أن يكون عجوزا غير صالح للحياة .

هل نحن مقلدون ؟

لقد هزأوا من قيصنا الاخضر فى مبدأ الامر كما اعتادوا أن يهزأوا بكل ما هو نبيل وعظيم . وقال قائلهم: انهم كالاقزام يقلدون ، واتخذوا القميص مصدراً لهزؤهم وسخريتهم . أما الهزؤ والسخرية فلا حساب لهم عندنا . وأما قولهم أننا نقلد فهذا ما يحتاج الى رد وايضاح وتفسير . فالمبادىء المجردة واحدة فى كل عصر وزمان ومكان والكفاح فى سبيل الاستقلال واحد يشترك فى كل زمان ومكان . ولذلك فان الحركات الوطنية تتشابه وما يقال فى فرنسا هو عين ما يقال فى ألمانيا وفى ايطاليا فالفكرة التى أوحت الى موسولينى أن يبتكر القميص الاسود فى ايطاليا لتحريرها من الفوضى ولبعث مجدها القديم هى نفسها التي أوحت الى هتلر أن يبتكر القميص البنى فى المانيا ولم يكن هتلر يوم صرخ صرخته الاولى مقلداً لموسولينى فقد نشأ الاثنان فى زمن واحد تقريباً . والفكرة التى أوحت الي هذين القائدين هى التى أوحت الينا أن نفعل مثل ما فعلوا.

ولو أنكم رجعتم الى ما كتبته منذ عشر سنوات اذن لوجدتم فكرة الاقمصة الخضراء تجول فى خاطرى وأتحرق لتنفيذها . فليست المسألة مسألة تقليداً ، ولكنها توارد أفكار يوحدها ويوجبها الاخلاص المشترك .

أما بعد ذلك فما أبعد جهادنا عن جهاد موسولينى وهتلر ، وما أعظم الفارق بين جهادمصر الفتاة وجهاد هؤلاء ، فهؤلاء قد بدأوا كفاحهم بجمع الجنود والعاطلين أما مصر الفتاة فهى تعلم الجيل الجديد وتعده للكفاح وهؤلاء يعتمدون أكثر ما يعتمدون على القوى المادية أما نحن فنعتمد أكثر مانعتمد على القوى الروحية ونحن أكثر ما نكون ايمانا بالله والدين ، وهؤلاء لا يوجد فى بلادهم غاصب اما نحن فالغاصب يملأ بلدنا ، فالفرق عظيم بين الشرق والغرب .

ما قلدنا موسولينى إذن وما قلدنا هتلر ، وانما نستوحى ضمائرنا وأحساسنا ، فاذا ما قادتنا ضمائرنا وهدانا تفكيرنا الى عمل يتفق وما عمل من قبلنا ... فليس الذنب ذنبنا وليس ذلك بدعة من البدع ولكنه توارد الافكار .

وانما الذين يقلدون هم هؤلاء الذين سخروا من القميص الاخضر . وظلوا يسخرون منه ويستنكرونه . وفى عشية وضحاها اذا بهم يلبسون قميصا أزرق ، وفى عشية وضحاها اذا بنا نسمع عن القيادة والفرق والألقاب الضخمة والتى لا نعرف لها معنى الا الطبل والزمر كعادة القوم ، هؤلاء هم الذين يقلدون غيرهم ولذلك فان حركتهم زائفة لا تلبث أن تزول كما زالت غيرها من الحركات الزائفة . وستبقى مصر الفتاة لتواصل مهمتها ، ولتؤدى رسالتها .

دعوة الشباب للعمل

وإذن فلا عذر لاى شاب لاينطوى تحت لواء مصر الفتاة ويضيع وقته

عبثا فى الاشتغال بحركات زائفة . وسوف يقتنع الجميع بذلك عندما يرون ثباتكم عند ما يرون تقدمنا فى كل يوم بل وفى كل ساعة . وانى لمغتبطان يكون هنا الان وفى هذه الساعة التاريخية جنود من كل بلاد القطر . فبين صفوفكم جنود من المنصورة وطنطا وبنى سويف وقنا واسوان وبين صفوفكم جنود من بور سعيد ومن الاسكندرية ومن حلوان والحوامدية فانتم ممثلوا مصر باسرها ، أوبالأحرى ممثلوا الشباب ، وإذن فعندما تعودون الى بلادكم أدوا الرسالة حق اداء ولا تدخروا وسعا فى نشر مبادئنا وواصلوا الليل بالنهار فى العمل والكفاح . لاتتركوا ناديا لاتتحدثوا فيه ولاتسمحوا لكائن من كان أن يعتدى على مصر الفتاة أمامكم . وأخيرا كونوا قدوة حسنة كونوا أطهارا أقوياء الروح والجسد ، امتلأوا ايمانا وثقة بانفسكم لقد قطعنا أشق المراحل وأعنى به وضع الاساس فلم يبق علينا إلا البناء . حقا لاتزال الطريق وعرا . حقا لاتزال أمامنا صعوبات جديدة واضطهادات جديدة ولكننا سنتغلب على ذلك كله بقوة اليقين والايمان ولكننا سننتصر بالرغم من كل شيء . انى انذر هؤلاء الذين سيحاولون ان يعترضوا طريقنا بأنهم لن ينجحوا فى ذلك وسوف يفشلون فشلا ذريعا وسوف يخسرون صداقتنا واذن فخير لهم أن يتركونا نسير فى طريقنا الطبيعي فيكسبون صداقتنا والاعتراف بجميلهم .

لن يثنينا ارهاب ولا وعد ولا وعيد وسوف تقوينا السجون والاضطهادات فعلى الحكام وعلى الخصوم أن يفهموا ذلك وان يحترموه .. ان مصر الفتاة سوف تنتصر لانها روح الجيل الجديد .. ان مصر الفتاة سوف

تنتصر لأنها الايمان والحق وعند ماتنتصر مصر الفتاة فان هذا معناه السعادة لمصر بأسرها . فاذا انتصرت مصر الفتاة فلن يوجد فى مصر عاطل واحد لا يجد عملا ولن يوجد فى مصر مصرى يشكو الرشوة والمحسوبية ولن يوجد فى مصر فلاح لا يأخذ نصيبه الحق من الحياة ولن يوجد مصرى واحد لا يشمخ بأنفه معتزا بمصريته فخورا بمجده . ان مصر الفتاة ستعيد الى مصر مجدها ، مصر الفتاة ستعيد الي مصر السلام والعدالة والمساواة لكل مصرى .

والان ياجنود مصر الفتاة الى الامام فى يقين وعزم وثبات الى الامام دائما .

شعارنا الله والوطن والملك

وصرختنا مصر فوق الجميع

لا يزال الكتاب

مفتـــــوحا

وقد كان لا منـاص من وضع حد يقف عنده الـكتاب فى الوقت الحاضر حتى يمكن اعداده للطبع وقد رأيت أن تكون الخطبة السابقة هى النهاية المؤقتة لهذا الكتاب فقد أحسست وأنا ألقى هذه الخطبة بعد عودتى من أوربا وتغير طبيعة تصرفات الحكومة حيال مصر الفتاه اننا نستقبـل عهدا جديدا واننا قد اجتزنا المرحلة الأولى من مراحل مصر الفتاة وأننا فى سبيل استقبال مرحلة جديدة تتمتع فيها مصر الفتاة بمركز سياسى له كيان خاص . . . .

ولقد تحدثت بعد هذه الخطبة بأحاديث كثيرة ولقد توالت عدة حوادث كانت لنا فيها مواقف وتصرفات . . . وقـد رأيت أن أشـير الى ذلك فى مقدمة الكتاب على أن يظل الكتاب مفتوحا كما تضم اليه صفحات جديدة فى المستقبل القريب بعد عام ثان أو عامين . . . . فمـا بقى فى العمر أنفـاس تردد فسيظل صوتى مرتفعا .. وقلبي نابضا بحب مصر .. وكل الذى أطمع فيه أن أغمض عيني للمرة الأخيرة بعد أن أهتف باسم مصر ...وأن تكون حياتى قربانا وتقدمة لعظمة مصر .

والمجد لمصر

احمد حسين

رئيس جمعية مصر الفتاة

انتهى

« مطبعة الرغائب ١٥٨ شارع محمد على تليفون نمرة ٥٨٧٨٥ »




Bibliotheca Alexandrina
0437308